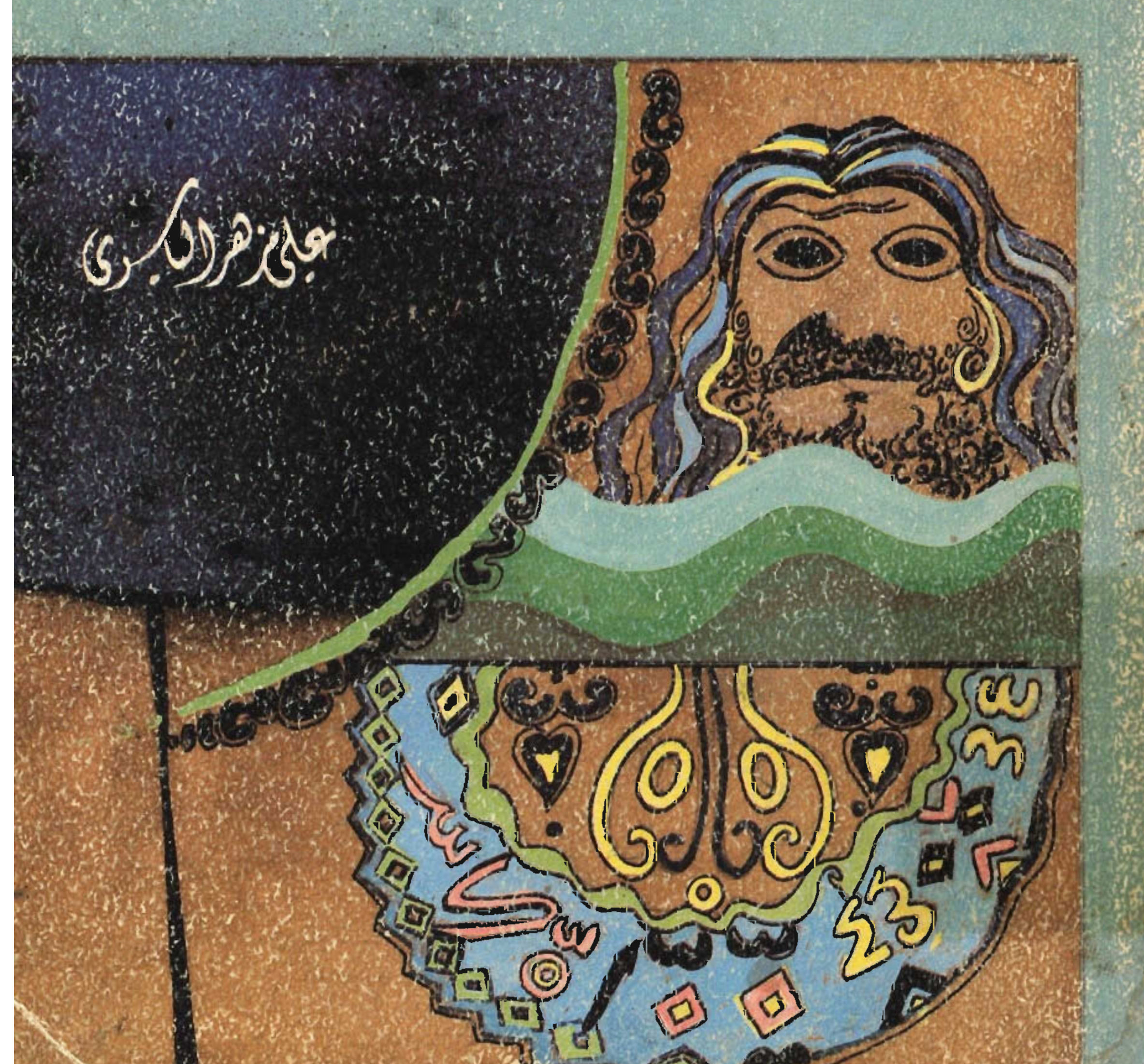
الجمهورية العراقية
دار الرشيد للنشر

أبو الحسن بن كيسان

وآراؤه في النحو واللغة



علي مزهر الياسري

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر

١٥ دينار

السعر فلس

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

دار الحرية للطباعة - بغداد
١٩٧٩

دار الرشيد للنشر
بغداد

منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية

١٩٧٩
سلسلة دراسات
(١٦٧)

أبو الحسن بن كيسان

وآراؤه في النحو واللغة

علي مزهر الياسري

مقدّمة

ربما لم يكن ابن كيسان نحويا ذائع الصيت إلى الحدّ الذي يلفت إليه نظر الدارس الذي يمر بكتب النحو عجلا ، وهو يبحث في بطونها عن مسألة من المسائل التي قد تعن له مراجعتها ،ولعل هذا يرجع الى ضياع المهمّ من كتبه فلم يتهيأ لأغلب الدارسين المحدثين ان يطّلعوا بشكل واف على نحوه ولغته .

وربما كان على الدارس الذي يطرق أبواب البحث في تجربته الأولى برسالة اكاديمية يتقدم بها لنيل درجة علمية ان يركب مركبا اسهل من هذا الذي ركبته ويسلك سبيلاً أوضح جادة وأقلّ مخاطر لأن كتب العلماء الأقدمين اذا توافرت هيأت للباحث مادته دون عَنتٍ شديد . وقد حاولت في بداية التفكير بتسجيل موضوع رسالة الماجستير ان أسلك طريقا آمن بتحقيق ألفية ابن معطي وعملت على ان أوطن نفسي على ذلك فما اطمأنت لأنها لم تجد فيه ما ينبغي لها وما ينبغي ان يكون عليه البحث .

وفي رحلة اختيار موضوع بديل لما عزفت عنه كنت اتحرى عن موضوع يصلح لأن يكون مادة لدراستي وأردت ان يكون له من الجدة ميسم ويبتغي من الجهد ما يجعل الدارس يشعر بمتعة الاستكشاف . وكان نحو ابن كيسان ولغته من الموضوعات التي خطرت بالذهن ونوقشت ثم رجحت عندي على سواها فعوّلت على دراسة هذه الشخصية اللغوية والنحوية لسببين :

ولهما : أن هذا الرجل نحوي متقدم ورد اسمه في كتب النحو واللغة والتفسير

كثيرا وذكرت كتب التراجم له اسماء مصنفات عدة لم يصل الينا منها ما يضع ايدينا على آرائه النحوية مجتمعة او يقرب الينا صورة شخصيته العلمية ومنهجه في الدرس . فرأيت أن من حقّه علينا تقصي آرائه في بطون الكتب ودراستها لنتبين منهجه في الدرس ونضعه في الموضع الذي يستحق .

وثانيهما: إن ابن كيسان يُعد في رأي عدد من الباحثين المحدثين رأساً لمذهب جديد في الدرس النحوي في بغداد في نهاية القرن الثالث أعقب المذهبين البصري والكوفيّ اطلقوا عليه «المذهب البغدادي» أو مدرسة بغداد النحوية ولما كانت هذة المسألة ممّا اختلف فيه الباحثون المحدثون اثرت أن اتحرى آراء ابن كيسان لأتبين أي جديد عنده حدا بهؤلاء الباحثين الى القول بما قالوا من رئاسته لما سموه «المذهب البغدادي» ولكي أجلو الصورة قدر استطاعتي وبحدود جهدي .

وحين قرَّ العزم بعد اقتران الموضوع بموافقة استاذي المشرف بدأ العمل وإذْ كانت آراء ابن كيسان النحويّة واللغوية موزعة في بطون كتب النحو واللغة فقد كان عليَّ أن انخل كل ما وقع لي من هذة الكتب تقصيا لارائه وجمعاً لها ، واحسب ان في هذا عنتا شديدا لا سيما حين كنت انفق وقتا طويلا في عدد من الكتب المطولة ثم لا أظفر بشيء لابن كيسان فيه ـ وقد تجمعت في نهاية الامر جملة من آراء ابن كيسان في النحو واللغة اضفتها الى القليل الذي حملته كتبه الصغيرة أما المصادر التي اعتمدت النقل عنها والتي كانت اساس البحث وعماده فيمكن تقسيمها ثلاثة اصناف :

الاول ـ كتب التراجم وقد استفدت منها في الكلام على بعض جوانب حياته وسيرته واشهد أنها لم تحفظ الا القليل كما يغلب عليها تكرير القول لأن المتأخر ينقل عن المتقدم ما ورد من اخبار قليلة دون اضافة تذكر وقد جهدت ان أؤلف بين هذه الاخبار ما امكن لتكوين صورة مقنعة عن حياته وما يتعلق بها

والثاني ـ كتب النحو وقد نقلت عنهـا ما اوردت من آراء نحـوية منسـوبة الى ابن كيســـــان .

والثالث ـ كتب التفسير واللغة وشروح الشعر وقد استقيت منها توجيهاته في اللغــة .

وحاولت في كل ذلك اعتماد المصدر المتقدم الذي يذكر رأيا من الآراء اللّهم الا اذا وجدت الرأي عند المتأخرين دون المتقـدمين ، إلا انني آثرت في الأغلب ان اذكر المصادر جميعها تحقيقا للقول الذي نقلته عنها واتماما للفائدة .

وحين قلّبت المادة المتجمعة على موضـوعاتها منطلقـا من تصـور واضـح لطبيعة البحث الاكاديمي رأيت أنَّ استقامة البحث تحتم علي تقسيمه على مدخل وخمسة فصول وخاتمة ، تناولت في المدخل السمات السياسية والاجتماعية للقـرن الثالث الهجري الذي عاش فيه ابن كيسان بقدر تعلُّق الأمر بتأثيرها في ازدهار الدرس النحوى في هذا القرن وعرضـت فيه ايضـا للدرس النحـوي ، وقد تم ذلك بإيجاز شديد لانني لم أشأ الاطالة في موضوع قيل فيه الكثير .

أمّا **الفصل الاول** فقد عني بحياته وثقـافته فعـرضت لاسمه وكنيته ومعناها وتحريت فيه عن مشاركيه في الكنية وبينت ميدان نشاطهم دفعاً لما يمكن أنْ يقع من اختلاط او توهم . كما تحـدثت في هذا الفصـل عن ثقـافته ومنزلته العلمية واقوال العلماء فيه وعن شـيوخه وتلاميذه ووفاته ٠ وما في هذا وذاك مما يتعلق بهذا الموضوع .

وعرضت في **الفصـــــل الثاني** لكتبه لاني وجدتها جديرة بأن يُفرد لها فصل خاصٌّ يمكن فيه تفصيل القول عنها ٠ فذكرت اسماء كتبه والمصادر التي ذكرتها وفصلت الكلام على ثلاثة من كتبه هي وحدها التي وصلت الينا فأثبتت نسـبتها اليه وبينت منهجه في تأليفها .

اما **الفصـــــل الثالث** فقد تناولت فيه آراءه النحوية وقسـمته مراعاة للموازنة بين الفصول وجمعاً لآرائه في ابوابها ، ثلاثة اقسـام جعلت لكل قسـم منهـا رقماً

فكان على الوجه الآتي :

١ ـ آراؤه النحوية في الأسم .

٢ ـ آراؤه النحوية في الفعل .

٣ ـ آراؤه النحوية في الحرف .

وقد عملت جهدي على استقصاء هذه الآراء وذكر المصادر التي اوردتها وموازنتها مع آراء غيره من النحاة المتقدمين ، كما أشرت الى أقوال النحاة المتأخرين فيها ـ إن وجدت ـ في مواضعها ، ثم اتبعت ذلك بتوجيهي الخاص لكثير من المسائل حسب فهمي لها وتصوري لأهميتها .

أما **الفصل الرابع** فكان بعنوان «مذهبه النحوي» وقد عرضت فيه للاشارات المتقدمة عن مذهبه النحوي ولرأي المحدثين في هذا المذهب ، وقد تناولت بالحديث ايضا ما سمي «مدرسة بغداد في النحو» لعلاقة هذا الموضوع بمذهب ابن كيسان فبينت الأسس التي يجب توافرها لتجيز لنا اطلاق مصطلح حديث على اتجاهات الدرس النحوي المتقدمة ، ثم تقصيت مواقفه النحوية من آرائه وبينت موقفه من العامل والعلة والقياس .

وكان **الفصل الخامس** للحديث عن لغة ابن كيسان ، وقد ارتأيت ان اقسمه الى فقرتين تتعلق الأولى بتفسير القرآن وما ورد عن ابن كيسان في كتب التفسير من توجيهات لغوية او فقهية او تتعلق بالقراءة ، اما الفقرة الثانية فقد خصصتها لما ورد في المعاجم وشروح الشعر من اقوال ابن كيسان اللغوية . وقد كانت هذه الاقوال تتناول الأصوات اللغوية كما تتناول ايضا بنية الكلمة وتتوجه في الغالب الى توضيح معاني المفردات وما يعتريها في الاستعمال وقد درستها وفق هذا التصنيف . ولهذا فقد صار عنوان الفصل «آراؤه في التفسير واللغة» لتشابه تناوله إياهما فيما صدر عنه من أقوال .

وقد أجملت في الخاتمة ما سبق عرضه تفصيلا فذكرت بالنتائج العامة للبحث .

وبعد فاني قد بذلت جهدا لا أحسبه يسيرا - ولا سيما اننا نعيش في عصر يضج بالمشاغل - وقد كان وكدي ان أوضح حدود شخصية لغوية نحوية من علمائنا المتقدمين الذين كانوا روّادا في التوجه الى البحث والاستقصاء وهم فيما اعتقد قدوة اعلام ينبغي لنا ان نحذو حذوهم ونسلك دربهم لا في مباحث اللغة وحدها بل في كل ميدان علمي يتطلب صبرا ودربة وسعة صدر . فان اكن وفقت في هذا فقد كان قصدي ان اضيف الى الجهود الكبيرة التي بذلت جهدا متواضعا في بعث تراث امتنا العربية الخالدة ، واذا كان فيما عملت هنات ومآخذ فذاك اني ركبت بحرا لا ينجو من رذاذ آذيّه راكبه ،وحسبي ثوابا من مشاركتي شرف البحث وبذل الجهد .

آمل أنْ يكونَ الجهد مثمراً وحسبنا أننّا قصدنا اليه ،والله ولي التوفيق ..... ؟

المؤلف
بغداد ١٩٧٨

مدخــــــل

شهد القرن الثالث الهجري نشاطا واسعا في الدرس اللغوي والنحوي ، لعلّه القمّة فيما وصل اليه هذا النوع من الدراسات ، فقد زخر هذا القرن بالدارسين والمصنفين بشكل لم يسبق له نظير ، كما توضّحت فيه معالم بيئتين نحويتين كان بينهما خلاف وحِجاج في مسائل متعددة من ابواب النحو المختلفة ، كما اشتجر فيه الصراع للهيمنة على بيئات هذا الدرس ومجالسه ، والتصدر لأملائه وتعليمه .

ولعل هذه الظاهرة تحمل الباحث على تقصّي اسبابْ هذه النهضة العلمية التي اخذت منذ ذلك التاريخ تجنح بالدرس النحوي إلى الأخذ من اسباب العلوم الانسانية الاخرى بطرف ، فمهدت فيه لفتح تيار لم يكن من السهل ايقافه ، فقد جرف الدرس النحوي في طريق شائكة ضيّعته في متاهات ما كانت بالدارس حاجة لها وما هي بمغنية عنه شيئًا .

والذي يهمنا في هذا المدخل الموجز أنْ نعرض لأحوال هذه الحقبة لنتبين سماتها السياسية والاجتماعية والنشاط الفكري فيها بقدر تعلق الأمر بالدرس النحوي ومدى تأثيره فيه

الحالة السياسية :

اتسم القرن الثالث الهجري لا سيما الحقبة التي عاش فيها ابن كيسان ، والتي تمتد فيما احسب على ثلثي القرن الاخيرين - بالاضطراب وتقلب أحوال السياسية وكثرة الفتن والنزاعات بدءاً من دخول الاتراك في جيش الخلافة على يد المعتصم الى ان تجلّى غليانها بصورة واضحة في مقتل المتوكل وما تبعه من الأحداث والتقلبات التي كانت تجري جرّاء تدخل الاجانب والخدم في شؤون الحكم مما كان يؤدي الى قتل أوعزل هذا الخليفة أوذاك[1] . كما قامت في هذا القرن عدة حركات سياسية نهجت طريق الثورة على الخلافة ، أهمُّها حركة الزنج وحركة القرامطة التي تطلّب القضاء عليها كثيرا من الجهد والمال والدماء . كما كانت الاحوال المالية متردِّية على الرغم من أنّ واردات الدولة كانت كثيرة «ولكن المبالغ العظمى هي التي كانت تُنفق على بلاط الخليفة وجنده ، ومع ذلك فكثيرا ما كان في استطاعة الخلفاء وذوي قرباهم أن يجمعوا ثروات طائلة[2] ومن جراء هذا التبذير في أموال الدولة وانفاقها على مجالس اللهو والإماء اتَّسمت أحوال الرَّعية بالضيق في العيش» وكثيرا ما كانت الموازنة تختم بالعجز [3] .

ولم يكن الأدباء والكتّاب ببعيدين عن ميدان الصراع هذا فكان منهم الوزراء كما كان منهم القريبون إلى أمور الخلافة وأعمالها وقد لحق عدداً منهم حيف كبير جراء هذا القرب من الفتن وأصحابها . كما كانت هذه هي حال المفكرين والفلاسفة أيضا ، فنهم من حوصر ومنهم من أحرقت مصنفاته كما كان منهم أيضا من صُلب في بغداد على رؤوس الاشهاد .

أما النحاة ودارسو اللغة فكانوا بعيدين عن هذا بحكم طبيعة ميدان عملهم

---

(١) ينظر في اضطراب الاحوال السياسية على سبيل المثال لا الحصر : تاريخ ابن خلدون ٢٧٩/٣ وما بعدها .
(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية : ٢٣٣ .
(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية : ٢٣٣ .

التي لم تكن ذات تماس مع الحكم وشؤونه والقائمين عليه ، بل كان الخلفاء والوزراء والمتنفذون على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم يعملون على كسب ود هؤلاء العلماء وتقريبهم اليهم ، ربما لما تحمله مجالسهم من المتعة أو لأنَّ هؤلاء الخلفاء أرادوا أن يطبعوا عهودهم بطابع القرب من العربية وأصحابها .

فكأني بهذا الوضع يدفع بالدرس النحوي إلى الازدهار ويدفع بكثيرين الى طرق بابه واتخاذه سبيلاً للتكسب والعيش والحصول على الرِّضا والأمان فقد بعُد العهد الّذي كان فيه الاهتمام بالقرآن الكريم واستخلاص كنوزه وتفصيل القول بما جاء به موجزاً هو الباعث على نشوء هذا اللون من الدراسات في أيام الخليل ورهطه من العلماء . فترى دارسي النحو واللغة وقد لجَوا في هذا القرن بتفريعات وشعاب ليس لها صلة بما كان النحو نشأ من اجله ، واغرقوه بتفاصيل جرَّهم اليها طمعهم في التكسب وتوفير العيش الآمن فانت تعدم أن تجدَ نحوياً لحقه الحيفُ جرّاء اشتغاله بالنحو وانصرافه إليه لأنه منصرف إلى ما لا يتصل من قريب أو بعيد بقضايا الناس ومشاكلهم في عصر كان يضجّ بالمشاكل .

وخلاصة القول : إن الأحوال السياسية في هذا القرن كانت عاملاً مُهمّاً ساعد على انصراف عدد كبير من الدارسين إلى البحث في اللغة وتصنيف المصنفات فيها وتوسيع دائرة هذا الميدان من البحث .

الحالة الفكرية :

إذا كان النحو قد بدأ في بيئة البصرة المتعددة الأجناس والمذاهب التي كانت تتلاقح فيها مذاهب فكرية متعددة تعتمد أساليب الحِجاج والمنطق التي أملتها حاجة هذه الأحزاب والمذاهب إلى تأييد هذا الرأي أو الرد على الخصوم ، فأن هذا النهج الذي بدأ به الدرس النحوي قد امتزج حين أصبحت بغداد بيئة له في القرن الثالث بنمط آخر من الدرس هو نمط البيئة الكوفية الأعرابية ذو السمة الذوقية الفنية التي اهتمت أول ما اهتمت برواية الشعر

والحـديث والنظر فيها بعيداً عن أسـاليب المتكلمين ، فاتسـعت دائرة الدرس وتشعبت نواحيه واختلطت اتجـاهاته وتلونت أسـاليبه فنسي البغـداديون ما كان عليه أسلافهم الكوفيون الأولون من سلاسة طبع ورهافة في الذوق فانجـروا إلى ما حمله أهل البصرة من اسـاليب فكثر القـول عن التعليلات والاقيسـة . وما كان هذا الامر ببعيد عن الحياة العقلية الثقـافية التي صـارت إليهـا بغـداد وقد أصبحت حاضرة الدولة الاسلامية بشـعوبها المتعـددة وبتياراتهـا السّـياسية والفكرية المختلفة . وبنهضتها العلمية المتعددة الجوانب .

لقد كان الخليفـة المأمون الذي كان دخـوله إلى بغـداد سـنة أربع ومائتين هجرية [٤] معـروفا بنزوعه إلى العلم واحتفـائه بأصـحابه ، ويمكن القـول أنَّ النهضة العلمية بدأت في عهده بشكل واضح المعالم فقـد شـجّع حـركة الترجمة عن علوم الأمم الأخرى ممّا جعل الدارسين العرب على علم بما كان لهذه الأمم من نشاط في الادب والفلسفة وغيرهما من العلوم كما كان المأمون أول من انشأ مكتبةً عامرةً بأمهات الكتب أطلقَ عيها اسم «دار الحكمـة» فكانت مصـدرا من مصادر الثقافة والحصول على المعرفة ثم استمرَّت الحالة الثقـافية في نمو وازدهار ساعد على توسـع دوائر البحث والدَّرس في جميع مجـالات العلوم . إلا أنَّ هذه الروافد الثقافية الجديدة قد جـارت على الدرس النحـوي فقـد أدخلت فيه ما ليس له . فقد أوغل النحاة في اقتباس الأقيسة والعلل الفلسفية إيغالا لا تعدم ظلّه ألى وقتنا الحـاضر في أسـاليب الدرس والتوجيهـات لدى عدد كبير من المهتمين بالنحو وشؤونه . وأنت إذا ما تفحصـت كتب النحـو التي صـنفّت في تلك الحقبة رأيت فيها أثرا واضحا من الأصول الفلسفية والكلامية التي تحـاول أثبات الشيء ونقيضه بحجاج عقلي مجرد .

الدرس النحـويّ في بغـــداد :

شهد القرن الثالث ـ كما أسلفنا ـ حركة نشيطة في الدرس النحويّ حـين

---

(٤) ينظر تاريخ ابن خلدون : ٢٥٠/٣ .

حل ببغداد نحاة الكوفة ثم نحاة البصرة من بعدهم ، وقد اتسعت دائرة الدرس وكثُرت مجالسه وأحسب أن سبب هذا النشاط يرجع إضافة إلى ما قدمناه من مواتاة الأحوال السِّياسية والفكرية إلى عامل أساس ، هو المنافسة الشديدة بين نحاة الكوفة الذين كانوا استوطنوا بغداد وكسبوا لهم اتباعاً وتلاميذ يقولون بما كانوا يدلون به من توجيهات ، ونحاة البصرة من بعدهم الذين أصبحوا يطمحون الى الهيمنة على بيئة الدرس في بغداد ، ووضع كهذا لابد أن يشحذ الدارسين ليفصلوا القول ويأتوا بما كانوا يرون ان الاوائل من النحاة لم يأتوا به ، فكانت الردود على آراء النحاة المتقدمين وكانت الشروح والتعليقات وكانت سيادة العلل لتفنيد آراء الخصوم مظهراً ممّا جرّته المنطلقات الفلسفية على النحو .

وإزاء هذا الوضع كان دارسو النحو من اهل بغداد يترجحون بين حلقات الدرس المتنوعة واصطناع الجديد من هذه وتلك .

لقد اشتهر في هذه الحقبة عدد كبير من نحاة بغداد لهم مُصنفَّات ذاع صيتها فانتشرت في الأمصار الاسلامية وتناولها الدارسون بالشرح والتعليق . وحذا حذوها نحاة الأمصار فصنفوا في هذا الباب كتباً لا أراها تذهب عما **صنّف** في بغداد بعيدا .

لقد كان في - الحقبة التي نحن بصدد دراسة واحد من نحاتها - جمهرة من العلماء المذكورين بالعلم منهم **أحمد بن يحيى ثعلب** شيخ الكوفيين وإمامهم وصاحب المُصنفات الكثيرة في اللغة ، وكان فيها **أبو العبَّاس المبرد** رأس البصريِّين في بغداد وصاحب التَّصانيف المشهورة في اللغة والنحو والأدب ، وحول هذا وذاك جمهرة من تلامذةٍ نبه عدد منهم فعُرِفَ بالدرس والتصنيف كالزجاج وأبي بكر بن الانباري وأبي موسى الحامض وابن شقير وابن الخياط وابن السراج وأبي الحسن بن كيسان الذي هو موضوع دراستنا في هذا البحث كما كان لهؤلاء النابهين من تلاميذ ثعلب والمبرد جيل من تلامذةٍ صار لهم

مواصلة البحث في ميدان الدرس النحويّ ، واذا نحـن أردنا أن نسرد ماصُـنف في هذه الحقبة من كتب النحو لطال بنا المجال وهو ما نحن بغنى عنه الا أن نظرة في كتب التراجم التي ترجَمتْ لأعلام تلك الحقبة تُطلعُكَ على شيء كثير .

وحسبنا هنا أن نذكر أنَّ النشاط النحوي في الحقبة التي عاشها ابن كيسان كان يمثل حداً فاصـلاً بين اكتمال الدرس النحـوي ونضـجه وبداية جنوحـه إلى الخوض فيما لا يدخل فيه مما كان فاتحـةً لعهـودٍ ما كان فيهـا غير تكرير ما ورد عن الأقدمين مع مبالغة في التقصر والتمحل واصطناع العلل والأحاجي فما أحسـب النحـاة الذين أعقبوا هذه الحقبة قد جـاءوا بجـديد في هذا الميدان .... ؟



الفصل الأول

حَياته وثقافته



اسمــه ولقبــه :

هو أبو الحَسَن مُحمدُ بنُ أحمد بن كَيسان . هكذا وردت تسـميته عند أكثر الذين ترجموا له[1] . وأضـاف ابن النديم[2] اسـم «محمد» لسـلسلة نسـبه وجعله جدا له فهـو عنده «محمد بن أحمد بن محمد بن كيسـان» واسـم جـده عند ياقوت[3] «ابراهيم» فهـو «محمد بن أحمد بن ابراهيم بن كيسـان» واسـقط السيوطي[4] اسم ابيه «احمد» وعده «ابراهيم» فهو محمد بن ابراهيم بن كيسأن ، واورد ابن قاضي شهبة[5] اسم «كيسان» مرتين ، جعل الاول اسما لأبيه ، وجعل الثاني جدا لابيه . ويبدو أنَّ هذا التكرار من عمل النسّاخ ، فلم يرد مثله عند المتقدمين ، زدْ على هذا أنَّ كلمة «كيسـان» الاولى - التي أحسـبها ، زائدة - تبدو غير واضحة ومختلة الرسم .

---

(١) طبقـات النحـويين : ١٧٠ ، تاريخ بغـداد : ٣٣٥/١ ، نزهة الألباء : ١٦٢ ، انباه الرواة : ٥٧/٣ ، المنتظم : ١١٤/٦ ، البداية والنهـاية : ١١٧/١١ ، النجـوم الزاهرة :١٧٨/٣ ، الوافي بالوفيات : ٣١/٢ ، الكامل في التاريخ : ٢٤/٨ ، مرآة الجنان : ٢٣٦/٢ ، شذرات الذهب : ٢٣٢/٢، البلغـة : ٢٠٢ ، تاريخ ابي الفداء : ٦٦/٢ ، العبر في خبر من غبر : ١١٣/٢ ، مراتب النحويين / ٨٧ ، ٨٨ ، الكنى والألقاب : ٢٩٦/١ .

(٢) الفهرست : ٨١ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٨٠/٦

(٤) بغية الوعاة : ٨/١ .

(٥) طبقات النحاة : ص ١٣/ورقة٧ .

وذُكر على لسان تلميذِه أبي الحسين الرُهني باسم «احمد» قال : سمعت أحمد ابن محمد بن كيسان النحوي وأنا اقرأ عليه كتاب سيبويه[6] وورد باسم «احمد ابن كيسان» عند ابن رشيق القيرواني[7] ولقبه ابن قاضي شهبة[8] بـ «البغدادي» وتابعه في هذا العماد الحنبلي في شذرات الذهب[9] واليافعي في مرآة الجنان[10].

واذا كان علينا أنْ نستقر على شيء فالراجح عندي أنّه «محمد بن أحمد بن إبراهيم» اعتمادا على ما ذكره المرزباني في قوله «وحدثني محمد بن أحمد بن ابراهيم قال : حدثنا احمد بن يحيى النحوي عن الزبير بن بكار[11]...الخ فما عرفت من تلاميذ ثعلب من يدعى بهذا الاسم غير ابن كيسان وقول ياقوت يوثق هذا ولا يعتد - في ظني - بقول من سماه «احمد» واحسب أنَّ اسمه الاول سقط في النسخ .

ولا تَزيد المعلومات في المصادر التي ترجمت له فيما يتعلق باسمه ونسبه على ما ذكرت ، وهي معلومات متشابهة . ينقل المتأخر عن الذي تقدمه دون ايما إضافة لجديد ، اللّهم إلا إعادة ترتيب الأخبار القليلة الواردة احيانا . لذلك تظل هذه المعلومات قاصرة عن تمكيننا من الألمام بتفاصيل حياته ، او تقصيّ نسبه الى حد لا يدع هاجسا لشك او مجالا لتأويل .

وقد نقلت المصادر أخباره دون اشارة الى نسبه ، ناهيك عن اختلافها في اسم ابيه وجدّه ، وقد أغفلت إغفالاً تاماً نشأته في بغداد ، فليس هناك من نصٍ يكشف عما اذا كان بغدادياً ولادةً ونشأةً ، او انه جاءها قاصدا ، وما اذا كان قد نزح منها الى سواها من المدن ، وما إلى ذلك من الاشارات التي تُضيء

(٦) معجم الادباء : ٤١٨/٦ .

(٧) العمدة : ١٥٣/١ .

(٨) طبقات النحاة : ورقة ٧ .

(٩) شذرات الذهب : ٢٣٢/٢ .

(١٠) مرآة الجنان : ٢٣٦/٢ .

(١١) الموشح : ٢٠٩ .

السبيل وتعصم منَ الزلل عند التجرد للحديث عن المؤثرات الأولى في دراسته .

ومهما يكن من شيء ، فانَّ المصادر اتفقت على كنيته ، فأكثر الذين نقلوا عنه ذكروه بكنيتيه «أبو الحسن بن كيسان» في أغلب النقول ، وقد يرد ذكر اسمِهِ معهما .

كيسان ألقبٌ هَو أم اسم ؟ :

اختلف الذين ترجموا له في كيسان ألقب هو ام اسم ؟ فزعم طائفة منهم أنه لقب لأبيه . فقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي القاسم بن برهان[١٢] أنَّ كيسان ليس اسم جده وأنما هو لقب أبيه[١٣]، غيرَ أنَّ ياقوتاً يذهب الى غير هذا ، ويفهم من ظاهر كلامه أن كيسان لقب لجده لا لأبيه فهو يذكر أنه محمد إبن أحمد بن ابراهيم بن كيسان ثم يقول كيسان لقب واسمه ابراهيم[١٤] والخلط فيما ذهبوا إليه بيّن ، لأنهم حين صرّحوا بان كيسان لقب لأبيه أو جدّه ذكروه بعد اسم الأب او الجد تالياً لكلمة ابن مما يدل على أنه اسم لشخص وليس لقبا لأنه لو كان لقبا لما احتاج إلى سبقه بكلمة «ابن» فالذين زَعَموا أنهُ لقب لأبيه ذكروه باسم «محمد بن أحمد بن كيسان» والذين ادَّعوا أنهُ لقب لجده ذكروه باسم «محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان» والذي أرجّحه أن «كيسان» اسم لواحدٍ من أجداده أو صفة له غلَبت حتى صارت علماً على صاحبها ، فاشتهر أبو الحسن بهذه الكنية «ابن كيسان» ، على الرغم من أنه لا يمكن الجزم بهذا لاختلاف الأقوال وندرة الأدلة .

وذَكَر ابن النديم أنَّ كيسان كان نحويا ومعقلاً[١٥] فاذا ما رجعنا الى كتب

(١٢) هو عبدالواحد بن علي برهان الأسدي العكبرى . عالم بالأدب والنسب . من أهل بغداد . ينظر الأعلام ٣٢٦/٤ .

(١٣) تاريخ بغداد : ٣٣٥/١ .

(١٤) معجم الادباء : ٢٨٠/٦ .

(١٥) الفهرست : ٨١ .

طبقات النحاة واللغويين لم نجدْ احدا منهم اشتهر بهذا الاسم او الصفة سوى «كيسان» صاحب الخليل بن أحمد وأبي عبيدة . وربما كانت إشارة ابن النديم هي التي أوحت إلى عبدالسلام هارون ان يقطع بان «كيسان » هذا هو والد أبي الحسن ، فقد ذكر هارون في حاشيته على كتاب البيان والتبيين للجاحظ في معرض كلامه على البيت الاتي :

فخذْ من[16] شَعرِ كيسان ومن أظفارِ سبُخت

قوله كيسان : هو والد أبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي ، فكيسان لقب أبيه أحمد . وكان كيسان معاصرا لخلف الأحمر وابنه أبو الحسن ابن كيسان ممن أخذ عن المُبرِّد وثعلب .»[17].

وفي ظني ان هارون وَهِمَ فيما ذهب إليه من جهتين : الأولى :أنه ذكر أنَّ كيسان لقب للأب «أحمد» في حين يذكره في موضوع الجدٌ لا في موضوع الأب فكان الأولى أن يكون لقباً لجدِّه لا لأبيه .

الثانيه : أنَّه نَسي أن كيسان المذكور في البيت هو لقب لـ «معرف بن درهم الهجيمي الذي أخذ عن أبي عبيدة»[18] لا لأحمد والد أبي الحسن ، وقد صرح هارون بما يؤيد ما ذهبتُ اليه ويناقض ما ذكره هو وذلك في حاشيته على مجالس ثعلب عند حديثه عن البيت نفسه[19]. فلا أدري كيف تحول مُعرِّف الى أحمد وأبو سليمان إلى أبي محمد . أضف إلى هذا أنَّ ياقوتا صرحٌ بأن «كيسان» لقب لجده وسماه «ابراهيم» كما مر بنا .

وما دمنا لا نملك الدليل المقنع يكون الجزم بمثل ما ذهب إليه هارون دعوى

---

(١٦) في رواية ثانية «فخذ من سلح كيسان » .

(١٧) البيان والتبيين : الحاشية : ٢١٤/٢ .

(١٨) ينظر مراتب النحويين : ٨٦ .

(١٩) مجالس ثعلب : ٣٥٦/٨ : الحاشية : نقل الاستاذ هارون عن بغية الوعاة : ٣٢٨، ترجمة كيسان بأنه ابن المعرف النحوي أبو سليمان الهجيمي . أخذ عن الخليل وكان يخرج مع أبي عبيدة إلى الأعراب . والراجح ما ذكره الزبيدي - وهو أقدم من السيوطي - من أنَّ معرف وليس ابن المعرف ذُكر في طبقات النحويين : ١٩٥ هو أبوسليمان معرف بن درهم .

مُتكلفة ينقصها الدليل إن لم يكن ينقضها .

ومن جهـــة أخـــرى حكَى ياقوت[٢٠] عن أبي بكر الزبيدي قوله في ابن كيسان : وليس هذا بالقديم الذي له في العروض والمعَمّى كتاب . ذكر ذلك في ترجمته لابن كيسان بعد أن ذكر اسمه ولقبه ووفاته ، وردَّدهُ القفطي[٢١] بقوله قال الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي : ليس ابن كيسان هو القـــديم الذي له في العـــروض والمعمّى كتاب . وإذ لم يرد هذا النص عند الزبيدي في طبقاته فأن الأخذ به ضعيف ، وما نقله ياقوت يومي إلى أنَّ المعني به «كيسان» وليس «ابن كيســـان» وياقوت أقدم من القفـــطي الذي نص على انه «ابن كيسان» وما أحسبه إلا ناقلا عن ياقوت مع تصرف فيه .

ومهما يكن من أمر فربما كان هناك ابن كيسان آخر لم نعـثر له على أثر ولم تشر إليه المصادر الأخـرى ونحـن نعلم أنَّ أبا الحسـن بن كيســـان قد ألَّف في العروض أيضا وفي النضج من حياته العلمية ، ودليلنا على ذلك ما ذكره ياقوت في قوله «قرأت بخط إبراهيم بن محمد بن بندار ، قَرأتُ بخَطِّ أبي جعفر السعال في آخر العروض : الى هنا أملى عليّ ابن كيسان وأنا كنت أستمليه وفرغنا من العروض لخمس بقين من شوّال سنة ثمان وتسعين ومائتين[٢٢]» .

معنى كيســـــان :

كيسان :عَلَمٌ على الغدر . ورد في اللسان[٢٣] عن ابن الاعرابي أنَّ «كيسان» اسم للغدر . وقال ابن الاعرابي «الغدر يكنى أبا كيسان[٢٤]» وكان ابن النديم[٢٥] ذكر مثل هذا ، ونَسَبَ اللُّغةَ إلى سعد . ولعلَّ ما يوِّيد صِحةَ نسبتها إلى سعد ما

(٢٠) معجم الأدباء : ٢٨٠/٦ .

(٢١) إنباه الرواة : ٥٩/٣ .

(٢٢) معجم الأدباء : ٢٨٢/٦ .

(٢٣) لسان العرب : كيس

(٢٤) نفسه .

(٢٥) الفهرست : ٨١ .

رواه ابن الأعرابي لضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن[٢٦]. فهو إذ يهجو سعدا يخاطبهم بلغتهم فيقول :

إذا كُنت في سعد وأمك منهمُ غريبا فلا يغرُركَ خالك من سعدِ
إذا ما دعوا كيسانَ كانت كهولهم ألى الغَدْر أسعى منْ شبابهم المرد[٢٧].

إلا انه وردَ في اللسان أيضا[٢٨] عن «كراع» أنها لغة طائية ، وأن كلُّ هذا من الكيس والرجل كيس مكيِّس أيْ : ظريف وقال الزمخشري هو في لغة بني تيس [٢٩] وفي الكلام على اجراء المعاني مجرى الاعيان قال ابن يعيش : ومن ذلك كيسان وهو علم على الغدر معرفة ، لاشارتك به الى المعنى المخصوص ... وقد كنوا عن الضربة بالرجل على مؤخر الانسان بأم كيسان ، لأنَّ ذلك يدل على تولية وغدر مأخوذ من الكيس لأنَّ الغدر في الحرب والنكوص أنما يكون من الأكياس لأن الاقدام والشجاعة نوع تهور[٣٠]، ومن الجدير بالذكر أنَّ كلمة «كيسان» لم تكن صفة تُطلق حسب ، بل كانت مما يسمى بها ايضاً[٣١].

ومجمل القول أنَّ «كيسان» مأخوذ من الكيس بمعنى الفطنة والدهاء ، ثم نقل علماً على الغدر لما يحتاجه صاحبه من ذلك ، ثم سمي به غير واحد ورد ذكرهم في مواضع عديدة في المصادر ، وإذا كانوا لقبوا بهذا اللقب كناية عن الغدر او الكياسة فليس هذا بالأمر المُهم .

نشـــأتـه :

كانت المصادر التي ترجمت لابن كيسان شحيحه في تسليط الضوء على

(٢٦) ورد في شرح المفصل : ٣٨/١ أنَّ ابن دريد روى البيت للنمر بن تولب في بني سعد أخواله وكانوا أغاروا على إبله، وقيل إنها لغسان بن وعلة .

(٢٧) لسان العرب : كيس .

(٢٨)نفسه .

(٢٩) شرح المفصل : ٣٧/١ .

(٣٠)شرح المفصل : ٣٨/١ .

(٣١) ينظر : جمهرة اللغة : سك ٢٥٧/٣

حياته الأولى والمؤثرات الخاصة التي اثرت فيها ، كما كانت قاصرة عن الحديث عن لقبه ونسبه . ولو عَرَّضَ الأقدمون لشيء من هذا لأعانونا على معرفة الأسس التي بنى عليها تكوينه العقلي ، ولكان بالامكان معرفة تدرجه بالعلم . غير أن ما وصل من اخبار قليل لا يكاد ينهض بشيء لمن رام أنْ يسجل له سيرةً او شبهها .

اغلب ظني أن ابن كيسان ولد ونشأ في بغداد وبها قضى حياته . يرجح هذا الظن أننّا لا نجد اشارة واحدةً تذكر أنه جاء الى بغداد قاصداً أو انه غادرها إلى غيرها من الامصار . ولما كنا لا نملك أية معلومات عن طفولته وأحوال أسرته فليس لنا إلا أن نلجأ إلى الافتراض مهتدين بالمنزلة العلمية التي صار اليها ابن كيسان في آخر حياته .

ومن الوارد أن يكون ابن كيسان قد نشأ في أسرة بها شغف بالعلم ، ولها وشائج تشدها إلى مجالس اللغوين والنحاة ، وقد تكون هي التي دفعته إلى هذا الاتجاه ، وربما كان امتلك هو نفسه نزوعه الخاص الى ارتياد هذه المجالس تحدوه ذهنيته الحادة ورغبته في العلم والتحصيل ، فتسرع به الى حلقات الدرس اللغويّ والنحوي التي كانت ناشطة في بغداد حيث حلَّ فيها الرئيسان ثعلب والمبرِّد ، فاذا به يتنقل بين حلقات الشيوخ الكبار ينهل من معينها ويتزود مما كانت ترفده تلاميذها من المعرفة ، فها هو ذا يبكر في الأخذ عن بندار الأصبهاني الذي كان عالما باللغة فقد أخذَها عن يعقوب بن السكيت[٣٢] وأبي عبيد القاسم بن سلام[٣٣].

ولمّا كان الكوفيون قد بسطوا هيمنتهم على مجالس الدّرس في بغداد كان

---

(٣٢) ذكر ابن كيسان مصاحبة بندار ليعقوب بن السكيت قال : الطهاة = الطباخون قال بندار صاحب ابن السكيت .(اشتقاق اسماء الله : ٤١) .

(٣٣) هو ابو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي . قال عمرو بن بحر الجاحظ : من المعلمين ثم الفقهاء والمحدثين ومن النحويين والعلماء بالكتاب والسنة ، والناسخ والمنسوخ ، وبغريب الحديث ، وإعراب القران ، وممن جمع صنوفا من العلم (طبقات النحويين : ٢١٧) .

لابد لابن كيسان أنْ يستقي علمه من شيوخ الكوفيون في أول نشأته ، فهـا هو ذا يتلمذُ لرأس مدرسة الكوفة الذي امسك بازمّتهـا حـين آلت اليه مقـاليدها ، فصار واحدا من البارزين في حلقة أبي العباس ثعلب شيخ الكوفيين في زمانه . ويبدو انه أفاد من علم الشيخ فائدة جمة ولا سـيما اللغـة ويبدو كذلك أنهُ كان يكن له احتراما كبيرا . يشهد عليه بقاؤه على وفائه له وإطراؤه علمه كلما ذكر وهو حاضر حـتى بعـد أن بدأت هيمنة الكوفيين تنحسر بالتدريج عن مواقعهـا أمام علل البصريين وأقيستهم العقلية التي كان المبرِّد أول من حملهـا إلى بغـداد حيث بدأ كثير من الدارسين يقـطعون صـلتهم بحلقـات أسـاتيذهم الكوفيين أو يؤمونها لماما ، إذ كانت مبادىء النحو البصري ومنطلقاته الذهنية تشق طـريقها إلى مجالس النحاة في بغداد وإلى أذهان الدارسين فيها . غيرَ أنَّ ابن كيسان مع تلمذته للمبرِّد ظـلَّ على وفائه للكوفيين(*) وواظـب على حضـور مجلس شـيخه ثعلب وبقي حتى ذلك الوقت يعـده أفضـل أهل زمانه ، ولَعـلَّ ما يؤكد ذلك ما صرح هو به حـين قال انصرفت من عند أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الى المبرِّد فقال لي : أين كنت ؟ فقلت عند أفضل أهل زمانه . فقال : تعني أحمد ابن يحيى ! قلت نعم[34]. وقد يداخلنا الشّـك في صـحة الرواية لما يحمله تصريح ابن كيسان فيها من غض من منزلة استاذه الجـديد المبرِّد وهو في حضرته ، الا أننَّا نجدُ في إصراره بحضرة المبرِّد على موقف مماثل ـ كما سيرد بعـد قليل ـ مما يؤيد جرأته على إطلاق مثل هذا القول أو ما هو قريب منه .

لقد كان دخول المبرِّد إلى بغداد بعـد مقتل المتوكل سـنة سـبع وأربعـين ومائتين[35] وما ان حل فيها حتى بدأ الدارسـون يرتادون مجلسـه بعـد مناظـرته الشهيرة مع الزجاج[36]، ليقرأوا عليه مبادىء النحو البصري ، وأحسب أنَّ ابن

★ اقصد بالوفاء هنا أن الصلة لم تنقطع بينه وبينهم ولا يعني هذا أنه بقي وفياً لآرائهم فقـد أخـذ فيما بعـد بآراء البصريين كما سيأتي بيانه في الفصول اللاحقة .

(٣٤) نور القبس : ٣٢٧ .

(٣٥) الكامل في التاريخ : ١٠٠/٧ .

(٣٦) ينظر معجم الادباء : ١٤١/٧ .

كيسان ولَجَ حلقته مُبكرا .

ويبدو أنهُ لم يكن حينذاك دارسا مبتدئا ، بل احسبه فقه النحو واتقن مسائل الكوفيين فلمْ تكن تراه الدارس المتلقي حسب ، بل كان يجادل ويدلي برأيه فيما كان يعرض من مسائل ، من ذلك ما رواه أبو الطيب اللغوي عن محمد بن يحيى[٣٧] قال : وكان ابن كيسان يسأل أبا العباس محمد بن يزيد المُبرِّد عن مسائل ، فيجيبه فيعارضها بقول الكوفيين ، فيقول : في هذا على مَنْ قاله كذا ويلزمه كذا . فاذا رضي قال له : قد بقي عليك شيء . لِمَ لا تقول كذا ؟ فقال له يوما وقد لزِمَ قولاً للكوفيين ولجٌ فيه . أنت كما قال جرير :

أسليك عن زيد لتسلي وقد ارى	بعينيك من زيد هوى غير بارح
إذا ذَكَرت زيداً ترقرق دمعُها	بمطروفةِ[٣٨] العينين شوساء طامِحِ
تبكي على زيدٍ ولم تر مَثله	براء مِنَ الحُمىٌ صحيح الجوانح
فإن تقصدي فالقصد منك سجية	وإن تجمحي تلقي لجام الجوامح[٣٩]

وربما فيما نقله الزجاجي في مجالس العلماء[٤٠] في مجلسه ثعلب والمبرد ما يؤيد هذا الزعم . ولعل فيه ايضاً ما يؤكد اهتمامه بالجدل النحوي .

وحين ملك ابن كيسان آداته ، وألم بمسائل اللغة والنحو تصدر للاملاء والتدريس فصار مجلسه عامراً يرتاده الدارسون من خاصة القوم وعامتهم .

والظاهر أن ابن كيسان تبوأ منزلة علمية واجتماعية رفيعة وفرت له سعة في العيش[٤١] جعلته لا يفرق بين موسر القوم وفقيرهم من الدارسين . فقد نقل

(٣٧) أضن أنه أبو بكر الصولي .

(٣٨) في معجم الأدباء : ٢٨١/٦ بمذروفة .

(٣٩) مراتب النحويين : ٨٨ وفي شرح الديوان : ١٠٥/١ وردت الابيات كالآتي :

أعزيك عما تعلمين وقد أرى	بعينيك من زيدٍ قذىً غير بارح
فان تقصدي فالقصد منك خليقة	وإنْ تجمحي تلقي لجام الجوامح

والبيت الأول في القصيدة حسب ترتيب الديوان هو : تبكي على زيد .... الخ وذكر المحقق أنْ في النسخة م ورد البيت : أعزيك عن زيد لتسلي .

(٤٠) مجالس العلماء : ١٣٤ ، ٢١٨ ، ٢٧٦ ، ٣١٨ .

(٤١) جاء في الامتاع والمؤانسة : ٦/٣ «وكان مكتوب على بابه ابن كيسان : أدخل وكل» وهذه العبارة

ياقوت عن أبي حيان التوحيدي قوله في ابن كيسان وقد كان يقرأ عليه مجالسات ثعلب في طرفي النهار وقد اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدواب للرؤساء ، والكتّاب ، والأشراف ، والاعيان الذين قصدوه . وكان مع ذلك اقباله على صاحب المرقعة الممزقة ، والعباءة الخلق والطمر البالي كإقباله على صاحب القصب والوشي والديباج والمركب والفاشية»[42].

وكان يعرض في مجلسه لجملة من مسائل التفسير والحديث واللغة والنحو ، ثم يسأل أصحابه عن مشكلاتها ، ويحاجُّ ما يأتون به . قال أبو حيان التوحيدي ما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم وخاصة ما يتعلق بالتحف والطرف والنتف من مجلس ابن كيسان فانه كان يبدأ بأخذ القرآن والقراءات ، ثم بأحاديث رسول الله ﷺ فاذا قرىء خبر غريب أو لفظة شاذة أبان عنها ، وتكلم عليها ، وسأل أصحابه عن معناها»[43].

رغم ما قد تحمله من مبالغة إلاّ أنّها تومي إلى يسر كان فيه ابن كيسان .

(٤٢) معجم الأدباء : ٢٨٢/٦ .

(٤٣) قال ياقوت في معجم الادباء : ٢٨٣/٦ : لا ارى أبا حيان أدرك ابن كيسان ، هذا إن صحت وفاته التي ذكرها الخطيب ، ولا يكون الصابي أيضا أدركه ، لأن مولد الصابي في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة . والذي ذكره الخطيب لا شك سهو فأني وجدتُ في تاريخ أبي غالب همام بن الفضل بن المهذب المغربي أنّ ابن كيسان مات سنة عشرين وثلاثمئة .

تواترت هذه الرواية عن أبي حيان عند كثير من الذين ترجموا لابن كيسان غير أن الشك الذى داخل ياقوتا في صحتها يتأتى من أنّ أبا حيان توفي في حوالي سنة ٤٠٠ وقد عمر إحدى وثمانين سنة فتكون ولادته في حوالي سنة ٣٢٠ وهي سنة وفاة ابن كيسان ، فليس من المعقول أن يكون قد حضر مجلسه . غير أن رواية أخرى تذكر أنّ أبا حيان توفي سنة ٣٨٠هـ (ينظر الكنى والالقاب ج/) فتكون على ذلك ولادته سنة ٣٠٠هـ وبهذا يكون من الممكن أن يحضر مجلس ابن كيسان . إلاّ انّ أمراً آخر يبق غير مقبول أيضا وهو ما رواه أبو حيان من قول الصابي عن ابن كيسان «هذا الرجل من الجن» فالصابي ولد سنة ٣١٣هـ ويستحيل الاقتناع بأنه أطلق هذا القول على ابن كيسان وهو في السنة السابعة من عمره اذا افترضنا أنّ ما حدث كان في السنة الاخيرة من حياة ابن كيسان . لهذا قد يتبادر إلى الذهن أنّه ربما كان المقصود «علي بن محمد بن أحمد بن كيسان» ولكن هذا الظن لا يتحول إلى يقين للأسباب الاتية :

إن الذين ترجموا لمحمد بن أحمد ذكروا نص أبي حيان في ترجمته ولم يفعلْ ذلك مَنْ ترجم لعلي بن محمد ولم يلتفت ياقوت الى مثل هذا الاحتمال مع شكه في صحة الرواية .

٢/ إن علياً ما عرف بغير الحديث الذي ينقله عن يعقوب القاضي .

لقــد مكنته هذه المنزلة العلمية من أن يوثق عرى علاقاته مع القضــاة والفقهاء لما كانوا يظهرون من إعجاب بسعة علمه ، ورجاحة عقله ، وغرائب ما يأتي به من الأقيسة النحـوية . ذكروا أن القـاضي اسماعيل[44] كان مفتتنا بما يأتي من مقاييسه في العربية ، وكان له مجلس معه عقيب صلاة الجمعة في جامع المنصور[45]، ومن[46] أمثلة ما كان القاضي يُعجَـب به من قياسـات أنهُ سـأله مرةً عن رأيه في قراءة الجمهور ـ إلاّ أبا عمرو ـ «إنَّ هذانِ لساحرانِ» ما وجههـا على ما جرت به عادتك من الاغراب في الاعراب ؟ فأطـرق ابن كيسـان ملياً ثم قال : نجعلها مبنية لا معربة وقد استقام الأمر ؛ فقال له اسماعيل القاضي : فما علة بنائهـا ؟ قال ابن كيسـان : لأنَّ المفـرد منهـا ، هذا وهو مبني والجمع هؤلاء وهو مبني ، فيحتمل التثنية على الوجهـين . فعجـب القـاضي من سرعة جوابه ، وحدة خاطره ، وبعيد غوصه ، وقال ما احسـنه يا ابا الحسـن لو قال به أحد فقال : ليقل به القاضي . وقد حسن ومشى[47].

مشاركـــوه في الكُنيـــة :

لأبدَّ لنا ـ ونحن بصدد البحث عن منهج ابن كيسان في الدرس النحوي ـ

٣/ أجمع من ترجم له على أنه لا يحسن التحديث كما سيمر في ترجمته .

٤/ لم يعرف له كتاب واحـد ولم يرد عنه نقـل في كتب الاقدمين . فهـو لكل ما تقـدم لا يبدو أهلاً لأنْ يوسم بما قاله ابو حيان . والذي أظن أنَّ من المحتمل سقوط سـند نقـل عنه أبو حيان وقد يكون الصـابي غير أبي اسحق وربما كان تعليقه على خبر قرأه أو حسب ما نقل أبو حيان

(٤٤) هو اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي : فقيه على مذهب مالك وكان من نظراء المبرِّد ووُلّي قضاء بغداد والنهـروانات ثم وُلّي قضـاء القضـاة إلى إنْ توفي فجـأة (اعلام : ٣٠٥/١) وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين ومائتين (فهرست : ٢٠٠) .

(٤٥) جامع المنصور هو الجامع الذي كان ثعلب يملي فيه على أصحابه .

(٤٦)إنباه الرواة : ٥٨/٣ .

(٤٧) انباه الرواة : ٥٨/٣ . وقد نقل القرطبي في الجامع في تفسير القـرآن :٢١٩/١١ عن أبي جعفـر النحـاس عن ابن كيسان قوله سألني اسماعيل بن اسحق عنها فقلت القـول عندي إنّه لّما كان يقـال هذا في موضـع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة وكانت التثنية يجب ألاّ يغيَّر لها الواحد ، أجريتْ التثنية مجـرى الواحد .

أن نبحث عمّن يشاركه في كنيته ، إذا كان هناك من يشاركه حقا ليتسنى لنا دفع ما قد يقع من التباس لأنني سأعتمد في الوصول إلى الكشف عن منهجه ما جمعته من آرائه مما نقلته كتب النحو واللغة ، فأصبح ـ لِزاما أن أبحث عمن يشاركه في كنيته تجنباً للخلط ودفعا للشك ، لأنَّ أكثر كتب النحو واللغة تنقل في بعض الأحيان هذه الآراء منسوبة لابن كيسان دون التصريح باسمه أوكنيته الاولى ابو الحسن فتقول مثلا : ذكر ابن كيسان ، قال ابن كيسان ، وما إلى ذلك ، لذا تتبعت أولئك الذين كانوا يشاركونه الكنية ، وحاولت أن أتحرى ميدانَ نشاطهم العلمي تأكيداً لنسبة آراء صاحبي إليه . فلم أجد في اللغويين والنحوين واحدا كُني بهذة الكنية غير صاحبي في كتب الطبقات التي اطلعت عليها ، أضف إلى هذا أنه لا يذكر بدون كنيته الأولى أبو الحسن إلا قليلا .

ولم اجد فيمن دُعي بـ بابن كيسان نحويا غيره . فأكثر الذين حَملوا هذه الكنية كانوا ممن يشتغلون في الحديث وروايته ، ولا صلةَ لغيرِ صاحبي بالنحو .

وها أنذا أورد أسماء المشهورين من هؤلاء وأهم سماتهم العلمية :

١ ـ صالح بن كيسان :

كان مُؤدبا لأبناء عمر بن عبدالعزيز وكان من فقهاء المدينة الجامعين بين الحديث والفقه ، وهو أحد الثقات في رواية الحديث[٤٨]. فصالح بن كيسان متقدم بكثير على أبي الحسن بن كيسان ، وليس له أي نشاط في الدرس النحوي أو اللغوي فلم يرِدْ عنه قول يمكن ان يثير شكاً في نفس الباحث ، او يدعو الى توهم .

وجل ما رأيته له بضع مسائل فقهية اوردها القرطبي مصرحا بأسمه .

٢ ـ طاووس بن كيسان ابو عبدالرحمن الخولاني :

أحد الأعلام التابعين . سمع ابن عباس وأبا هُريرة رضي الله عنهما ، وروى عنه مجاهد[٤٩]. توفي بمكة سنة ١٠٦ هجرية وقيل سنة ١٠٤ هجرية . سمع

---

(٤٨) الأعلام : ٢٨٠/٣ .

(٤٩) وفيات الأعيان : ١٩٤/٢ .

عنه الحديث أبو عبدالله هارون بن موسى[50].

٣ ـ سليم بن كيسان :

رَوى البغدادي عن أبي النجم قوله : ولم يكن في الرصافة أحد يُضيِّف إلاّ سليم بن كيسان الكلبي[51] وما زاد على هذا شيئًا . ولم اقف على إشارة إليه في موضع آخر .

٤ ـ ابو بكر عبدالله بن كيسان :

ذكره الجاحظ في البيان والتبيين في معرض تعداده المعلمين قال : وكان ابو بكر عبدالله بن كيسان معلما[52].

٥ ـ عبدالرحمن بن كيسان :

ذكره القرطبي حين عَرض لمسألة من مسائل الفقة فقال : وقال الأصم عبدالرحمن بن كيسان وداود بن علي وجماعة أهل الظاهر[53] ولم يرد ذكره في أية مسألة لغوية أونحوية ، كما أنهُ ذكره بالكنية والاسم واللقب كاملا ، ولعلّه كان يحترز من اللبس لِئّلاً ينصرف الذهن إلى أبي الحسن بن كيسان الذي ورد ذكره في الجامع في مواضع عديدة .

٦ ـ محمد بن الحسن بن كيسان المصيصى :

يروي عن سعيد بن سلام العطّار عن سفيان الثوري[54].

٧ ـ وهب بن كيسان :

يَروي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ[55].

٨ ـ محمد بن بشار بن عثمان بن كيسان :

هو أبو بكر البَصْريّ يُعرَف ببندار . مات سنة اثنتين وخمسين

(٥٠ نزهة الألبّاء : ٣٧ .

(٥١) خزانة الادب : ٤٠٦/١ .

(٥٢) البيان والتبيين : ٢٥٢/١ .

(٥٣) الجامع لاحكام القرآن : ٨١/٣ .

(٥٤) تاريخ بغداد : ١١٠/٢ .

(٥٥) تاريخ بغداد : ١١٠/ .

ومائتين[٥٦]. وكان من حُفاظِ الحديث الثقات .لم يخرج مِنَ البصرة[٥٧].

٩ ـ محمد بن أحمد بن تمام بن كيسان :

هو أبو عبدالله الصالحي الحنبلي الخيَّاط ، هو الشيخ البركة أخو الشيخ تقي الدين بن تمام . ولد بطريق الحج سنة ٦٥١ هجرية[٥٨].

اسرتـــــــه :

ليس مما بين أيدينا ما يتطرق إلى تفاصيل حياة ابن كيسان وأسرته . فلم يذكر أحد ممن ترجم له شيئًا عن أبيه أو أحد اسرته في أثناء ترجمتهم له . غير أنني وجدت في عدة مواضع من تاريخ بغداد[٥٩] ذكر جماعة من المحدثين سمعوا عليّ بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ، ثم ترجم له الخطيب فقال علي بن محمد بن أحمد بن كيسان ، أبو الحسن الحربي ، سمع يوسف بن يعقوب القاضي . حدثنا عنه محمد بن علي بن مخلد ، والبرقاني والحسين بن جعفر السلماسي والتنوخي والجوهري وجماعة غيرهم . قال لنا التنوخي : سألنا علي ابن محمد بن أحمد بن كيسان عن مولده فقال : ولدت في سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وأخرج إلينا مولده بخط أبيه : ولد علي ومحمد ابنا محمد في بطن واحد ليلة الجمعة لخمس مضين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائتين أول يوم من آب . قلت : وهو أخو الحسن الذي حدث عن اسماعيل القاضي وكان يسكن بدكان الابناء[٦٠]. قال لنا البرقاني : كان ابن كيسان لا يحسن

(٥٦) تاريخ بغداد : ١٠٥/٢ .

(٥٧) الاعلام : ٢٧٧/٦ .

(٥٨) الوافي بالوفيات : ١/ ورقة ٧٢ .

(٥٩) حدث عنه محمد بن ابراهيم المطرز (ولقبه صاحب تاريخ بغداد بالحربي ٤١٨/١) واحمد بن محمد بن العباس المعروف بابن بكران . تاريخ بغداد ٧٢/٥ ، وسمعه محمد بن علي أبو الحسين الورّاق : تاريخ بغداد : ٩٤/٣ ، وسمعه محمد بن أحمد بن شعيب : تاريخ بغداد : ٣٠٧/١ ، وورد ذكره في طبقات الشافعية : ٩٦/٤ ، قال سمع ابن كيسان النحوي وحسب .

(٦٠) أظنها واحدة من محال بغداد غير أنني لم أعثر على ذكر لها في كتب البلدان وتواريخ بغداد .

يحدث ! سألته أن يقرأ عليَّ شيئاً من حديثه فأخذ كتابه ولم يدر أي شيء يقول : فقلت سبحان الله حدثكم يوسف القاضي[٦١]. إلا أنَّ سماعه كان صحيحاً . سمع مع أخيه من يوسف القاضي . ذكر الجوهري أنهُ سمع منه في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[٦٢].

واعتمده ابن عبدالبر صاحب كتاب «القَصد والأمم في الانباه على قبائل الرواة» مصدرا من مصادره في ذكر الأنساب وقال وكتاب علي بن كيسان الكوفي في أنساب العرب قاطبة[٦٣]، ووصفه بالنسابة ونقل عنه في عدة مواضع روايات في الأنساب[٦٤]. كما ترجم له صاحب ميزان الاعتدال[٦٥]. ونقل ترجمته صاحب لسان الميزان فقال : عليّ بن محمد بن أحمد بن كيسان عن يوسف القاضي . كان عنده رواية جزءين فقط وعنه البرقاني والتنوخي والجوهري ، قال البرقاني : كان لا يحسن الحديث ! سألته أنْ يقرأ عليَّ شيئًا من الحديث فأخذ كتابه ولم يدرِ أيَّ شيء يقول ، فقلت له : سبحان الله حدثكم يوسف القاضي إلاّ أنَّ سماعه كان صحيحا مع أخيه . وذكر الجوهري أنّه سمع منه سنة ثلاث وتسعين ومائتين[٦٦]، وجاء في معجم الادباء أنَّ عليَّ بن المحسن التنوخي سمع أبا الحسن علي بن أحمد ابن كيسان النحوي[٦٧] فإذا نظرنا الترجمتين المذكورتين رأينا أنَّ

(٦١) هو يوسف بن يعقوب بن اسماعيل الازدي ، حافظا للحديث له كتاب السنن كان ثقة صالحاً مهيباً ولّي قضاء البصرة وواسط سنة ٢٧٦ وضمُّ إليه قضاء الجانب الشرقي من بغداد . (تذكرة الحفاظ : ٢٠٩/٢) وقد سكن بغداد وحدثُ فيها وتوفي سنة ٢٩٧هـ . (تاريخ بغداد : ٣١١/٤ ، ٣١٢) .

(٦٢) تاريخ بغداد : ٨٦/١٢ . نقي المذهبي في العبر جـ ٢/ص ٣٦٥ ، أن يكون الخطيب او غيره ترجم له وليس كذلك .

(٦٣) القصد والأمم : ٤٦ ، وجاء في مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٢٦ سنة ١٩٥١ ص ٢٢٨ قال الاشعري صاحب اللّباب في الأنساب : ومن العلماء بالنسب محمد بن اسحق وأبو عبيدة بن حبيب ومصعب بن عبدالله الزبيري وعلي بن كيسان الكوفي .

(٦٤) ينظر : القصد والامم : ٢٣ ، ٣١ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٤

(٦٥) ميزان الاعتدال : ٢٣٧/٢ .

(٦٦) لسان الميزان : ٢٥٥/٤ .

(٦٧) معجم الادباء : ٣٠١/٥ .

ابا الحسن بن كيسان قد أنجب ثلاثة أبناء اهتموا جميعهم بالحديث وروايته ، والظاهر أن الحسن كان أكبرهم لأنَّ ابن كيسان كان يكنى به ، ولأنَّ صاحب تاريخ بغداد يُعَرِّف علياً بأنه أخو الحسن ، كما أنَّ الحسن حدث عن اسماعيل القاضي وهو اقدم من يوسف القاضي الذي حدث عنه علي . وقد توفي الحسن سنة ثمان وثلاثمائة[68]. وقد حدَّث الحسن كذلك عن يوسف القاضي[69]. قد اختلف سماع الجوهري عن علي بن كيسان فذكر الخطيب أنه سمع سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وأغلب الظنّ أنّ ما ورد في الميزان سهو أملاه تقارب الرسم بين السبعين والتسعين لأننا إذا استندنا إلى مولده الذي وثَّقه الخطيب بخط أبيه يكون تحديثه في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة أقرب للامكان . فقد قال الذهبي إن علي بن محمد بن كيسان عاش نيفا وتسعين سنة فأحتج إليه وكان جاهلاً[70].

وفـــاتـــــه

أجمع أكثر الذين ترجموا لأبن كيســان على أنَّ وفاته كانت في الثامن من ذي القعدة سنة ٢٩٩هـ . ولعل أقدم مَنْ ذكر هذا أبو بكر الزبيدي[71] المتوفى سنة ٣٧٩هـ وتابعه في ذلك أكثر القدماء الذين مرَّ ذكرهم في ما تقدم من البحث .

وذكر القِفطي أن الزبيدي قال إنَّ هذا التاريخ لوفاته غلط[72] ولم أجد هذا

(٦٨) جاء في العبر في خبر من غبر : ٣١١/٢ سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة : وفيها الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان أبو محمد الجري ، أخو علي . ثقة روى عن اسماعيل القاضي والكبار ومات في شوال .

(٦٩) جاء في الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع : ١٤٢ قوله حدثنا القاضي الشهيد أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أحمد أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله أخبرنا الحسن بن محمد بن كيسان أخبرنا يوسف القاضي ......

(٧٠) العبر في خبر من غبر : ٣٦٥/٢ .

(٧١) طبقات النحويين : ١٧١ .

(٧٢) أنباه الرواة : ٥٩/٣ .

في ترجمة ابن كيسان عند الزبيدي في طبقاته كما مر بنا . وأغلب الظن أنّ القفطي كان يعني «ياقوت» الذي وردت عنده ، بحدود علمي ، اول إشارة إلى تخطئة هذا التاريخ لوفاة ابن كيسان في معرض نقله حديث أبي حيّان التوحيدي عن مجلس ابن كيسان وتعليقه على ما ذكره الخطيب البغدادي[٧٣] من أنهُ بلغه أنّ وفاة ابن كيسان كانت في سنة ٢٩٩ هجرية ، قال الذي ذكره الخطيب ، لاشك ، سهو فاني وجدت في تاريخ أبي غالب همام بن الفضل بن المهذب المغربي أنّ ابن كيسان مات في سنة ٣٢٠هـ "[٧٤]. وقد ذكر السيوطي الروايتين جميعا .

أما المحدَثون فقد بين الروايتين دون تحقيق فتابع فلوجل[٧٥] ما جاء في معجم الادباء وجعل وفاته سنة ٣٢٠ هجرية ، واعتمد بروكلمان الرواية الأولى في موضع ، واعتمد الثانية في موضع ثانٍ[٧٦] ولا اجد ضرورة لتعداد المحدثين وما رأوه في هذا فجُلُ اعتمادهم على ما ورد عن الأقدمين .

وإذا ما توخينا الترجيح فاني أميل إلى أنه توفي سنة ٣٢٠هـ وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ ما نقله ياقوت عن همّام بن المفضل المغربي الذي قال بوفاته سنة ٣٢٠هـ .

٢ ـ رواية القالي عنه وقد ذكرتها في مبحث تلمذة القالي له . فالقالي دخل بغداد سنة ٣٠٥هـ وبارحها الى الأندلس سنة ٣٢٨هـ وروايته عن ابن كيسان تعني أنّ ابن كيسان عاش الى ما بعد سنة ٣٠٥هـ .

٣ ـ حديث أبي حيأن عن مجلس ابن كيسان الذي يجعلنا نميل الى الأخذ

---

(٧٣)ينظر : تاريخ بغداد ٣٣٥/١ .

(٧٤) معجم الأدباء : ٢٨٣/٦ وذكرت خديجة الحديثي في كتابها أبنية الصرف في كتاب سيبويه منشورات مكتبة النهضة ص ٢٩ ، حين تحدثت عن اسماء بعض كتب التصريف أنّ وفاة ابن كيسان سنة ١٢٠هـ وكررت تاريخ وفاته في الخاتمة ولعلّه خطأ طباعي أو سهو في نقله عن مصادره لتشابه رسم الرقم مع ٣٢٠هـ .

(٧٥) بروكلمان / عربية : ١٧١/٢ .

(٧٦) نفسه : ٧٠/١ وفاته ٣٢٠هـ ٧١/٢ وفاته ٢٩٩هـ .

بالرواية الثانية ذلك أنَّ الحقبة الزمنية بينهما على ذلك تضمُر إلى الحدِّ الذى يُمكننا من تلفيق الروايات ليصبح بالأمكان أنْ يكون التوحيدي قد حضر مجلس ابن كيسان لأنَّ في روايات وفاة أبي حَيان رواية تقول انه توفي سنة ٣٨٠ وقد ناقشت هذه المسألة في موضع سابق .

٤ ـ ما ذكره الغالبي في شرح «السبع الطوال»[٧٧] من أنه قصد بعد وفاة ابن كيسان الى أبي أحمد الجريري[٧٨] وهو شيخ من مشايخ ثعلب فأملى عليه شرح معلقة عنترة . وإذا علمنا أنَّ الجريري توفي سنة «٣٢٥هـ» والقالي يسمهُ بالشيخ فن الممكن تصور أنَّ ذلك حدث في فترة متأخرة من حياته وهي تُقرب إلى الذهن أنَّ ابن كيسان توفي في زمن مقارب لوفاة الجريري ولماَّ كان سند الرواية ينص على أنَّه توفي سنة ٣٢٠هـ كان الأخذ بها أقرب إلى القبول .

٥ ـ تلمذة أبي جعفر النحاس له وأخْذَه عنه كثيرا كما هو واضح فيما يرويه ... ؟

ثقافته وأقوال العلماء فيه :

ربّما جاز لنا أنْ نعدَّ وجود الشيخين ثعلب والُمبرِّد في الحقبة التي عاش فيها ابن كيسان وعصريّوه من نحاة بغداد حاجزا يقف في سبيل من أراد من أولئك النحاة أن يتبوأ مقاما يضاهي المنزلة التي وصل اليها الشيخان ، ذلك انَّ ثعلبا والمبرِّد قد احتلاَّ مكانة خاصة بوراثتهما علم الكوفيين والبصريين في اللغة والنحو ، فقد نضجت الدراسات النحوية واللغوية على أيديهما ، واستتبت هيمنتهما طويلاً في مدارس بغداد ، فالحقا الحيف بمن عاصرهما من النحاة .

---

(٧٧) شرح السبع الطوال : ٦٧ .

(٧٨) هو محمد بن أحمد بن يوسف بن اسماعيل بن خالد بن عبدالملك بن جرير ابن عبدالله الحريري (تاريخ بغداد : ٣٧٦/١) توفي سنة ٣٢٥هـ .

ومع ذلك فالذي يبدو لي ان ابن كيسان قد ألمَّ بدقائق المسائل اللغوية والنحوية وحذق فيها الى حدّ مكّنه من أنْ ينفرد بآراء خاصة به هي وليدة ثقافة واسعة رفدتها روافد متعددة ، منها ما أخذه عن أساتيذه وكلّهم قد تضلّع من العلم لغة ونحوا ، فقد درس اللغة على بندار الاصبهاني الذي أخذها[79] عن أبي عبيد القاسم ابن سلام . وقد قرأ الفاظ ابن السكيت على أحمد ابن يحيى، ، وسمع غيره يقرأه عليه وهو ينظر في نسخته ، وقد أشار هو إلى ذلك بقوله «قرأت على أحمد بن يحيى وسمعت هذا الكتاب يقرأه عليه ابن بكير من أوله الى آخره وأنا أنظر في نسختي هذه[80]». ثم اخذ عن المبرِّد فأكتملت عنده مباحث النحو البصري . وكان قد اطلع على كتاب سيبويه ونظر فيه بعين العالم الفاحص المتجرد الذي لايَلْوي به انتماؤه لجماعة من الدارسين لى أنْ يقول غير ما يرى ، فها هو ذا في تقويمه الكتاب يقول «نظرنا ؛ كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه ، ووجدنا الفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح لأنهُ كتاب ألِّف في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ فاختصر على مذاهبهم[81]» .

ويُخَطِىء النحّاس في فهم ما ذهب إليه ابن كيسان في نقده لكتاب سيبويه إذ يقول فيا ينقل البغدادي عنه «ورأيت علي بن سليان يذهب الى غير ما قاله ابن كيسان . قال : عمل سيبويه كتابه على لغة العرب[82] وكأنَّ ابن كيسان لم يقلْ مثل هذا : في ظنيّ أنَّ ابن كيسان ذهب إلى أنَّ اللغة تتطور في الاستعمال فتختلف أساليبها حقْبة بعد حقبة ، فقد تندرس مفردات وتظهر أخرى ، وقد يألف قوم لغة الأيجاز في عصر تكون فيه اللغة نقية التراكيب ، أصيلة منزهة عن الدخيل في المفردات والمصطلحات والأساليب . وقد يحتاج غيرهم إلى

---

(٧٩) بغية الوعاة : ٤٧٦/١ .

(٨٠) تهذيب الالفاظ : ١ .

(٨١) خزانة الأدب :١٧٩/١ .

(٨٢) المصدر السابق .

التفصيل والاطناب في حقبة ثانية تبعاً لاختلاف البيئة الثقافية وتداخل اللغات والمصطلحات ، وتعقد الحياة الاجتماعية . فما أراد ابن كيسان كما أظن أن سيبويه وضع كتابه على غير أساليب العرب . وما أظن النحاس أحسنَ المقالة في هذا .

وإذا ألمَّ ابن كيسان بمادة الكتاب صار الناس يقصدونه لقراءته عليه[٨٣]. قال أبو بكر مبرمان[٨٤]: قصدت ابن كيسان لأقرأ عليه كتاب سيبويه فامتنع وقال اذهب إلى أهله يشير بذلك إلى الزّجّاج[٨٥]. وقد نَلْمَحُ في هذه الأشارة شيئين : الأول : انه لم يكن قد وضع نفسه إذ ذاك في صف البصريين ، فهو يفضل الاستغناء عن مصدر كسب كان هو سبيل العلماء إلى العيش على إقراء كتاب سيبويه . والثاني : تواضعه وخلقه العالي في إشارته إلى الزجّاج وجدارته أن يقرأ الكتاب عليه .

لقد أحاط ابن كيسان علماً بما كتبه العلماء قبله ، ومانُقِلَ عن المتقدمين في ميادين الدرس اللغوي ، فها هو ذا ينقل عن الخليل بن أحمد في كتابه «تلقيب القوافي» آراء متعددة ويتابعه فيها ويضيف اليها ما تُسعِفه به ثقافته ، شارحا ومفصلاً القول ومؤكداً إياه بالأمثلة والشواهد الكثيرة ، مما يدل على سعَة في الاطلاع وغزارة في الحفظ ودقة في الملاحظة جعلته قادراً على أنْ يتلطف في ألاّ يجعلَ شيئا زائداً في القرآن ويُخرِجَ له وجهاً يخرجه مِنَ الزيادة[٨٦]. كل ذلك يجَرْي بلغة سليمة سهلة بعيدة إلى حد كبير عن التعقيد والتَمحُّلِ اللغوي .

الثقافة المنطقية

لم ينس ابن كيسان أنْ يتزود بما كانت العلوم العَقلية والمنطقية تقدمه بعد

(٨٣) قرأه عليه محمد بن بحر الرهني . كما سيرد ذكره في مبحث تلاميذه .

(٨٤) هو ابو بكر محمد بن علي بن اسماعيل تلميذ المبرد : طبقات النحويين : ١٢٥ .

(٨٥) طبقات النحويين : ١٧١ .

(٨٦) مشكل اعراب القرآن : ٣٩٩ .

أنْ تزود بعدة وفيرة من العلوم النقلية ، فتراه يستعير جملة من مصطلحات المتكلمين والمناطقة ويأخذ بتعليلاتهم وقياساتهم . وقد أشار الزجّاجي إلى ذلك حين تحدّث عن حدّ الاسم عند ابن كيسان بقوله «وحدّه في الكتاب المختار بمثل الحدِّ الذي ذكرناه من كلام المنطقيين»[٨٧]. وحدّ المنطقيين الذي ذكره الزجّاجي هو أنَّ «الاسم صوت موضوع دالٌّ باتفاق على معنى مقرون بزمان»[٨٨]. وعلقٌ عليه الزجّاجي بقوله «وليس هذا من الفاظ النحويين ولا أوضاعهم وإنما هو من كلام المنطقيين وإنْ كان قد تعلقٌ به جماعة من النحويين»[٨٩].

وقد قاده هذا النشاط العقلي ـ أحيانا ـ إلى إيغال في طلب التعليلات المجردة البعيدة عن الحسّ اللغوي . من ذلك ما ذكره في أحوال تاء الفاعل قال : «لمّا كان المتكلم إذا أخبر لا يكون إلاّ واحداً ، وإذا خاطب فقد يخاطب أكثر من واحد ألزمَ الحركة الثقيلة مع اسمه ، وفتح اسم من خاطبه لأنهٌ يكثّر ويُعطف بعضه على بعض»[٩٠].

وتتضح ذهنيته المنطقية الحجاجية وقدرته على التجريد النحويّ برفضه أن يكون المبتدأ ارتفع لتعرّيه من العوامل اللفظية ، فهو يرى انَّ هذا المذهب يفسده كون ذلك مؤديا إلى أنْ يكون وجود العامل أضعف من عدمه إنْ قدّرتَ أنَّ التعرية من عامل نصب أو خفض ، لأن التعرية تعمل رفعا ، ووجود العامل الذي قدّرتَ التعرية عنه يعمل نصبا أو خفضا ، وعامل الرفع أقوى من عامل النصب والخفض ، إذ قد يعمل النصب والخفض معنى الفعل ، وليس كذلك الرفع . وإذا قدّرتَ التعرية من عامل رفع كان وجود العامل وعدمه سواء وإنما ينبغي أنْ يكون الشيء موجوداً أقوى منه معدوماً»[٩١].

---

(٨٧) الايضاح في علل النحو : ٥٠ .

(٨٨) المصدر السابق : ٤٨

(٨٩) المصدر السابق : ٤٨

(٩٠) شرح التسهيل المرادى : ١٢٩

(٩١) شرح جمل الزجاجي : ٢٣١/١

وقريب من كلام المنطقيين حدّه للحرف بأنهُ «ما حدث به معنى غير معنى الاسم والفعل ولا يقال حرف جاء لمعنى لأنَّ الاسم والفعل جاء لمعنى[92]» .

ومن ظواهر تأثره بالفلسفة الكلامية ما نلمحه هنا وهناك في طبيعة معالجته مسائل النحو . من ذلك ما جاء في حديثه عن واو المعية . قال : «هي للمعية حقيقة واستعمالها في غيرها مجاز . قال : لانها لما احتملت الوجوه الثلاثة ، ولم يكن فيها أكثر من جمع الأشياء كان أغلب أحوالها أنْ تكون للجمع في كلِّ حال حتى يكون في الكلام ما يدل على التفرق[93]».

معرفتـــه لهجـــات القبـــائل :

فقه ابن كيسان لهجات العرب وكان على علم باساليبها وما رويَ عنه في عدة مواضع من روايات تتعلق بمسائل الاختلافات بين اللهجات يشير إلى هذه الأحاطة . وربما كان ابن كيسان شافَهَ الاعراب ، وربما كان أحاط بها من أطلاعه على ما نقله العلماء قبله .

ومع انني لا أملك دليلا قاطعا يكشف عن طبيعة هذا النقل إلاّ أنني أميل الى القول بأنه شافه الأعراب مباشرة لأن طبيعة كثير من النقول التي وردت عنه في هذا الباب توحي بأنّه استقاها من منابعها لأننا في عدد آخر من هذه النقول نراه يسندها إلى قائليها من شيوخه . ولعلَّ من المفيد ان أنقل هنا أمثلةً على ما ورد عنه من نقول يبدو فيها أنه قد أخذ عن الأعراب مباشرة :

١ - قال أبو الحسن[94]: حُكي في المستقبل «يِيْتَغُ» وهي لغة فيما كان على هذا الوزن من الأفعال نحو :وَجَلَ يَوجَل . وبعض العرب يقول : ييجْل .و ليست في كلِّ العرب[95]..

---

(٩٢) الحلل : ٨١

(٩٣) جمع الهوامع : ١٢٩/٢

(٩٤) ابو الحسن في كتاب تهذيب الالفاظ هو ابن كيسان لأنَّ نسخة باريس بروايته وله عليها تعليقات أدرجت في المتن وأخرجها محققة لويس شيخو إلى الهامش .

(٩٥) تهذيب الألفاظ : ٣٦٤ والبارع : ٣٢٦ .

٢ - وحكى ابن كيسان عن العرب : أين ذَهبَ زيدُ فنَتَبعَهُ ؟ وكذلك ، كَمْ مالك فنعرفَهُ ؟ ومَنْ أبوكَ فنكرَمهُ ؟ بالنصب بعد الفاء[96].

٣ - وفي قول الشاعر :

إذا اشتبَه الرشدُ في الحادثا   ت فاْرَض بأيتها قَدْ قدِ

حَكى ابن كيسان ان أهل هذه اللغة يثنون «أيا» ويجمعونها فيقولون : أيّاهم ، وأييهم : وأيوهم ، وأيِّهم ، وأيتّاهن ، وأيتّهن ، وأياتهن[97] .

٤ - وفي الكلام على التوكيد بـ «نفس» و «عين» نقل الازهري أنهُ يجوز في غير الأفْصح نفسهما ، عينها بالافراد ، ونفساهما وعيناهما بالتثنية عند ابن كيسان سماعاً ، وقيل على ما حَكى ابن كيسان عن بعض العرب[98].

٥-ذكر ابو الحسن بن كيسان أنّه قيل في بعض اللغات : دِرْهَام[99].

٦-ومما يرجح أنَّه سِمعَ من الأعراب ما ذكره الزجّاجي من أنَّ ابن كيسان كان يقول في أماليه وكتبه : العلوم والأشغال إذا اختلفت أنواعها جمعَتْ . وعقّب الزجّاجي على ذلك بأنَّ ابن كيسان إمَّا أنْ يكونَ سمع أو قاس[100].

٧ - وفي قول الشاعر : وإن الذي حانتْ بفلْجٍ دماؤهم ...

قال ابن كيسان : هذه لغة لربيعة ، يحذفون النون فيكون الجمع كالواحد لما كان الاعراب فيا قبلها ، وأنشد :

يا ربَّ عَبْسٍ لا تبارِكْ في أحدْ   في قائم منهم ولا فيمَنْ قَعَدْ
غير الذي قاموا بأطراف المسد[101].

---

(٩٦) البحر المحيط : ٢٢٠/٨

(٩٧) شرح التسهيل : ٢١٥

(٩٨)شرح الرضي على الكافية : ٢٩٤/١ ، شرح التصريح : ١٢١/٢ .

(٩٩) خزانة الأدب : ٢٥٦/٢

(١٠٠) اشتقاق اسماء الله : ٤٨

(١٠١) سمط اللآلي : ٣٥/١ .

شيوخـــــه :

أخذ ابن كيسان النحو واللغة عن ثلاثة شيوخ لم أجدْه نقل سماعه عن غيرهم ولم يذكر أحد من القدماء تلمذته لغيرهم فيما اطلعْتُ عليه من كتبهم والعلماء الذين عَنَيتتُ هم :

١ - بندار الاصبهاني : هو ابو عمرو بندار بن عبدالحميد الكرخي الأصبهاني[١٠٢]، يعرف بابن لـرّه[١٠٣]. ذكره محمد بن اسحق فقال : أخذ عن أبي عُبيد القاسم بن سلام واخذ عنه ابن كيسان[١٠٤] وكان بندار ممن استوطن[١٠٥] الكرخ ، ثم خرج منها الى العراق[١٠٦]، فظهر هناك فضله[١٠٧]. والظاهر ان بندار كان كثير الحفظ للشعر . قال أبو علي القالي : حدثني أبو بكر محمد بن القاسم عن أبيه القاسم . قال : كان بندار يحفظ مائة قصيدة ، أول كلٌ قصيدة بانت سعاد[١٠٨]، وقيل سبعمائة قصيدة[١٠٩]، وعلى الرغم مما قد يحمله هذا الزُّعم من مبالغة فانٌ فيه دليلاً على سعة حفظ بندار للشعر . وقد كان بندار متقدما في علم اللغة ورواية الشعر . حدّث أبو بكر بن الانباري في اماليه ببغداد قال : سمعت أبا العباس الأموي يقول : كان بندار

---

(١٠٢) بغية الوعاة : ٤٧٦/١/١ .

(١٠٣) في الفهرست : ٨٣ : ابن لزه الكرخي من علماء الجبل واسمه مقداد بن عبدالحميد ، ولزه لقب ويكنى مقداد بأبي عمرو ، خلط المذهبين .

(١٠٤) معجم الادباء : ٣٩٠/٢ ، ٣٩١ . وذكر محقق مقاييس اللغة ج١ ص٤ أن ابن النديم ذكره في صفحة ١٣٠ ونقل ما رواه ياقوت من تلمذة بندار لأبي عبيد أو تلمذة ابن كيسان له ولم أجدها في الفهرست كما لم أجد الفهرست في مسرد مراجع محقق مقاييس اللغة لا تثبت من النسخة التي اعتمدها وأظنه اعتمد ما نقله ياقوت دون الرجوع إلى الفهرست .

(١٠٥) ربما كان المقصود «كرخ جدان» وهو بليد في آخر ولاية العراق بنواح خانقين عن بعد وهو الحد بين ولاية شهرزور والعراق (معجم البلدان : ٢٥٥/٤) .

(١٠٦) معجم الأدباء : ٣٩٠/٢ .

(١٠٧) بغية الوعاة : ١ : ٤٧٦ .

(١٠٨) طبقات النحويين : ٢٢٨ .

(١٠٩) بغية الوعاة : ٤٧٦/١ .

ابن لرّة الأصبهاني أحفظ أهل زمانه للشعر وأعلمهم به[110]. حتى كان لا يشذ عن حفظه من شعر شعراء الجاهلية والاسلام إلاّ القليل . قال المبرد : لما قدمت إلى سامراء في أيام المتوكل آخيت بها بندار بن لرّة وكان واحد زمانه في رواية دواوين شعراء العرب حتى كان لا يشذ عن حفظه من شعر شعراء الجاهلية والاسلام إلا القليل ، وأصح الناس معرفة باللغة[111]، وقد تلمذ بندار ليعقوب بن السكيت، وقد أشار ابن كيسان نفسه الى هذه التلمذة فيما يروي الزجّاجي فقال : «قال بندار صاحب ابن السكيت[112]».

ولبندار بن لرّة من الكتب :

١ - معاني الشعراء : ذكره ابن النديم[113]، وسمّاه السيوطي[114] معاني الشعر وأحسب أنّه الصحيح .

٢ - شرح معاني الباهلي الأنصاري : ذكره ابن النديم[115]، وسماه السيوطي شرح معاني الباهلي[116].

٣ - جامع اللغة : ذكره ابن النديم والسيوطي وأشار ابن النديم إلى أنّه رأى منه قطعة[117].

٤ - كتاب الوحوش : ذكره ابن النديم[118].

أما تلمذة ابن كيسان له فتؤيدها النقول الكثيرة التي نقلها عنه وكلّها في مسائل اللغة ورواية الشعر ، كما أن ابن كيسان صرح بانه قرأ عليه

---

(١١٠) معجم الأدباء : ٣٩١/٢ .

(١١١) بغية الوعاة : ٤٧٦/١ .

(١١٢) اشتقاق اسماء الله : ٤١ .

(١١٣) الفهرست : ٨٣

(١١٤) بغية الوعاة : ٤٧٦/١

(١١٥) الفهرست : ٨٣

(١١٦) بغية الوعاة : ٤٧٦/١

(١١٧) الفهرست : ٨٣ .

(١١٨) الفهرست : ٨٣ .

المعلقات[119]. وأشار أبو علي القالي الى هذه التلمذة حين قال فيما يروي الزبيدي سمع من بندار ابن كيسان[120].

أما ما نقله ياقوت في معجم الادباء والسيوطي في بغية الوعاة نقلا عن ابن النديم أن بندار بن لرّة أخذ عن القاسم بن سلام وأخـذ عنه ابن كيسـان فلم أجـده في ترجمه «منداد» في الفهـرست . وقد ترجـم له ابن النديم فيمن خلّط المذهبين ، وترجـم له الزبيدي في الطبقـة الرابعـة من اللغـويين الكوفيين . والظاهر أنَّ ابن كيسان أخذ عنه اللغة حسب ، ونقوله عنه تؤيد هذا .

٢-ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى المعـروف بثعلب ، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة . ولد فيما ذكر المرزباني عن مشايخه سـنة ٢٠٠ للهجـرة ومات لثلاث عشرة ليلة بقين من جمادى الاولى سنة ٢٩١ للهجرة في خلافة المكتفي إبن المعتضد وقد بلغ تسعين سـنة[121]. وقد نظر أبو العباس ثعلب في النحـو وله ثماني عشرة سنة وصنف عددا من الكتب وله ثلاث وعشرون سنة . وكان ثقـة صدوقا حافظا للغة عالما بالمعاني[122]. وقد رأس ثعلب النحـاة البغـداديين وهيمن على مجالس الدرس النحوي في بغداد وكان ابن كيسـان في هذه الحقبة واحـدا من ابرز تلاميذه حتى دخل المبرِّد فادخل مذهب البصريين بغداد اول مرة وأخذ نفر من تلاميذ ثعلب ينتقـل الى مجلس درسـه وكان ابن كيسـان واحـــدا من هؤلاء .

لثعلب من الكتب : كتاب مجالس ثعلب وكتاب الفصـيح في اللغـة وكتاب معاني القرآن وكتاب المصون في النحو وكتاب اختلاف النحويين وكتاب معـاني الشعر وكتاب القراءات وغيرها كتب أخرى في اللغة والنحو .

أما تلمذة ابن كيسان له فقد صرحت بها المصـادر التي ترجمت له وتؤيدها

---

(١١٩) ينظر شرح السبع الطوال : ورقة ٣٤آ .

(١٢٠) طبقات النحويين : ٢٨٨ .

(١٢١) معجم الادباء : ١٣٣/٢ .

(١٢٢) طبقات النحويين : ١٥٥ .

الروايات الكثيرة التي نقلها ابن كيسان عنه . كما انه قرأ عليه كتاب الألفاظ لابن السكيت . وهذه أمثلة مما نقله ابن كيسان عن شيخه ثعلب .

أ - في الشعر :

أنشدنا أبو الحسن بن كيسان النحوي قال : أنشدنا ابو العباس أحمد ابن يحيى ثعلب . مما قيل في الاستعلاء على الامراء[123]:

لمّا رأيت أميرنا مُتجهماً ودعتُ عرصة داره بسلامِ

ورفضت صَفحَتَها التي لم أرضها وأزلت عن رتب الدناةِ مقامي

ووجدت آبائي الذين تقدَّموا سنوا الاباء على الملوك أمامي

ب في اللغــة والنحــو :

١ - قال أبو علي : وأخبرنا الغالي عن أبي الحسن بن كيسان عن أبي العباس أحمد بن يحيى قال : زعم الأصمعي أن الغزر لغة أهل البحرين وان الغُزْر بالفتح اللّغة العالية[124].

٢ - وهو لا يكتفي بالنقل أحيانا وإنما يُعلق على ما ينقل ويصرح بما يعن له من توجيه لما أورده شيخه . من ذلك ما جاء في الفاظ ابن السكيت حول كلمة «مُدَغّر» أي القبيح : قال أبو العباس : الغين تُشدد وتخفف ، فاذا خففتها أسكنت الدال فقلت «مدغر» وأنشد :

كسا عامرا ثوب الدمامة ربه كما كسى الخنزير ثوبا مدغرا

قال ابو الحسن : كان في النسخ «مدغرا» بالعين غير معجمة فغيره أبو العباس وهو عندي صحيح من قولك «عود دعر» اذا كان محترقا . قال الشاعر :

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جَزْلَ الجذا غير خوارٍ ولا دعر

(١٢٣) أمالي الزجّاجي : ١٢٠ .

(١٢٤) أمالي القالي : ١٩٥/٢ .

أي حطبا ليس بالخوار الضعيف ولا المحترق القبيح المنظر ، هو عندي من هذا إن شاء الله[125].

٣ - قال أبو الحسن محمد بن أحمد : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول في «أنتما» و «أنتم» زيدت الميم في تثنية الاسم وجمعه لقلته[126].

٤ - حكى أبو الحسن بن كيسان قال : قلت لثعلب إذا كنت تجيز وهذا ثالث ثلاثة بالنصب فهل تجيز ثلّثتُ الثلاثة ؟ بمعنى كنت واحدا منهم فقال : نعم ذلك جائز على معنى : أتممتهم ثلاثة[127].

٣ - المبرِّد محمد بن يزيد بن عبدالاكبر يرجع نسبه الى الأزد[128]. ولد أبو العباس المبرِّد سنة ٢١٠هـ ، وأخذ عن أبي عمر الجرمي ، وأبي عثمان المازني وقرأ عليهما كتاب سيبويه وأخذ عن أبي حاتم السِّجستاني[129].

وكان أبو العباس المبرِّد من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة البيان وملوكية المجالسة على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه[130].

وقد نشأ المبرد في البصرة ثم انتقل منها إلى سامراء بدعوة من المتوكل ، ثم ذهب إلى بغداد ودخلها بعد مقتل المتوكل . وتهيأ له بعد أنْ استمال إليه أصحاب ثعلب بالمناظرة والمناقشة أن ينال ثقة الدارسين وإعجابهم فصار إمام العربية ببغداد وإليه انتهى علمها[131] قال عنه اسماعيل بن اسحاق القاضي : لم ير المبرد مثل نفسه ممن كان قبله ولا يوفي بعده مثله[132]. توفي المبرد في ذي

---

(١٢٥) تهذيب الألفاظ : ٢٣٣-٢٣٤ ، والبارع : ٢٢٨ .

(١٢٦) مجالس العلماء : ١٣٤ . والحلل في اصلاح الخلل : ٣٠٧ .

(١٢٧) الحلل في اصلاح الخلل : ٣٠٧ .

(١٢٨) طبقات النحويين : ١٠٨ .

(١٢٩) معجم الادباء : ١٣٧/٧ .

(١٣٠)طبقات النحويين : ١٠٨ .

(١٣١) معجم الادباء : ١٣٧/٧ .

(١٣٢) طبقات النحويين : ١٠٨ .

القعدة سنة ٢٨٥ في خلافة المعتضد[١٣٣].

وله من الكتب[١٣٤]: الكامل في اللغة ، وهو أشهر كتبه والمقتضب في النحو ، وهو أكبر مصنفاته وأغناها ، ألم بمسائل النحو ، وله أيضاً من الكتب الروضة ، الاشتقاق ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ، المدخل في كتاب سيبويه وغير هذه كتب أخرى .

روى عنه ابن كيسان في اللغة والنحو والشعر وغير ذلك وكانت بداية تلمذة ابن كيسان له بداية لانحيازه إلى مجلس الدرس البصري .

ومن أمثلة ما رواه ابن كيسان عنه ما يلي :

أ ـ في الشعر :

١ ـ قال ابن كيسان[١٣٥]: أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد المُبرِّد لرجل يهجو بني سعيد بن قتيبه الباهلي :

ابني سعيد إنكم من معشر ... لا يعرفون كرامة الأضياف
قِوم لباهلة بن أعصر إنْ همُ ... غضبوا حسبتهم لعبد مناف
قرنوا الغدوَّ إلى العشاء وقربُوا ... زاداً لعمر أبيك ليس بكافي
وكأنني لما حططتُ إليهمُ .. ... رَحلِيْ نَزلتُ بأبرق العزّاف
بَينا كذاك أتاهم كبراؤهم ... يلحون في التبذير والاسراف

٢ - قال ابو الحسن بن كيسان : أنشدني المبرد[١٣٦]:

قدْ قرنوني بعجوزٍ هِمَّرِش
كأنما دَلاها فوق الفَرِش
من آخر الليل كلاب تهترِش

(١٣٣) معجم الادباء : ١٣٧/٧ .

(١٣٤) ينظر الفهرست : ٥٩ ومعجم الادباء : ١٤٣/٧ .

(١٣٥) معجم البلدان : ٨٤/١ .

(١٣٦) البارع : ١٥٩ .

٣ - وأخبرنا الغالي قال : قال لنا ابن كيسان أبو الحسن : أنشدني هذا البيت المبرد[١٣٧].

فلا تيأسا واستغفرا الله إنه إذا الله سنَّى عقد أمرٍ تيسرا

ب - في النحو :

١ - قال أبو جعفر النحّاس : سمعت ابن كيسان يقول : كان المبرد يقول : ارتفع المبتدأ لوقوعه موقع الفعل كما رُفِعَ الفعل لوقوعه موضع الاسم . أراد أنَّ المبتدأ للخبر كالفعل للفاعل[١٣٨].

٢ - قال أبو الحسن بن كيسان : قال محمد بن يزيد : الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالفتحة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لِئَلاّ تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف[١٣٩]. وما إلى هذه من نقول ضمتْها كتب النحو نقل فيها ابن كيسان عن شيخه المبرد مسائل عديدة .

تلاميذه

تَلمذ لابن كيسان خلق كثير فيما تروي المصادر ، فقد كان حضُّار مجلسه طبقات مختلفة من الناس[١٤٠]. أما الذين برُزوا من تلاميذه واشتهروا بالعلم فأعرف بهم فيما يأتي

١ ـ أبو جعفر النَحّاس : هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المُراديُّ النحّاس النحويُّ ، المصريُّ[١٤١]. كان من الفُضَلاء ، وكان واسع العلم

---

(١٣٧) الامالي : ٢٣٢/١ ، ٢٣٣ .

(١٣٨) الحلل : ١٧٧ .

(١٣٩) المحكم في نقط المصاحف : ٧ .

(١٤٠) ينظر معجم الادباء : ٢٨٢/٦ .

(١٤١) انباه الرواة : ١٠١/١

غزير الرِّواية ، كثير التأليف[142]. له من الكتب : معاني القرآن ، إعراب القرآن ، شرح المعلّقات ، الناسخ والمنسوخ ، التفاحة في النحو ، الاشتقاق ، تفسير أبيات سيبويه ، وغير هذه من الكتب[143].

توفيَ أبو جعفر النحاس بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة[144] ، وقيل سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة[145] .

أمَّا تلمذته لابن كيسان فواضحة فيما صرَّح به النحَّاس نفسه من سماعه منه ، فقد نقل عنه في مواضع كثيرة من كتبه . وقد اعتمد النحاس اعتماداً كبيراً كتاب «شرح السبع الطِّوال » لابن كيسان في كتابه « شرح المعلقات» وتابعه متابعة تامة ، فقد نقل عنه في مواضع كثيرة مصرِّحا بأسمه غالباً وما لم يصرِّح به ليس بالقليل . كما نقل عنه كثيراً أيضاًفي كتابه «إعراب القرآن» وقال : ولا ندري أيَّ كتاب من كتب ابن كيسان أعتمد ، في المتابعة ، فلم يصرِّح هو بذلك ، كما أنَّ ماصنَّفه ابن كيسان من كتب في معاني القرآن وإعرابه لم يصلْ إلينا لنعرف من ايها اخذ النحاس .

وهو كذلك يتُابعه ويقفّي أثره في مختصره النحوي «التفاحة» فهو شبيه بكتاب «الموفق» لأبن كيسان وهو مختصر في النحو مثله . فتراه مثلاً يفُرد باباً يسميه باب الحروف التّي تنصب الافعال المستقبلة وهو عنوان الباب عند ابن كيسان كما أنهُ يعددها على النحو الذي سلكه ابن كيسان في مختصره ، وفعل مثل هذا في باب الحروف التي تجزم الأفعال المستقبلة[147].

---

(١٤٢) طبقات النحويين : ٢٤٠

(١٤٣) ينظر طبقات النحويين : ٢٤٠ ، ومعجم الادباء : ٧٣/٢ .

(١٤٤) طبقات النحويين : ٢٤٠ .

(١٤٥) انباه الرواة : ١٠٤/١ .

(١٤٦) اعراب القرآن : ٥/١ آ

(١٤٧) ينظر كتاب التفاحة في النحو لابي جعفر النحاس / تحقيق كوركيس عواد / مطبعة العاني .

ومن أمثلة ما نقله النحّاس عن ابن كيسان سماعا قوله سمعت ابن كيسان يقول : المعنى الذي رفع المبتدأ عندي هو أن العامل لا يقع إلاّ قبل المعمول فيه ، فاذا قلت : قامَ زيد ارتفع بفعله ، فاذا قلت : زيد قامَ . لم يكن بد من أن يكون في «قام» ضمير يعود على زيد لأن المعمول فيه لا يكون قبل العامل كما تقول «مررت بزيد» ثم تقول زيد مررت به فتشغل العامل بضميره ، فلمّا لم يجزْ أن ترفعه بلفظ الفعل لموضع الضمير وكان معناه كمعنى قام زيد رفعته بالمعنى اذ امتنع اللفظ . قال فاذا قلت : زيد أخوك . رفعت زيداً أيضاً بالمعنى إذا كان مابعده يقوم مقام الفعل ، لأنه حديث عن زيد ، كما أن الفعل حديث عنه . قال : ورفعت «الأخ» بلفظ زيد ، لأن لفظك بزيد كلفظك بالفعل قبل الفاعل[148]. وغير هذا نقول كثيرة تدل على أن النحاس أخذ كثيرا عن شيخه ابن كيسان .

٢ - أبو الحسين الرهْنيّ :

هو أبو الحسين محمد بن بحر الرُهْنيُّ الشيباني[149]، السَجِسْتاني المتكلم[150] كنّاه ياقوت في معجم البلدان[151] بأبي الحسن ، ولعلّة تصحيف لم يتنبه له المحقق . وأبو الحسين ينسب إلى رُهْنة[152]. وهو أحد العلماء الادباء ، روى كثيرا من حديث الشيعة وله في مقالاتهم تصانيف[153]. وكان شيعياً متهما بالغلو[154]،

---

(١٤٨) الحلل : ١٨٠ ، ١٨١ .

(١٤٩) معجم الادباء : ٤١٧/٦ .

(١٥٠) معالم العلماء : ٩٦ وذكره مرة ثانية في ص ١١٦ باسم محمد بن بحر الشيباني .

(١٥١) في معجم البلدان : ٨٧٩/٢ : رهنة بضم اوله وسكون ثانيه قرية من قرى كرمان ينسب اليها محمد بن بحر .

(١٥٢) معجم البلدان : ٨٧٩/٢ .

(١٥٣) معجم البلدان : ٨٧٩/٢ .

(١٥٤) معجم الادباء : ٤١٨ وفي معالم العلماء : ٩٦ . وفي الفهرست لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي : ١٣٢ .

وزعم الذين ترجموا له أنه صنف كتباً ورسائل تُربي على خمسمائة مصنف ورسالة . وذكروا أنَّ كتبه موجودة في خراسان ومنها كتاب الفرق بين الآل والأمة، وكتاب البرهان السديد من عون المديد ، والطلاق ، والمبسوط في الصلاة ، والتكليف والتوظيف ، وإثبات الامامة والرد على من انكر الاثنى عشرية ومعجزاتهم ، والحجَّة في ابطاء القائم عليه السلام ، ومجلس الرهني والمساواة ، والمقابلة ، والتلخيص والتلخص في التفسير ، والمثل والسير والخراج ، والقواعد ، ومرج البهاء وروض الضياء ، والمناسك ، والفرق بين الاباطيل والحقوق[١٥٥] وكتاب البدع[١٥٦]. وقد روى ابن النحاس عن شيخه رشيدالدين أنه وقف على هذا الكتاب فما انكر فيه شيئًا[١٥٧]، وله ايضاً كتاب نحل العرب ، يذكر فيه تفرق العرب في البلاد في الاسلام ومن كان منهم شيعياً ، ومن كان منهم خارجياً أو سنيا فيحسن قوله في الشيعة ويقع فيمن عداهم[١٥٨]. وله كتاب الدلائل على نحل القبائل .

أما تلمذته لأبي الحسن بن كيسان فذكرها ياقوت وقال قرأ على ابن كيسان كتاب سيبويه[١٥٩]. ونقل ابن النحاس عن شيخه أنه رأى في كتاب الدلائل على نحل القبائل قول الرهني ، سمعت أحمد بن محمد بن كيسان النحوي ، وأنا أقرأ عليه كتاب سيبويه يقول : لم يجيء على «فَعَّل» في العربية إلاّ أربعة اسماء : البقَّم وهي الخشبة التي يصبغ بها وهي معروفة ، وشلَّم اسم بيت المقدس بالنبطية ، وبذَّر وهو اسم ماء من مياه العرب قال كُثير:

سقى الله أمواهاً عرفت مكانها   جرابا ومكلوما وبذَّر والغمرا

وخضَّم اسم للعنبر بن عمرو بن تميم .

---

(١٥٥) هذه الكتب ورد ذكرها جميعها في معالم العلماء ص ٩٦ عدا الأخير فقد ورد ذكره في ص ١١٦ .

(١٥٦) معجم الادباء : ٤١٧/٦ .

(١٥٧) معجم الادباء : ٤١٧/٦ .

(١٥٨) معجم الادباء : ٤١٧/٦ .

(١٥٩) معجم البلدان : ٨٧٩/٢ .

والغريب أن ابن كيسان جعل «شـلَّم» النبطية بين أربعـة الاسماء التي ذكر أنه لم يجيء على صيغة «فعل» غيرها ، فربما كان يعد النبطية فرعاً من الفـروع العربية الاولى ، أو كان يقصد إلى أنهًا نقلت إلى العـربية بلفظها ا فعـدها بين هذه الاسماء .

٣ - أبو بكر الجعَد

هو ابو بكر محمد بن عثمان بن مسبح الجعد الشيباني النحوي يعرف بالجعـد من أهل بغـداد(١٦١). قال عنه ابن النديم «صـاحب ابن كيسـان وخلط المذهبين»(١٦٢). وصرح الانباري بتلمذته لأبن كيسان وأخذه عنه فقـال «واما أبو بكر محمد بن عثمان ابن المسبح الشيباني المعـروف بالجعـد فإنّه أخـذ عن أبي الحسـن بن كيسان(١٦٣).

وذكر السـيوطي(١٦٤) أنه كان من العلماء الفضـلاء وأن له من التصانيف :المختصر في النحـو ، غريب القـرآن المقصـور والممـدود ، المذكر والمؤنث ، الهجاء ، خلق الانسان ، الفِرَق ، العرَوض والقـراءات ، الناسـخ والمنسوخ .

٤ - أبـو القـاسم الزجُـاجي :

هو عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي نسبة إلى الزجاج إبي اسـحاق ، وإنما نسب اليه للزومه إياه . توفي في دمشق سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة(١٦٥)، وقيل سنة أربعين وثلاث مئة(١٦٦) قال القفـطي كانت طـريقته في النحـو متوسـطة

---

(١٦٠) معجم الادباء : ٤١٨/٦ .

(١٦١) الانساب : ورقة ٥٥٥ ب ، وبغية الوعاة : ١٧١/١ .

(١٦٢) الفهرست : ٨٢ .

(١٦٣) نزهة الألباء : ٢١٣ .

(١٦٤) بغية الوعاة : ١٧١/١ .

(١٦٥) طبقات النحويين : ١٢٩

(١٦٦) أنباه الرواة : ١٦٠/٢ .

وتصانيفه يقصد بها الافادة . من هذه التصانيف : كتاب الجمل ، وشرح مقدمة أدب الكاتب ، والأيضاح في علل النحو .

اما تلمذته لأبن كيسان فقد صرح هو بها حين قال «من العلماء الذين لقيتهم وقرأت عليهم شيخنا أبو اسحق إبراهيم بن السرّي الزجّاج .. وأبو الحسن بن كيسان[١٦٧]. »وذكره مرة اخرى على أنه من علماء الكوفيين الذين أخذ عنهم[١٦٨]. وأغلب الظنّ أنّ الزجاجي حينما وضع كتابه «الأيضاح في علل النحو »نسج على منوال ابن كيسان ذلك ان ابن كيسان كان قد صنع كتابا أسماه «المختار في علل النحو» وهو أول كتاب في هذا الباب ـ على ما اعلم ـ وقد ذكره الزجاجي في الايضاح ونقل عنه وصرح بأنه يستقي موادّه مما يستخلصه من كتب العلماء ومما اخذه عنهم مشافهة . قال : ونضم الى العلل بعد تقديمها مسائل مجموعة منثورة من سائر الحدود ، منها ما استخرجناه من كتب العلماء وبسطناه ، وهذّبنا ألفاظه ، وقربناه . ومنها ما من علمائنا رضي الله عنهم تلقينا ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة[١٦٩]» وقال أيضا عن مصدر الآراء الكوفية التي تحدّث عنها «وكثير من الفاظهم قد هذّبها مَنْ نحكي عنه مذهب الكوفيين مثل ابن كيسان»[١٧٠].

٥- محمد بن نصر الغالبي

لم أجد له ترجمة فيما وقفت عليه من كتب التراجم ، غير أن ذكره قد ورد في التاج ، مادة غلب ، حين تحدّث عن رجال ينتمون إلى غالب فقال «والثاني من قبيلة خولان إلى غالب بن سعد بن خولان بن قضاعة منهم محمد بن نصر

---

(١٦٧) الايضاح في علل النحو : ٧٩ .

(١٦٨) الايضاح في علل النحو : ٧٩ .

(١٦٩) الايضاح في علل النحو : ٣٨ .

(١٧٠) الايضاح في علل النحو : ١٣٢ .

بن غالب الغالبي إلى حدّه»[171].

لقد كان الغالبي هذا أستاذا لأبي علي القالي فقد نقل القالي في كتابيه «البارع» و «الامالي» كثيراً من الروايات والتوجيهات التي حدّثه بها الغالبي عن ابن كيسان ، وقال عنه «ناولني كتاب الألفاظ ليعقوب بن السكيت عن ابن كيسان عن ثعلب عنه»[172].

وقد روى الغالبي من كتب ابن كيسان «شرح السبع الطوال» والنسخة المخطوطة من هذا الشرح هي نسخة الغالبي . فقد ثبت على الورقة ٣٤أ قال أبو جعفر محمد بن نَصْر بن غالب الغالبي إلى ههنا أملى علينا أبو الحسن بن كيسان رحمه الله ما فسر من هذه القصائد وهي خمس قصائد ، ثم مضى لسبيله دون أن يتمهّا . فلما مات قصدْتُ أبا أحمد الجريري من ولَدِ جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه وهو شيخ من مشايخ أبي العباس ثعلب ، وقد سمع من أبي العباس المبرِّد وأكثر ، فسألته تفسير قصيدة عنترة بن شدّاد فأملاها علي أملاء[173]. واحسب أن الغالبي قرأ كتاب الألفاظ ليعقوب بن السكيت على ابن كيسان أيضاً ورواه بتعليقاته عليه . يؤيد هذا ما مر بنا من حديث القالي عن تسلمه كتاب الألفاظ من الغالبي مروياً عن ابن كيسان . وتؤيده الروّايات الكثيرة التي رواها الغالبي عن ابن كيسان في حواشي كتاب الالفاظ .

وهذا مثل مما رواه الغالبي عن ابن كيسان .

قال ابو علي: وأخبرنا الغالبي عن ابي الحسن بن كيسان عن ابي العباس أحمد بن يحيى قال : زعم الاصمعي أن الغزر لغة أهل البحرين وان الغـزر بالفتح اللغة العالية[174].

---

(١٧١) تاج العروس / مادة غلب .

(١٧٢) تاج العروس / غلب ، وذكر ابن خير في فهرسته : ٣٢٩ ، ٣٣٠ أنه اخذه عن ابن كيسان املاء مجلسا مجلسا .

(١٧٣) شرح السبع الطوال : ٣٤ أ .

(١٧٤) امالي القالي : ٢/٢٠٠ .

٦ - أبــو جَــعْفَرٍ السعّــالَ

لم أجد له ترجمة فيما وقفت عليه من كتب التراجم . غير اني وقفت على نصّ في معجم الادباء يصرح بتلمذته لأبن كيسان . قال ياقوت قرأت بخط إبراهيم بن محمد بن بندار ، قرأت بخطّ أبي جعفر السعال في آخر العروض ، إلى ههنا أملى علي ابن كيسان وأنا كنت أستمليه وفرغنا من العروض لخمس بقين من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين[١٧٥].

٧ - أبـو عـلي القــالي :

إسماعيل بن القاسم ، ولد سنة ثمانين ومائتين ، ورحل إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأقام بالموصل ، ثم دخل بغداد سنة خمس وثلاثمائة فأقام بها الى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[١٧٦].

أهم كتبه : البارع والأمالي .

تبدو تلمذة القالي لابن كيسان غير مقبولة أو غير مؤكدة في الأقل وذلك للأسباب الاتية: .

١ ـ إذا أخذنا بنظر الاعتبار الرواية القائلة بوفاة ابن كيسان سنة ٢٩٩هـ كان بعيدا أن يكون القالي قد لقي ابن كيسان لأنه لما يكن دخل بغداد آنذاك كما مر ذكره .

٢ - حين عدّ القالي اساتذته لم يذكر بينهم ابن كيسان .

٣ - ليس لدينا نص صريح بتلمذة القالي لابن كيسان .

ولكن لدى التحقيق يمكن ان ترد هذه الاسباب النافية لأمكان تلمذة القالي لابن كيسان . فالرواية القائلة بوفاة ابن كيسان سنة ٢٩٩ ليست هي الرواية الراجحة كما سيمر معنا في الحديث عن وفاته والأرجح منها الرواية

---

(١٧٥) معجم الادباء : ٢٨٢/٦ .

(١٧٦) طبقات النحويين : ٢٠٤ .

التي تقـول بوفاته سـنة ٣٢٠ وبذلك يكون من الممكن أن يسـمع القــالي ابن كيسان . كما أن مسألة تعداد القالي لأسـاتذته لا تعـني الحصر . فهـو لم يعـد الغالبي بين من عدَّ منهم مع أنهّ ينقل عنه كثيرا . وبصيغة «حـدثني» «وقال لي» «وأخبرني» مما يعني أنه تلمذ له وسمعه ، ولهذا فليس فرضا لأثبات تلمذة القـالي لابن كيسـان أنْ يكون قد عده بين أسـاتذته ، أمأ حـديث النص الصريح فما كان ذلك واجباً وليس ملزماً دائما .

إن الذي يؤكد تلمذة القالي لأبن كيسـان هذه النصـوص التي ينقلهـا عنه وكأنه تلقـاها عنه سماعا دون سـند كأن يقـول «قال لنا» «وقال لي» وقد سـألته وهذا يؤكد تلمذته له ، وهنا قد يردّ ذلك بانه ربما كان ينقـل عن الغــالبي وهو استاذه وتلميذ ابن كيسـان وقد يكون اسـم الغـالبي سـقط في الكتاب . وهذا المذهب مقبول إلاّ أن ما يفنده هو أن القالي أخـذ عن الغـالبي كتاب الالفـاظ عن أبي الحسن ابن كيسان الذي له عليه تعليقات مثبتة وهذه النقـول موجـودة في كتاب الألفاظ إلاّ أن بينها مما نقله القالي ما ليس موجوداً في نسخة الالفاظ وإن كان موجـودا فى البارع من ذلك قوله قال لي أبو الحسـن بن كيسـان وقد سألته[177] : لم جـزم فأغْرُبْ[178] ؟ فقال : جعله نسقاً إن شئت ، أراد فلأغرب .. كما أن الزجاجي ينقل في المجلس الرابع بعد المائة من مجـالسه عن أبي علي عن أبي الحسن قال : حدثني أبو علي قال : حدَّثني ابو الحسن قال : كان ابو العباس محمد بن يزيد يذهب إلى أواخــر الاسماء في البناء كأوائلهــا واواسطها[179] اضف إلى هذا أن الزبيدي ينقـل في طبقـاته عن أبي علي القـالي رواية أبيات في الهجاء الذي دار بين ثعلب والمبرِّد[180]، والتي نقلهـا ابن كيسـان ورواها ، وهذا يشير الى أن القالي أخذها عنه ، ولكن الذي يبدو إن ما أخذه

(١٧٧) البارع : ٥١٢ .

(١٧٨) الحديث عن البيت : دعيني اصطبح صبحا فاغرب مع الفتيان اذ صبحوا غمودا .

(١٧٩) مجالس العلماء : ٢١٨ .

(١٨٠) ينظر طبقات النحويين : ١١٣ .

القالي عن ابن كيسان قليل . فلم يتوسع في روايته عنه .

أقوال العلماء فيه :

الظاهر ان علم ابن كيسان جعله أهلاً لأن ينال احترام العلماء إياه ، وثناءهم عليه ، وإشادتهم بمنزلته في ميدان الدرس اللغوي ، فقد اثنى عليه معاصروه ، وأطرى ذكره متأخرون عنه .

فقد وصفه الزجاجي بأنه من القدوة الأعلام في علم الكوفيين قال : ومن علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم أبو الحسن بن كيسان وابو بكر بن شقير وابو بكر بن الخياط لأنَّ هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين(١٨١).

وذكر أبو علي القالي فيما ينقل القفطي أنه سمع أبا بكر بن مجاهد(١٨٢) يقول «كان أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين ثعلب والمبرد»(١٨٣). وشهادة أبي بكر ابن مجاهد شهاده لا يصح تجاوزها دون النظر إلى ما تنطوي عليه ، لأنه قد تلمذ لثعلب ودرس عليه القراءات فبرز فيها وصنف ، وصار مرجعا لدارسيها ، فهو إذنْ على دراية بمسائل النحو إذ هي ليست ببعيدة عن ميدان تخصصه ، وإذا كان لابدَّ من التحرز والحذر إزاء التسليم بقول كهذا فربما كان أطلق ولم يتحرَّ به صاحبه الدقة أو كان صاحبه ينظر في النحو وفق فهم معين ، وربما كان القول قد تعرض للتحوير ، غير انه مع كل هذا الاحتراز يسعف قدر ابن كيسان في كل الاحوال ، وينم على ما بلغه من شأن يجعل عالماً كإبن مجاهد يجرؤ على اطلاق حكم كهذا معتقدا أنَّ علم ابن كيسان يوجّه له مثل هذا الزعم .

وينقل ياقوت عن أبي بكر بن كامل(١٨٤) في حديثه عن تفسير الطبري

---

(١٨١) الايضاح في علل النحو : ٧٩ .

(١٨٢) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد آخر من انتهت اليه الرئاسة بمدينة السلام وكان واحد عصره غير مدافع . ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وكان من كبار القرّاء . (ينظر الفهرست : ٣١) .

(١٨٣) انباه الرواة : ٥٩٣ .

(١٨٤) هو احمد بن كامل بن خلف بن شجره ومولده بُسُرَّ من رأى وكان مفتيا في علوم كثيرة (فهرست : ٣٢) .

وتداوله بين الناس وشهرة صاحبه في ذلك الوقت على الرغم من وجود المبرد وثعلب قوله «وكان أيضاً في الوقت غيرهما مثل أبي جعفر الرستمي وأبي الحسن ابن كيسان والمفضل بن سلمة والجعد وأبي اسحق الزجاج وغيرهم من فرسان هذا اللسان»[185].

فلكي يدل أبو بكر بن كامل على اهمية تفسير الطبري يحتج بأنه استطاع أنْ يشتهر وينتشر على الرغم من وجود هؤلاء الفرسان ، وكأن ما صنفوه من الدراسات القرآنية واللغوية وطول باعهم فيها يجعل استطاعة غيرهم نيل الشهرة دليل عظمة ومبعث فخر .

وقال عنه السيرافي وعن الزجاج وإليهما انتهت الرئاسة في النحو بعد أبي العباس محمد بن يزيد[186]، وقال القفطي «مزج النحوين فاخذ من كل واحد منهما ما غلب على ظنه صحته» ، واطرد له قياسه وترك التعصب لأحد الفريقين على الاخر ، وصنف كتبا كثيرة في هذا النوع كلها جيد فيه غرائب القياسات[187] ويشيد أبو حيان التوحيدي ـ فيما نقله ياقوت عنه . بعلم ابن كيسان واحاطته فيقول «ما رأيت مجلسا أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم وخاصة ما يتعلق بالتحف والطرف والنتف من مجالس ابن كيسان»[188].

وقد اتسعت معرفة ابن كيسان فهيأ له حفظه الشعر العربي أن تراه يستشهد لكل حال بما يناسبها فيبالغ الصابي في اطرائه ويصرح بالعجب من مقدرته حين يصفه بأنه من الجن . ذكر ابو حيان أنّه جرى يوما من الايام في مجلسه ما امتعض منه وأنكره وقضى منه عجبا وانشد في تلك الحالة من غرر الشعر والمقطعات الحسنة وغيرها ما ملأ السمع وحيّر الألباب حتى قال

---

(١٨٥) معجم الادباء : ١٧ / ١٣٩ .

(١٨٦) أخبار النحويين البصريين : ٨٠ ، ٨١ .

(١٨٧) أنباه الرواة : ٥٧/٣ ، ٥٨ .

(١٨٨) معجم الادباء : ١٧/ ج١٣ .

الصابي : هذا الرجل من الجن إلا أنه في شكل انسان . ومن جملة ما انشده في تلك الحال :

مالي ارى الدهر لا تفنى عجائبه — أبق لنا ذنبا واستوصل الراس
إن الجديدين في طول اختلافهما — لا ينقصان ولكن ينقص الناس
أبق لنا كل محمول وفجعنا — بالحاملين فهم اثواء أرماس
يروون أن كرام الناس إن بذلوا — حمق وان لئام الناس أكياس

وتمثل أيضاً ببيتي أبي تمام:

قوم اذا خافوا عداوة حاسد — سفكوا الدما بأسنة الاقلام
ولضربة من كاتبٍ بمداده — أمضى وانفذ من رقيق حسام[189]

والابيات التي انشدها تدل على شخصية مؤثرة ورصينة تحفظ للأدباء منزلة سامية ، ووصفه الخطيب البغدادي «بأنه» احد المذكورين بالعلم والموصوفين بالفهم»[190] ويذكر الصفدي أن له التصانيف والأقوال المشهورة في التفاسير ومعاني الآيات وكان يرتق الثقة[191] ويصفه ابن تغري بردي بأنه أحد الأئمة النحاة[192] وقال عنه الفيروزآبادي «كان إماما في العربية»[193] وذكر القرشي أنه أحد حفاظه والمكثرين منه[194].

ويبدو أن هذه المنزلة العلمية الرفيعة كانت جعلته أهلاً لأن يكون رأساً في مجالس النحاة له رأي يسمع في المسائل المشكلة ، إلى الحد الذي جعل بعض العلماء يتحرج ولا يجيب عن مسألة سئل عنها في حضرته أجلالاً له واحتراما لعلمه ، فها هو ذا ابو محمدالترسابادي النحوي[195] وقد ، حضر يوما مجلس النحويين

---

(189) معجم الادباء : ١٧/ ١٢٠ .

(190) تاريخ بغداد : ٣٣٥/١ .

(191) الوافي بالوفيات : ٣١/٢ .

(192) النجوم الزاهرة : ١٧٨/٣ .

(193) البلغة في تاريخ ائمة اللغة : ٢٠٢ .

(194) البداية والنهاية : ١١٧/١١ .

(195) عرف كتاب سيبويه وأحكم مسائل الاخفش ثم خرج الى العراق فهابه علماء النحو وانقبضوا عن

ببغداد فسئل عن مسألة وابن كيسان حاضر فانقبض عن الاجابة اجلالاً لابن كيسان ، فقال له : يا ابا محمد أجب فوالله أنت أحقنا بالانتصاب[196] وفي هذا دليل على المكانة المحترمة التي كان يحتلها ، والتواضع الذي كان يتحلى به .

قال ابن النديم «كان أبو الحسن فاضلاً»[197].

ومع كل هذا الفضل لم يسلم ابن كيسان من القدح ، فقد وجد من يتعصب عليه ويحاول أن يغض من قدره ، وليس هذا بغريب في وقت اشتجر فيه الصراع بين فريقين متنافسين من النحاة ، ناهيك عن المنافسة الشخصيه ، والأغراض الخاصة . لذلك كان لابد من النظر بعين الحذر إلى ما يرد من المدح أو القدح ولا سيما إذا لم ينعقد الاجماع عليه ، لأنه لا يمكن الركون اليه دون تأمل البواعث التي تنطوي تحته ، فكثيرا ما كانت الاهواء والرغائب ترفع هذا على لسان ذاك ، وتضع ذلك على لسان آخر . ولعلَّ من البديهي أنْ اذكر هنا أنَّ واقع الحال كان يساعد على ايجاد لون من العصبية بين فريقين نحويين لم يعد الصراع بينهما مدفوعا بالعلم وحده ، فليس غريبا أن نجد من يتعصب على ابن كيسان ويطعن بعلمه ، ما دام قد وجد من يتعصب على سيبويه ويشك في علمه[198].

وحين يجمع العلماء على الاشادة بعالم وتفضيله في العلم ويشذُّ واحد على هذا الاجماع فلابد أن يكون في الأمر ما فيه .

ذكر ان ابن الانباري كان شديد التعصب على ابن كيسان والتنقص له

مناظرته منهم الزجاج وابن كيسان (معجم الادباء : ١٤٤/٧) .

(١٩٦) معجم الادباء : ٧/ ١٤٥ .

(١٩٧) الفهرست : ٨١ .

(١٩٨) ورد في مراتب النحويين ص ٨٧ قوله «كانت العصبية قد ذهبت بعقل الحامض . فمن ذلك ما حدثنا به محمد بن عبدالواحد قال : أخبرني ابن كيسان قال رأيت في المنام الجن وهم يتناظرون في كل فن من العلوم فقلت لهم إلى من تميلون في النحو ؟ فقالوا إلى سيبويه - قال محمد : فاخبرت بهذا الحديث ثعلبا بحضرة ابي موسى الحامض . فغضب الحامض ثم قال : قد صدق : انما سيبويه دجال شيطان فلذلك تميل اليه الجن فاسكته ابو العباس ثعلب .

وكان يقول : خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين[199].

يبدو واضحا ان التعصَّبَ يعني فيما يعني شيئاً من الضغينة يكنُّها ابن الانباري لأبن كيسان ، فما عَرفتُ أحداً طعنَ عليه غير ابن الأنباري . ولنا أن نسأل عن سرِّ هذا التعصُّب وأسبابه . الذي **أظنه** أنَّ ابنَ الأنباري مدفوع بعاملين ، قد يكون أولهما أكثرَ وضوحاً وأشدَّ تأثيرا في موقفه ، أعني به الدافع المذهبي . ذلك أن ابن كيسان لم يبق على التزام ، كامل بحلقات الدرس الكوفي وأساليبه ـ كما سيرد في الحديث عن مذهبه النحوي ـ إذ أنَّه أخذَ يستعير بالتدريج تعليلات وتوجيهات البصريين التي خالفوا بها الكوفيين في جملة من القضايا النحوية وذلك بعد تلمذته للمبرد وارتيادِه مجالس البصريين . ومع **أنَّه ظلَّ على وفاته** للكوفيين ، آخذا بعدد من مسائلهم ـ وهذا واضح فيما نقل عنه من آراء ـ إلاَّ أنَّ مثل هذا الموقف لا يُرضى ـ في ظني ـ كوفياً متعصِّباً كابن الأنباري . والدافع الثاني ، كما أحسب ، هو المنافسة الشَّخصيَّة التي ربما كانت قد دَفَعتْ ابن الانباري الى الطعن على ابن كيسان فقد كان عصرُهما يَزخرُ بالعلماء وكلٌّ واحدٍ منهم يطمع في أنْ يتبوأ مركز الصدارة ، وما مناظرات النحاة في مجالسهم الا دليل على هذا . فليس غريبا ان يكون بين ابن الانباري وابن كيسان «ما يكون بين المتعاصرين من منافرة»[200].

واذا كنا لا نملكُ دليلاً مادياً على أثر هذه المنافسة في تحديد موقف ابن الأنباري فان واقع الحال ، وما كان يدور في مجالس النحاة من نزاعات تنتهي أحياناً بالتحامل يؤيد مثل هذا الظَّنّ وربما كان من المفيد هنا أن أذكر ما دار في مجلس أبي العباس ثعلب لتوضيح الصورة وتبين الحال . قال محمد بن عبدالواحد : بكّرنا يوماً الى ابي العباس ثعلب ، ولم يك بعد خرج وكان في المجلس حذاق البصريين والكوفيين فتذاكروا قبل خروج ابي العباس . الجَد

(199) طبقات النحويين : 171 .

(200) معجم الادباء : 7/ 138 .

والجُدْ ، ففرغوا منه ، فقال أبو موسى الحامض : والجُدّ بالكسر شَط البحر وغيره . فتضاحك الجماعة ، وقال المعبدي : أكلت البيض بحثا . وقال ابن كيسان ، وضحك القوم وضحك ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم وبرمة ومَنْ حضر مثل القاسم بن الانباري وتضاحكوا واشتهروا وهو ساكت كأنه حجر ثم خرج ابو العباس فلما جلس قال له ابن كيسان : يا سيدي . الجُد : الشط . فما نطق حتى لبس نعليه ورجع وجاءنا ومعه كتاب من جلود قد اتت عليه الدهور فقال : خذوا فأملى «اما الشط فهو فيه **الجُدّ والجَدّ**» . ورفع بها صوته فبلغ ابو موسى السماء وصار هؤلاء في الحضيض ، ثم قال لهم : قليلاً قليلا حتى ينصرف الشيخ . فلما قام ابو العباس وخلا معهم التفت الى المعبدي وقال له :

ومهما يكن من امر فانني استريح الى ما ذهب اليه عبدالعال سالم مكرم في هذه المسألة وأنْ كنت لا اوافقه **على** ما في كلامه من مبالغة إذ يقول : «في رأي ابن الأنباري نظر ، ذلك لأن ابن كيسان يكاد لا تخلو مسألة من مسائل النحو ، الا له رأي فيها ، ورجل شأنه هكذا لابد ان يكونَ ضابطاً فاهماً ، واني لأ ستريح في هذا المجال الى قول ابي بكر بن مجاهد فيه»[٢٠٢].

---

(٢٠١) انباه الرواة : ٣/ ٣١٠ ، ٣١١ .

(٢٠٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ١٥٠ .

الفصـــل الثـــاني

كتبه

صنَّف ابن كيسان كتبا تُربْي فيما ذكرت المصادر التي ترجمت له على عشرين كتابا ـ وقد تناول فيها ـ كما تدل عليه عُنواناتُها - مختلفَ الدراسات اللغوية والنحويَّة ، من دراسات القرآن والحديث إلى شروح الشعر . كما أفرد كتباً لأبوابٍ عديدة من الموضوعات النجوية جَرْياً على عادة المؤلفين آنذاك . غير أنه لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا ثلاثة هي شرح السبع الطِّوال ، والموفَّقيُّ في النحو ، وتَلْقيبُ القوافي وتلقيبُ حركاتها ، أمَّا كتبه الأخرى فما تزال مفقودة ، وقد تكون قابعة في رفوف المكتبات الخاصَّة أو العامَّة المنتشرة في العالم ، وقد يَتَسنَّى لها انْ تخرج إلى النور يوما .

ومما يستوجب الوقوف عليه في هذا الصدد ضياع كتب ابن كيسان مع أنَّ آراءه مبثوثة في كتب النحو وانَّه لم يكن نحويا صغيراً بشهادة علماء عصره وبما تنم عليه آراؤه . فلماذا ضاعت كتب ابن كيسان ؟

أغلبُ الظن أنَّ موقف ابن كيسان البعيد عن التَعصُّبِ لأحدِ الفريقين النحويَّين البصريِّ والكوفيِّ وعدم انحيازه الكامل لأحدهما لم يُتِحْ لكتبه أحدا تدفعه العصبية لحفظها وروايتها ، لأنِّي أحسب أنَّ للعصبية في ذلك الوقت فضلها الكبير في حفظ التراث العلمي . فانت تلاحظ أنَّ أكثر الذين ضاعت كتبهم هم ممن نسبوا إلى الخلْط بين المذهبين وابن كيسان منهم . زِدْ على هذا أنَّ ابن كيسان مثلما كان رافضاً التعصب في الدرس كان كذلك في مذهبه

الديني على ما يظهر لأنكَ تعدم مهما دققت النظر أنْ تجد أحداً وَصفه بعصبية أو غُلو في هذا ، حتى انك لا تكاد تتبين أيَّ مذهب فقهي كان ابن كيسان يتبعه ، كما تجد بين أصدقائه وتلاميذه عدداً ممن ينتمون إلى مذاهب مختلفة ، كما تجد فيهم من كان يُتَّهم بالغلو[1] . مع انني لم أجِده - أي ابن كيسان - قد سُلِكَ في أيٍّ من كتب الطبقات . هذه الروح السَّمْحَة لدى ابن كيسان قد أفقدته - في ظنيْ - مَنْ يتعصَّب لنقل كتبه وَنشْرها . ألاَ ترى أنّه لم يصلْ من كتب الكوفيين إلاّ القليل لأنَّهم فقدوا في نهاية الأمرِ مَنْ يَتعصَّبُ لهم حينَ طَغى الدرس البصريُّ على بغداد ؟ ..كما أحسبُ أنَّ استقرار ابن كيسان في بغداد وعدم تنقله في الحواضر ضيَّق من دائرة تداول كتبه ، ناهيكَ عن أسبابٍ ضياع التُّراث المعروفة التي لا ارى حاجةً لذكرها .

وهذه كتبه مرتبة على حروف الهجاء :

١ ـ البرهــان :

ذكره ابن النديم في الفهرست[2] ، وياقوت في معجم الأدباء[3] ، والصفدي في الوافي[4] ، والسيوطي في بغية الوعاة[5] ، وطاش كوبري زاده[6] ، والبغداديُّ في هِدْيَة العارفين[7] .

٢ ـ التصــاريف :

ذكره ابن النديم[8] وياقوت[9] والقِفْطي[10] ، والصفدي[11]. ونقلَ عنه السيوطي فقال : قال ابن كيسان في تصريفه و «نَكَرَ» ضد «عرَفَ» و «يَسُوي» بمعنى «يساوي» لم يستعملْ من الأول الاّ الماضي ومن الثاني إلاّ المضارع[12].

---

(١) اتهم تلميذه أبو الحسين الرهني بالغلو في تشيعه وقد مرت ترجمته في مبحث تلاميذه

(٢) الفهرست : ٨١ (٣) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٤) الوافي بالوفيات : ٣١/٢ (٥) بغية الوعاة : ٨/١

(٦) مفتاح السعادة : ١٣٨/١ (٧) هدية العارفين : ٢٣/٢

(٨) الفهرست : ٨١ (٩) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(١٠) انباه الرواة : ٥٩/٣

(١١) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(١٢) الفهرست : ٨١

٣ ـ تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها :

توجد نسخته المخطوطة في ليدن برقم ٢٦٤ ، وقد نشره وليم رايت في مجموعة جُرْزَةِ الحاطب وتُحفة الطالب ، وأعاد نشره الدكتور ابراهيم السامرائي في العدد الثاني من مجلة الجامعة المستنصرية ،سأعرض له بالتفصيل بعد قليل .

٤ ـ الحقائق :

ذكره ابن النديم[١٣]، ورواه ابن خير عن شيوخه بقوله «كتاب الحقائق لأبن كيسان حدَّثني به الشيخ أبو محمد بن عتَّاب رحمه الله عن أبيَ بكْر السفاقسي عن أبي نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ الأصبهاني عن أبي الحسن محمد بن أحمد ابن كيسان مؤلفه»[١٤].

وفي ا رواية الكتاب عن أبي نعيم الأصبهاني ما يُثير الشكَّ ، فابن كيسان توفي على أقرب الروايات في سنة ٣٢٠هـ ، ويُستبعَدُ أنْ يكونَ الحافظ أبو نعيم قد قرأه عليه لأنَّ الحافظ أبا نعيم ولد في رجب سنة ست وثلاثين أو أربع وثلاثين وثلاثمائة وتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة باصبهان[١٥].

والراجحُ عندي انه سقَط اسم من سلسِلة السَّندِ بين أبي نعيم وابن كيسان ، وقد ذكر السيوطي الكتاب أيضاً[١٥].

٥ ـ الشاذاني في النحو :

ذكره ابن النديم[١٦]، وياقوت[١٧]، والقِفطي[١٨]، والصفدي[١٩]، وطاش كوبري زاده[٢٠] والبغدادي[٢١]، ولم أعثر على سبب تسميته بالشاذاني ، فربما كان ألفَهُ

---

(١٣) فهرسة ابن خير : ٣١٣

(١٤) وفيات الاعيان : ٧٥/١

(١٥) بغية الوعاة : ١٩/١

(١٦) الفهرست : ٨١

(١٧) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(١٨) انباه الرواة : ٥٨/٣

(١٩) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(٢٠) مفتاح السعادة : ١٣٨/١

(٢١) هدية العارفين : ٣٢/٢

لبعض أبناء شاذان ، فقد وجدت عدداً من الفقهاء بهذه الكُنية ، إلاّ أنّني لم أجدْ بينهم وبين ابن كيسان أيةَ صلةٍ تُسوغُ الجَزمَ بأنَّه صَنع الكتاب لأحدهِم . وأقرب هؤلاء إلى عهد أبي الحسن المحَدِّث اسحاق بن ابراهيم الفارسيُّ شاذان المتوفي بشيراز سنة سبع وستين ومائتين[22].

٦ ـ شرح السبع الطوال :

ذكره الانباري[23]، وهو من الكتب التي وصلت إلينا ، وسأتحدث عنه تفصيلا .

٧ ـ عِلَلُ النحو :

ذكره السيوطي[24] وطاش كوبري زاده[25] وحاجي خليفة[26]، والبغدادي[27]، وأحسب أنه «كتابُ المختار في عِلَلِ النحو» الذي سيرد ذكره .

٨ ـ غلط أدب الكاتب :

ذكره ياقوت[28]، والصفدي[29]، والسيوطي[30]. ولعلَّ مما يؤيد نسبة هذا الكتاب إليه ما جاء في حاشية أدب الكاتب[31]، حين ذكر ابن قتيبة في قول الشاعر :

جاءت به مُعتَجِراً ببردِه سفواءُ تُردي بنسيجٍ وحدِه

يعني بَغْلَةً . ذكر المحقق أنَّ في حاشية إحدى النُسخ مكتوب «قال ابن كيسان :

---

(٢٢) ينظر : العبر في خبر من غبر : ٣٥/٢
(٢٣) نزهة الالباء : ١٦٢
(٢٤) بغية الوعاة : ٨/١
(٢٥) مفتاح السعادة : ١٣٨/١
(٢٦) كشف الظنون : ١١٦٠
(٢٧) هدية العارفين : ٣٢/٢
(٢٨) معجم الادباء : ٢٨١/٦
(٢٩) الوافي بالوفيات : ٣١/٢
(٣٠) بغية الوعاة : ٨/١
(٣١) ادب الكاتب / حاشية ١١٥ تحقيق (MAY GRUNERT)

سَفْواءُ هُهنا السريعة» . فقوله ههنا يعني أنّه كان ينظر إلى ما في أدبِ الكاتب من أغلاط .

ومن ذلك ما ذكره اللبلي في شرح أدب الكاتب من قول ابن كيسان في بعض المواطن« المعروف أنَّ الفيءَ والظِّلَّ واحد»[32].

٩ ـ غَرِيْبُ الحَدِيث :

ذكره ابن النديم[33]، وذكر أنّه يقع في نحو أربعمائة ورقة ، وذكره يا قوت[34]، والقفطي[35]، والصفدي[36]، والسيوطي[37] وطاش كوبري زاده[38]، وحاجي خليفة[39]، والبغدادي[40]، وأليان سركيس[41].

١٠ ـ الفاعل والمفعول به :

ذكره ياقوت[42]، والقفطي[43]، وسمّاه «حدّ الفاعل» ، والصفدي[44]، والبغدادي[45]،

١١ ـ القراءات :

ذكره ابن النديم[46] وياقوت[47] والصفدي[48] والسيوطي[49]، والقفطي[50]، والبغدادي[51] .

---

(٣٢) شرح الشافية /٤٤٠/٤

(٣٣) الفهرست : ٨١

ش(٣٤) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٣٥) انباه الرواة : ٥٨/٣

(٣٦) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(٣٧) بغية الوعاة : ٨/١

(٣٨) مفتاح السعادة : ١٣٨/١

(٣٩)كشف الظنون : ١٢٠٥

(٤٠) هدية العارفين : ٣٢/٢

(٤١) معجم المطبوعات العربية :

(٤٢) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٤٣) انباه الرواة : ٥٩/٣

(٤٤) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(٤٥) هدية العارفين : ٣٢/٢

(٤٦) الفهرست : ٨١ .

(٤٧) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٤٨) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

١٢ ـ الكافي في النحو :

انفرد القفطي بذكره في انباه الرواة[٥٢]، ولتلميذه ابي جعفر النحاس كتاب بهذا العنوان ذكره ياقوت في معجم الادباء[٥٣].

١٣ ـ اللامات :

ذكره ياقوت[٥٤]، والصفدي[٥٥]، والسيوطي[٥٦]، وطاش كوبري زاده[٥٧]، والبغدادي[٥٨].

١٤ ـ مَصابيح الكتَّاب :

ذكره الصفدي[٥٩]، والسيوطي[٦٠]، وحاجي خليفة[٦١]، وطاش كوبري زاده[٦٢]، والبغدادي[٦٣]، وذكر فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي[٦٤] ان لأبن كيسان كتاب «المصابيح في تفسير القرآن العظيم» مخطوط في مكتبة جستر-بتي وقد حصلت على هذه النسخة مصورة ، فوجدتها نسخة مجتزأة تتناول بالتفسير عددا من آي القرآن الكريم تفسيرا فقهيا لا اثر فيه للنحو او اللغة ، وهي حديثة النسخ وقد الصق اسم ابن كيسان عليها بخط مغاير لخط المتن ، ولم

---

(٤٩) بغية الوعاة : ١٧١/١

(٥٠) انباه الرواة : ٥٩/٣

(٥١) هدية العارفين : ٢٣/٢

(٥٢) انباه الرواة : ٥٩/٣

(٥٣) معجم الادباء : ٧٣/٢

(٥٤) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٥٥) الوافي بالوفيات٣١/٢١

(٥٦) بغية الوعاة : ١٩/١

(٥٧) مفتاح السعادة : ١٣٨/١

(٥٨) هدية العارفين : ٢٣/٢

(٥٩) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(٥٩) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(٦٠) بغية الوعاة : ٨/١

(٦١) كشف الظنون : ١٧٠٣ وسماه مصابيح الكتاب

(٦٢) مفتاح السعادة : ١٣٨/١

(٦٣) هدية العارفين : ٢٣/٢

(٦٤) ينظر : تأريخ التراث العربي : ٢٢٢/١

اجد فيها ما يفيد صحة نسبتها اليه ، لأن مصنفها ينقل كثيرا من الروايات بسلسلة سند طويلة عن الازهري مثلا والازهري ممن نقلوا عن ابن كيسان مما يدل على انها أُلِّفت في وقت متأخر عن زمن ابن كيسان ، كما ان فيها ما يشير الى ان المؤلف قد زار مصر وما عرفت ان ابن كيسان قد زارها ، اضافة الى ان اسم الكتاب الذي ذكره الأقدمون لأبن كيسان مما هو قريب من عنوان المخطوطة هو (مصابيح الكتاب) ولم يذكر له الأقدمون كتابا بعنوان (المصابيح في تفسير القرآن العظيم) .

ومن جهة ثانية ذكر كارل بروكلمان ان هناك كتابا مخطوطا بعنوان (المصابيح) لأبي عبدالله محمد بن احمد النسفي او النخشبي البردعي الذي كان في تركستان سنة ٣٣١هـ [٦٥]؛ فربما كان هذا الكتاب هو الذي ذكره بروكلمان ، مع انني لا احسبه كذلك لأني ارى ان تصنيفه وقع في زمن اقرب من زمن النسفي

١٥ ـ المختار :

ذكره الزجاجي في الايضاح ونقل عنه[٦٦]، وذكره ابن عصفور[٦٧]، وابن النديم[٦٨]، وسماه ياقوت في معجم الادباء[٦٩] «المُختار في عِلل النحو» وأشار إلى أنَّه يقع في ثلاث مجلدات أو أكثر ، وتابعه الصفدي[٧٠]، في هذا كما ذكره القفطي أيضاً[٧١].

١٦ ـ مختصر النَّحو :

ذكره ابن النديم[٧٢] وقال عنه الصفدي[٧٣] «كتابٌ مُختصرٌ في النحو» وكذلك

---

(٦٥) تأريخ الادب العربي /ملحق : ٣٢٤/١

(٦٦) الايضاح في علل النحو : ٥٠

(٦٧) المتع : ٤٠٢/١

(٦٨) الفهرست : ٨١

(٦٩) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٧٠) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(٧١) انباه الرواة : ٥٨/٣

(٧٢) الفهرست : ٨١

البغدادي[٧٤]، وأحسبه كتاب «الموفــق» الذي سأتحدث عنه تفصيلاً فيا بعد .

١٧ ـ المسائل على مذهب النحويين مما اختلفَ فيه البصريُّونَ والكوفيُّون :

ذكره ابن النديم[٧٥]، وقدَّم ياقوت[٧٦] الكوفيِّين على البصريِّينَ فسمَّاه «المسـائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه الكوفيون والبصريون» وتابعه الصـفدي[٧٧]، اما القفـطي[٧٨] فسمَّاه «نحـوُ اختلاف البصريين والكوفيين» وذكره السـيوطي[٧٩] باسـم «ما اختلف فيه البصريون والكوفيون» وتابعـه البغــدادي[٨٠] في هذا ، وكذلك فعـل طـاش كوبري زاده[٨١]، أمّا حـاجي خليفــة فسمَّاه[٨٢] «ما اختلف البصريون والكوفيون فيه» وأحسب أنَّ البغـدادي قد وَهَم حـين ذكر[٨٣] له كتاباً آخَر سمَّاه «المسائل على مذهب النحويين» لأنّه جعـل الكتاب الواحـد كتابين ، وهو مالم يرد عند أيٍّ من المتقدمين .

وذكر سعيد الأفغاني[٨٤]، أنَّ ابن كيسـان قد ردَّ في هذا الكتاب على ثعلب ، وكرَّر ذلك مُحيي الدين توفيق إبراهيم[٨٥]. ولست أدري مصـدر هذا الاسـتنتاج ، اللَّهُمَّ إلاَّ التعصب على ثعلب وشيوخه ، فلمْ أجدْ أيةَ إشارة تُلمح إلى ما ذهب إليه . أضـفْ إلى هذا أنَّ الكتاب . من كتب ابن كيسـان المفقــودة وان ابن كيسان كما يَرْوي الزجَّـاجي هو واضـع علل النحـو الكوفي في كتابه «المختار في

---

(٧٣) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢
(٧٤) هدية العارفين : ٢٣/٢
(٧٥) الفهرست : ٨١
(٧٦) معجم الادباء : ٢٨٢/٦
(٧٧) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢
(٧٨) انباه الرواة : ٥٩/٣
(٧٩) بغية الوعاة : ١٩/١
(٨٠) مفتاح السعادة : ١٣٨/١
(٨١) مفتاح السعادة : ١٣٨/١
(٨٢) كشف الظنون : ١٤٥٥
(٨٣) هدية العارفين : ٢٣/٢
(٨٤) في أصول النحو : ٢١٦
(٨٥) ابن الانباري في كتابه الانصاف :
(٨٦) الفهرست : ٦٣

علل النحو» . وربما كان الأفغاني وهم بكتاب أبن درستويه «الرَّد على ثعلب في اختلاف النحويين» الذي ذكره ابن النديم[86] .

١٨ ـ المقصـــور والممـــدود :

ذكره ابن النديم[87]، وياقوت[88]، والقفطي[89]، والصفدي[90]، وسماه البغدادي[91] «الممـــدود والمقصـــور» .

١٩ ـ المهـــــذب :

ذكره ابن النديم[92]، وياقوت[93]، والصفدي[94]، والقفـطي[95]، وطـاش كوبري زاده[96] وسماه الأنباري في نُزهة الألبَّاء[97] «المُهـــذَّب في النحـــو» وتابعــه السيوطي[98]، والبغدادي[99]، وحاجي خليفة[100].

ويبدو أنَّ نُسخةً مخـطوطة من الكتاب كانت موجـودة في مصر . فقـد ذكر «بول سبات» في الفهرس الذي «أصدره سـنة أربعـين وتسـعمائة وألف ، أنَّ في مكتبة التاجر محمد عطية الكهـربائي بمصر كتاب «المهـــذَّب في النحـــو» لأبن كيســان[101]، وقد بذلت جهـدي في الحصـول على معلومات عـن هذه النســخة فإستعلمت بعضَ المعنيين بالمخطوطات فلم أحـظ بشيء ، لأنَّ مكتبة الكهـربائي

---

(٨٧) الفهرست : ٨١

(٨٨) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٨٩) انباه الرواة : ٥٨/٣

(٩٠) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(٩١) هدية العارفين : ٢٣/٢

(٩٢) الفهرست : ٨١

(٩٣) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(٩٤) الوافي بالوفيات ٤ ٢ت

(٩٥) انباه الرواة : ٥٨/٣

(٩٦) مفتاح السعادة : ١٣٨/١

(٩٧) نزهة الالباء : ١٦٢

(٩٨) بغية الوعاة : ٨/١

(٩٩) هدية العارفين : ٣٢/٢

(١٠٠) ينظر : ملحق فهرس بول سبات : ٤٢ ، ٤٣

(١٠١) كشف الظنون : ١٩١٤

الخاصة هذه لا أحدَ يعرف إلى مَنْ آلت محفوظاتها بعد وفاة صاحبها ، فضاع المهذب بضياعها مجدداً ، وربما كشفت عن مصيره الأيام يوماً .

٢٠ ـ المُذكَّر والمؤنَّث :

ذكره ابن النديم[١٠٢]، وياقوت[١٠٣]، والقفطي[١٠٤]، والصفدي[١٠٥]، والبغدادي[١٠٦]

٢١ ـ معاني القرآن :

ذكره ابن النديم[١٠٧]، وقال انه يعرف بالعشرات وذكره ياقوت[١٠٨]، والصفدي[١٠٩]، والسيوطي[١١٠]، وحاجي خليفة[١١١]، وطاش كوبري زاده[١١٢] والبغدادي[١١٣].

٢٢ ـ الهجاء :

ذكره ابن النديم[١١٤]، وذكره ياقوت[١١٥]، بعنوان «الهجاء والخط» وتابعه الصفدي[١١٦]، وذكره القفطي[١١٧]، والبغدادي[١١٨].

٢٣ ـ الوقف والابتداء :

ذكره ابن النديم[١١٩]، وياقوت[١٢٠]، والقفطي[١٢١]، والبغدادي[١٢٢]، أما كتبه التي

---

(١٠٢) الفهرست : ٨١

(١٠٣) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(١٠٤) انباه الرواة : ٥٨/٣

(١٠٥) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(١٠٦) هدية العارفين : ٢٣/٢

(١٠٧) الفهرست : ٣٤ ، ٨١

(١٠٨) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(١٠٩) الوافي بالوفيات : ٣٢/٢

(١١٠) بغية الوعاة : ١٩/١

(١١١) كشف الظنون : ١٧٣٠

(١١٢) مفتاح السعادة : ١٣٨/١

(١١٣) هدية العارفين : ٢٣/٢

(١١٤) الفهرست : ٨١

(١١٥) معجم الادباء : ٢٨١/٦

(١١٦) الوافي بالوفيات : ٢٣/٢

(١١٧) انباه الرواة : ٥٨/٣

(١١٨) هدية العارفين : ٢٣/٢

(١١٩) الفهرست : ٣٦ ، ٨١

(١٢٠) معجم الادباء : ٢٨١/٦

وصلت الينا والتي أشرتُ إليها فيما سبق فسأتناولها فيما يأتي بشيءٍ من التفصيل :

١ ـ تلقيبُ القوافي وتلقيبُ حركاتها :

نُشِرَ الكتاب مرتين : الأولى ضمنَ مجموعةٍ بعنوان «جرزة الحاطب وتحفة الطالب» في ليدن بعناية وليم رايت سنة ١٨٥٩م[١٢٣] عن نسخة مخطوطة فريدة محفوظة في مكتبة ليدن برقم ٢٦٤ .

وتحتوي المجموعة التي نشرها رايت الكتبَ الآتية :

١ ـ صفةُ السَّرج واللجام لابن دريد .
٢ ـ صفة السحاب والغيث وأخبار الروادّ وما حَمدوا من الكلأ لابن دريد .
٣ ـ كتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها لأبن كيسان
٤ ـ ديوان طهمان بن عمرو الكلابي .
٥ ـ مقطعات مراث لبعض العرب .

وذكر البستاني في دائرة معارفه[١٢٤] أنَّ الكتابُ طُبِعَ في بعض المجاميع بمصر دون أنْ يفصِّلَ القول في ذلك ، ولم أستطعِ العثور على هذه الطبعة .

وقد أعادَ الدكتور ابراهيم السامرائي نشر كتاب تلقيب القوافي ثانية في العدد الثاني من مجلة الجامعة المستنصرية ، معتمداً في تحقيقه ما نشره رايت ضمن المجوعة التي أشرتُ إليها[١٢٥].

ويقع الكتاب الذي نشره الدكتور السامرائي في ثلاث وعشرين صفحة

---

(١٢١) انباه الرواة : ٥٩/٣

(١٢٢) هدية العارفين : ٢٣/٢

(١٢٣) هذا التاريخ مثبت على المطبوع وفي كتاب المستشرقون جزء ٢ صفحة ٤٨٥ ذكر أنَّ تاريخ طبع المجموعة هو سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة والف

(١٢٤) دائرة معارف البستاني : ٤٨٤/٣

(١٢٥) تنظر : مجلة الجامعة المستنصرية : ١٢/٢

جاء في أولها «وصلّى الله على سيدنا محمد وآله . كتاب تُذكَر فيه معرفةُ القـوافي وأحكامها وتلقيب الخليل ما يلحقها من الزوائد والحركات»[126].

توثيــق الكتــاب :

لابدَّ لنا قبل أنْ نعرِض مادةَ الكتاب وطـريقةَ ابن كيسـان في تناولهــا أنْ نَتَثبَّتَ من صـحة نسـبته إليه ، لأنني لم أجـدْ في المجموعة التي نشرها رايت ما يغنينا عن هذا ، كما أنَّ الدكتور السامرائي لم يفعل شيئًا في هذا الصدد .

إنَّ كتب التراجم التي عَرضت لابن كيسان لم تذكر بين ما ذكرت من كتبه كتابا بهذا العنوان ، فأول من ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون[127] ثم تبعـه بروكلمان في تاريخ الادب العربي[128] إلاّ أنّ ورود ذكره عند هؤلاء المتأخـرين لا يعني عدم صحة نسبته إليه فكثيراً ما اغفل أصحاب الطبقـات والتراجـم كتباً ومصنفات .

وأغلب الظّن أنَّ ابن كيسان كتب في العروض والقـوافي ، يُرجِّـح هذا أنَّ ياقوتا قال «قرأتُ بخطِّ إبراهيم بن بُندار ، قرأتْ بخـطِّ أبي جعفـرٍ السعال في آخر العروض : إلى ههنا أملى عليٌّ ابن كيسـان وأنا كنت اسـتمليه وفرغنا من العروض لخميسٍ بقـين من شـوَّال سـنة ثمان وتسـعين ومائتين»[129]، فإذا نظرنا إلى تاريخ الفـراغ من إملاء هذا الكتاب ، رَجَحـت لدينا صـحة نسـبته إلى ابن كيسان لأنَّها حقبة متأخرة من حياته ، أحسب أنَّه بلغ فيها أوجَ نشـاطه العلمي إذ كان يُقْصَد للتلمذةِ له .

واذا ما أَجَلْنا النظر في أُسلوبه وعقدنا موازنةً بينه وبين ما وصلنا من آثاره وجدناه الأسلوب ذاته الذي يتوخى غاية تعليمية فيميل الى الوضـوح والايجـاز مع السهولة والبعد - في الغالب ـ عن التوغل في التعليلات .

---

(١٢٦) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ١٥/٢

(١٢٧) كشف الظنون : ٤٨٠

(١٢٨) تاريخ الأدب العربي / الطبعة العربية : ١٧١/٢

(١٢٩) معجم الادباء : ٦/

كما اننا نجد أنَّ ابن رشيق يقول في العمدة إنَّ ابن كيسان تابع الفرّاء في حدِّه القافية ، قال : «إلاّ أنَّ الفراء يحيى بن زياد قد نصَّ في كتاب حروف المعجم أنَّ القافية هي حرف الرّوي ، واتَّبعه على ذلك اكثر الكوفيين منهم محمد بن كيسان وغيره ، وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الحامض»[130] ، فاذا نظرنا في كتاب تلقيب القوافي رأينا أنَّ ابن كيسان يقول بمثل الحد الذي ذكره أبن رشيق منسوبا للفرّاء إلاّ أنَّ ابن كيسان ينسبه الى الخليل متابعا اياه في أنَّ القافية هي الحرف الذي يلزمُه الشاعر في آخر كل بيت حتى يفرغ من شعره[131] وهذا ما ذكره ابن رشيق عينه .

مصادر الكتاب :

اعتمد ابن كيسان في تأليف تلقيب القوافي ما نقلَه عن الخليل بن أحمد من حدودٍ وألقاب أطلقَها على القافية ومستلزماتها ، وأشار هو إلى ذلك في مطلع الكتاب كما ذكرنا . وقد استعان ابن كيسان بمحفوظه من الشعر للاستشهاد في المواضع التي تتطلب ذلك . ومن المؤكد أنَّ ابن كيسان كان قد اطَّلع على ما كتب قبله أو قيل في هذا الميدان لأنَّنا نجد تطابقا تاماً مع عدد من الحدود والشواهد التي وردت في قوافي الأخفش ، وهو إلى جانب ذلك لا يعدمُ الأخذ عن الفرّاء فهو يتابعه في حدِّه القافية كما ذكر ابن رشيق واثبتناه قبل قليل .

قيمة الكتاب :

ان كتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتهابن كيسان من الكتب المتقدمة التي وصلت الينا في هذا الباب ـ بحدود علمي ـ فما عَرفت كتاباً يتناول القوافي سبق كتاب ابن كيسان غير كتاب «القوافي»[132] لأبي الحسن سعيد بن مَسْعَدة الأخفش . وهو بقدمه هذا يعرض لنا خلاصة آراء المتقدمين كما يُثير جملة ملاحظات حينَ ينقل عن الخليل مسائل لم تردْ في قوافي الأخفش ومسائل

(١٣٠) العمدة : ١٥٣/١

(١٣١) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ١٥/٢

(١٣٢) حققه ونشره الدكتور عزة حسن في دمشق سنة الف وتسعمائة وسبعين .

أخرى تُغاير ما نقله الأخفش عن الخليل . ولَئِنْ كان القدمُ يكسبه هذه الأهمية فإنَّ إحاطته بمسائل القافية مع إيجازه ووضوح قصده ودقة تعبيره تجعله ذا فائدة اكبر .

طريقتــه في التــأليف :

اعتمد ابن كيسان في تأليفه الكتاب منهجاً تعليمياً يعتمد التسلسل في إيراد المسائل وتوضيحها فهو يأتي مثلاً بحدِّ مسـألةٍ من المسـائل ثم يُقسِّـم ما فيه من حالات على فروعها ويضرب لكل حالة منهـا مثلاً . إلاّ أنه لم يضـعُ عنوانات لموضوعاته بل كان يخرج من قضيةٍ إلى أخرى بعد أن يفرغ منها . فقد ابتدأ كتابه بما زعم أنه حدُّ القافية عند الخليل ثم أخذ ينتقل من مسألة الى أخرى ، غير انَّه أفرد باباً في آخر الكتاب بعنوان «باب ما يَعرِضُ في الشِّعرِ من الشّوَاذِّ» وكأنه لجـأ إلى هذا لأنه رأى أنَّ طبيعـة هذا المبحث تختلف إلى حـد ما عن المباحث السابقة فهو يعرض فيه لمسائل تتعلق ببنية الكلمة كالحذف وفكّ التضعيف وما إليهما .

أمّا موضوعات الكتاب فمِن الممكن ترتيبها على النحو الآتي :

١ ـ حدُّ القافية .

٢ ـ القافية من حيث الحركة والسكون .

٣ ـ صلةُ القافيةِ المحركة .

٤ ـ الخُروج .

٥ ـ ما يلزم ان يُكُررَ مع القافية .

٦ ـ الف التأسيس وشروطه .

٧ ـ الردف وشروطه .

٨ ـ حركات القافية .

٩ ـ عيوب القـافية : السـناد ، الاكفـاء ، الاقواء ، الإيطاء ، التضـمين ، الضُرورات الشعرية ، اسماء القافية .

١٠ ـ باب ما يعرِضُ في الشعر من الشّواذ ، تحدَّث فيه عن : المَدّ ، الحذف اتْباع اللُّغات الشّاذَّة ، وفكُّ التضعيف .

وقد كان ابن كيسان يُدْلي بملاحظات في المواضع التّي تَتطلَّب ذلك ، كأنْ يقول «الردف أنْ يقع الألِف قبل القافية ، ليس بينهما شيء . فالشعر المُرْدَف من المقيَّد نحو قوله :

فَرٌّ لا ذاريَ يذرو ذَرْوَهُ   مِنْ طائرٍ ليسَ له جَناحان[١٣٣]

النون القافية ، وسكونها تقييد ، والألف التي قبلها ردف . ولا يجتمع ساكنان في الشّعر إلاّ في المُردَف المُقيد»[١٣٤].

وابن كيسان في هذا الكتابُ يُكثِرُ من ـ استخدام الشواهد ـ على غير حاله في كتاب «الموفق في النحو» ـ فقد بلغت شواهده في هذا الكتاب الصغير الحجم عدداً يُربي على التِّسعين . إلاَّ أنَّ ما يُؤخَذُ على هذه الشواهد هو أنَّ اكثرها من الرجز ، والرّجز ـ فيما أحسب ـ لا يخلو من ضَعْف في تأييده ما أريدَ الأستشهاد له في هذا الميدان من الدرس لِما للرّجز من طبيعة خاصة تُبعِده عمّا يجبُ التزامه في القريض من لوازم .

ولكي نتبين موقع آراء ابن كيسان بين آراء المتقدمينَ الذّين بحثوا في القوافي لا بدَّ لنا أنْ نُجمْلَ هنا آراءهم في حدِّ القافية وأحكامها :

١ - ذهب الخليل إلى أنَّ القافية (ما بين آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المُتَحرِك الذي قبلَ السّاكن)[١٣٥].

٢ - ذهب قُطرب إلى أنَّ القافية هي «الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة ، وهو المُسمّى رويًّا»[١٣٦].

---

(١٣٣) البيت من الرجز ، والكلمة الاولى فيه «قر» في طبعة المستنصرية والصواب ما ورد في جرزة الحاطب وهو ما ثبتناه .

(١٣٤) تلقيب القوافي : مجلة الجامعة المستنصرية : ١٩/٢

(١٣٥) القوافي : ٦ ، ونقل ابن رشيق في العمدة : ١٥١/١ حدَّ الخليل على النحو الآتي : «القافية من آخر حرف في البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قَبْلَ الساكن» وتابعه فيه وردُ مذهب مذهب الأخفش وابن كيسان .

(١٣٦) مفتاح العلوم : ٢٧٠ . ولسان العرب / قفا

٣ - ذهب الأخفش إلى أنَّ القافية هي آخر كلمة في البيت[١٣٧].

٤ - ذهب الفرَّاء إلى أنَّ القافية هي حرف الروي[١٣٨].

٥ - والقافية عند ابي موسى الحامض «ما لزم الشاعر تكراره في اخر كل بيت»[١٣٩].

٦ - تابع ابن جنيّ ما قاله الخليل في حدّ القافية[١٤٠].

٧ - تابع ابن رشيق مذهب الخليل[١٤١].

فأين يقف ابن كيسان من هذه المذاهب ؟

ذكر ابن كيسان في صدرِ كتابه أنَّ القافية هي «الحرف الذي يلزمه الشاعر في آخر كلّ بيت حتى يفرغ من شعره» . وزعم أنَّ هذا هو حدُّ الخليل ، وقد تابعه في ثنايا كتابه . ومن الجدير بالذكر أنّي لم أجدْ أحداً نسب هذا الحدَّ إلى الخليل غير ابن كيسان ، فالحدُّ المُعتَمدُ هو ما رواه الاخفش وتابعه فيه الكثيرون ، فمن أين تسنى لأبن كيسان هذا الزعم ؟ قد يقال بأنَّ الحرف يُطْلَقُ على الحرف وعلى الكلمةِ ، وأن كتاب سيبويه حافل بكثير من هذه الاستعمالات ، فربما كان يعني بالحرف الكلمة فيما نقله ابن كيسان ، الا أنَّ هذا التأويل مردودٌ بما كان من تطبيق ابن كيسان في ثنايا الكتاب ، فهو يشير دائماً إلى الحرف الأخير من البيت ويسميه القافية ولم أره يُشير إلى الكلمة . فيقول مثلاً :

أصحوتَ اليومَ أم شاقتْكَ هِرْ ومنَ الحُبِّ جنونٌ مُستَعِرْ[١٤٢]

يقول : القافية الرّاء وتسكينها تقييد . وهكذا في سائر الشواهد مما يدل على أنَّ كلمة «الحرف» التي أوردها هي بالمعنى الذي نطلقه اليوم .

---

(١٣٧) القوافي : ١ .

(١٣٨) العمدة : ١/ ١٥٣

(١٣٩) العمدة : ١٥٣/١

(١٤٠) لسان العرب : /قفا

(١٤١) العمدة : ١٥٣/١

(١٤٢) اثبت المحقق ان البيت من الرجز واحسب انه من الرمل .

أغلبُ الظنّ أنّ ابن كَيسان لم يُتابع الخليل في حدّ القافية وإنْ تابعه في اسماء وصفات متعلقاتها وأنّ الحدَّ الذي وردَ في الموفقي أنّه للخليل ليس له . ولعلّ في مقدمته ما يشير الى ذلك إذا نحن حاولنا توجيهه .

قال ابن كيسان في مَطْلَعِ كتابه «كتاب تُذكر فيه القوافي وأحكامها وتلقيب الخليل ما يلحقها من الزوائد والحركات»[١٤٣] وكأنّ ما أُخذه عن الخليل هو [...] ما [يلحق] القافية من الزوائد والحركات ولو كان حدُّ القافية يدخل فيما [...] عن الخليل لكان عليه أنْ يذكر كلمة» «تلقيب الخليل» أو ما يؤدي معناها قبل قوله «معرفة القوافي» .

وإذا كان هذا الحد ليس للخليل فكيف نسبه إليه ابن كيسان وتابعه فيه ؟ أغلب الظنّ أن هناك اضطرابا فيما نقله ابن كيسان عن الخليل فهو ينقل عنه ما يُفهم منه أنّه حدّ الروي إذا يقول : «وكان الخليل يُسمي الكلمة التي فيها القافية الضرب والروي»[١٤٤]. «واحسب ان الاصل» وكان الخليل يسمي الكلمة التي فيها الرويّ القافية أو الضَربُ ، وربما كان الحدّ الذي نقله للقافية هو حدّ الروي وربّما كان الناسخون وهِموا فابدلوا تعريفاً بتعريف ، وهذا ما لا نملك عليه دليلاً كافياً .

وقد نقل ابن منظور في لسان العرب عن ابن كيسان حدّاً مغايراً لما اعتمده في كتابه يقول : «قال ابن كيسان» القافية كلُّ شيء لزمت إعادته في آخر البيت[١٤٥]، وعلّق عليه بأنّه لاذ بنحوٍ من قول الخليل لولا خلل فيه . أما من أين جاء صاحب اللسان بهذا الحدُّ ؟ فأغلب الظن أنّه اطلع على ما ذكره ابن رشيق من أن الفرّاء يحيى بن زياد قد نصّ في كتاب حروف المعجم أنّ القافية هي حرف الرّويّ واتبعه على ذلك أكثر الكوفيين منهم محمد بن

---

(١٤٣) تلقيب القوالقوافي / مجلة الجامعة المستنصرية / العدد الثاني

(١٤٤) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ١٥/٢

(١٤٥) لسان العرب /قفا

كيسان ، وغيره وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الحامض فقال : القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كلّ بيت وربما وَهِمَ ونسبَ الرأي لأبن كيسان .

وإذا كان الأمر على ما بيّنا فما مصدر ابن كيسان ومَنْ تابع ممّن سبقه ؟ لقد ذكرت الحدود التي نقلت عن العلماء فعرفنا أنّ الفراء ذهب إلى أن القافية هي الحرف الأخير من البيت الذي تُبنى عليه القصيدة وهو ما لزمه ابن كيسان وحذا حذوه في ذلك[146]، وتابع مذهبه في دراسته وليس ذلك بغريب على دارس كوفي كأبي الحسن بن كيسان . وهذا الحد هو نفسه الذي نقله ابن كيسان وورد منسوباً خطأ فيما أظنّ الى الخليل بن احمد . وقد ردّ ابن رشيق حدَّ ابن كيسان فقال : «ليس بشيء لأنّه لو كان صحيحاً لجازَ في قصيدة واحدة فجرَ وفجار وفاجر»[147]. وأراني أجد صواباً كثيراً فيما دفع به ابن رشيق .

ولما كان كتاب ابن كيسان من الكتب المتقدمة التي وصلت الينا بعد قوافي الأخفش ، صار لزاماً أنْ أُوازن بين الكتابين لنتبيَّن ما فيهما من اتفاق وما بينهما من اختلاف ، لأن ذلك سيجلو لنا ما كان من شأن القوافي وألقابها والشّعاب التي سلكها العلماء في وقت مبكر من هذا الميدان .

١ - إذا كان كتاب الأخفش أوسع وأغزر مادة فإن كتاب ابن كيسان - في تصوري - عنه بإقتصاره على المسائل الرئيسة دون أنْ يقع في التشتُّتِ والاستطراد في التفاصيل والقضايا الجزئية ، إضافةً إلى وضوح التعبير ومتانة البناء ، فهو يجمع بين التماسك واللين ، ومَنْ يقرأ الكتابين سيتبين ذلك بجلاء . وكأني بإبن كيسان كان يَسْعى إلى هدف تعليميٍّ محض .

٢ - يُخالف ابن كيسان الأخفش في حدِّه القافية وفي حدِّه الرّويّ ، وقد ذكرتُ الحَدين .

٣ -ذهب ابن كيسان إلى أنَّ التوجيه هو «حركة ما قبل القافيةْ المقيَّدة لانه لا

---

(١٤٦) العمدة : ١٥٣/١

(١٤٧) العمدة ١٥٣/١/

يجوز تسكين ما قبلها إلاّ ان تكون مردفة»[148] وهذا أدقُ من حدّ الأخفش للتوجيه فقد ذهب الى أنّه «حركة الحرف الذي يلي الرّوي»[149].

إلاّ أنّ ما احتُجَّ به الأخفش وما نقله عن الخليل في حدّ القافية هو الصواب فلو كانت القافية هي الحرف الأخير لما ترتبت عليها مستلزمات واحكام ، لانه لا يبقى لهذا الحرف غير حكمه الاعرابي ، فما يطرأ عليه وما يلزمَ اتباعه في سائر أبيات القصيدة يبدأ في الأبيات المؤسسة مثلا بحركة الحرف الذي يسبق اول ساكن قبل حرف الرّويّ جنب الرّويّ المقيُّد[150]. ناهيك عمّا احتج به الأخفش لتفنيد دعوى القائلين بأنّ الحرف الأخير هو القافية .

٤ -ولأن التوجيه حركة الحرف الذي يسبق القافية فتُسمّى به «حركة الحرف الدخيل بين التأسيس والقافية»[151] وحركة الحرف الذي بين التأسيس والرّوي المطْلق تُسمّى «الإشباع» عند الاخفش[152] والاختلاف بينها ظاهر .

٥ - اختلف العلماء في التميز بين الاقواء والاكفاء ، فقد نقل الأخفش عن الخليل أنّ الإكفاء هو الاقواء[153]، وذكر أنهُ سمعه من غيره من أهل العلم . والاقواء عند الأخفش رفع بيت وجرُّ آخر[154]. أيْ هو تغيُّر الحركات لا تغيُّر الحروف .

وذكر ابن كيسان أنّ بعض الناس يجعل تغيُّر المجْرى إكفاء وبعضهم يسمّيه إقواء[155]. قال : «والذي عليه أكثر العلماء أنْ يكون اختلاف القافية إقواء

---

(١٤٨) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٢٣/٢

(١٤٩) القوافي : ١٠

(١٥٠) القوافي : ١٣

(١٥١) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٢/ ٢٣

(١٥٢) القوافي : ٣٧

(١٥٣) القوافي : ٤٣

(١٥٤) القوافي : ٤١

(١٥٥) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٢٥/٢

واختلاف حركتها إكفاء»[١٥٦] وهذا هو الحدُّ الذي تابعه واحتجَّ له بأنه اشكل بالاشتقاق[١٥٧] ونصّ على أنَّ «الاقواء تبديل القافية»[١٥٨] فهو هنا يخالف ما ذهب اليه الاخفش ، وقد ذهب الى مثل رأيه ابن سيده فقال «أقوى في الشِّعر خالف بين قوافيه»[١٥٩]، وتابعه ايضاً ابن السرّاج الشَّنْتَريني[١٦٠]، واستشهد بما استشهد به ابن كيسان ، وبعضهم يجعل اختلاف حركات الروي إقواء وعليه أبو عمرو بن العلاء وأبو عمرو الشيباني[١٦١] ويذهب الجوهري إلى أنَّ الإكفاء في الشِّعر «أنْ يخالف بين قوافيه بعضها ميم وبعضها نون وبعضها حاء وبعضها خاء ونحو ذلك[١٦٢] وورد في لسان العرب : أكفأ في الشِّعر خالف بين ضُروب إعراب قوافيه .

مآخذ على الكتاب :

ولا يخلو كتابه من هِنات أحسب أنَّ السبب في وقوعه فيها ترجُّحه بين تأثيرات النهج الكوفي وتأثيرات المقاييس البصرية .

قدَّم قبل باب الشواذ قوله «هذا آخر باب القوافي ونُتْبعه ما يعرض في الشعر في حشو البيت من التغيير الذي لا يستعمل في الكلام إلاّ شاذاً قليلا وما لا يستعمل البتة ويحمله الشاعر على التشبيه بما يُستعمل شاذاً عند اضطراره»[١٦٣]، ولكن الامثلة التي يسوقها لتأكيد هذا المذهب لا تفي بدعم ما يُريد بل هي توقعه في التناقض ، يقول :

١ - وقد يُجرون في الشِّعر ما لا يتكلمون بمثله في الكلام ، أنشد المفُضَّل لرجل من بني ضَبَّة :

---

(١٥٦) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٢٧/٢

(١٥٧) المكفأ في كلام العرب هو المقلوب : ينظر لسان العرب / كفأ

(١٥٨) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٢٦/٢ .

(١٥٩) لسان العرب / قوا

(١٦٠) المعيار / ١٠١

(١٦١)صحاح اللغة : كفأ

(١٦٢) لسان العرب : قوا

(١٦٣) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٣١/٢

إنَّ لُسعدي عندنا ديوانا   يُخزي فلاناً وابنه فلانا

أعرِفُ مِنْها الجيدَ والعينانا   وَمُنخِران أشبها ظَبْيانا

فنَصبَ نون الاثنين ، وجعلَ الالف التي تكون في الرُّفع مكان النصب ، لأنَّ في بعض اللّغات مَنْ يقول رأيتُ رجلان ، ومنهم مَنْ ينصب نون الاثنين في النصب والخفض[١٦٤] وعدم توخـي الدقة ظـاهر في ما ذهب إليه ، ذلك أنَّ هذه لغـات مسموعة وأقرَّ هو بهـذا فأيَّةُ علاقة له بما لا يسـتعمل من الكلام ؟ وواضـح أنَّ الضرورة هنا ليستْ أمراً صعْباً يدفع بالشاعر إلى استعمالٍ خطأً للغته .

٢ - يقول : يُنشدون هذا البيت على فتح نون الاثنين :

على أحوذيينَ استقلَّتْ عشيةً   فما هي إلاّ لمحة وتطير

وأحسـب أنَّ في رواية هذا البيت التي ذكرها ما يبين رهَنَ ما ذهب إليه ، ذلك أنْ لا ضرورة هنا تدعو إلى فتح نون الاثنين فهو مستقيم بالفتح والكسر معا . وهو يُقِرُّ بانها لغة من لغـات العـرب، إلاّ انَّهُ يحملهـا على الشـذوذ ، ثم يتمحل ليجِدَ تعليلاً لما يريد «وكلُّ شيء أجـرَوه في كلامهـم فإنَّ أشـعارهم إذا اضطروا فيها إلى أخراجه عن الكلام حاولوا بذلك وجوهاً فيها من كلامهم وإنْ كان شـاذاً ولذلك صـار أمسِ عندهم اسما لا ينصرف في الشـعر لأنَّه في الكلام مبنيٌّ على الكسر فمن حيث يصرفون في الشـعر ما لا ينصرف كذلك يُعربون ما ليس بمُعَرب فيُجرى مجرى ما لا ينصرف[١٦٦] .

في نقـد الشعـر :

لا يخلو كتاب تلقيب القوافي من إشارات تدلُّ على مدى فَهم ابن كيسان الشـعَر ، والأُسس التّي اعتمدها في التفـريق بين جيّدِه ورديئه ، ذلك انَّه يُعلِّق في بعض المواطن عند الحديث عن حدٍّ من الحدود ، أو حينَ يُورِد شاهداً لمسألة من المسـائل فيسـتطيع الدارس ان يخلص من هذه التعليقـات بقـدر مفيد من

---

(١٦٤) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٣٤/٢

(١٦٥) تلقيب القوافي : مجلة الجامعة المستنصرية : ٣٥/٢

(١٦٦) تلقيب القوافي : مجلة الجامعة المستنصرية : ٢/ ٣٥

الدّلالة على هذا الفهم .

وها أنذا أُورد هنا ما أحسب أنّ له صلة بمعاني الشّعر ونقده وبناء القصيدة مما استخلصته من هذه الاشارات :

١ - يذهب ابن كيسان إلى أنّ ما يلزم القوافي من المتعلقات الّتي تكون قبلها وبعدها قد يجيء مع القافية وقد يحذف منها ، إلاّ أنّه لا يترك ذلك غفلاً من التوجيه البلاغي ، فهو اذا سقط منها فإنّه «من الكلام الذي فيه إيجاز»[١٦٧] وقد يفهم من هذا أن الايجاز عنده نوعان : ايجاز في التركيب وإيجاز في بنية الكلمة ، وذلك بالاستغناء عن الزيادات في حروفها .

٢ - يعلّل مجيء اللوازم الملحقة بالقافية والتي تتكرر معها كلُّ أبيات القصيدة بإنها من الأشياء التي تُقْحَم اقحاما . وهو بذلك ليس مع هذه الملزمات دائما إلاّ أنّه يُشير إلى مُسّوغ هذا الاقحام عند الشُعراء بأنّهم «أرادو ذلك لأستطالة الصوت في حروف المدّ واللّين إذا كانوا يُريدون بالشُعر الخروج من الكلام المنثور إلى الوزن الذي يستخف حِفْظه ويُشاد فيه ويُغنّى»[١٦٨] . فهو يجعل هذه الزوائد من مستلزمات الغناء .

وهو يوميء إلى أهمية الوزن في الشعر ، فبه الخروج عن الكلام المنثور لأنّ ما تحمله حروف المدّ واللين من استطالةٍ صوتية يجعل الوزن خفيفَ الحِفْظ ، سهلَ المأخذ . وهو يُسوّغ هنا اقحام هذه الزوائد لغرضٍ فنّيٍّ محض ، فلا بأس في ذلك ما دام الغناء هو «الذي يُبينُ الشّعر من الكلام . فهو للشعر كالمضمار» . ألاَ ترى الشاعر يقول ؟ :

تَغَنَّ بالشعر إمّا كنت قائله ... إنّ الغِناءَ لهذا الشّعر مِضْمارُ[١٦٩]

«أيْ يُخْرِجُ عيوبه كما يُخرج مِضمارُ الخيل عيوبَ الخيل»[١٧٠] .

---

(١٦٧) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٢٢/٢

(١٦٨) نفسه ٢٢/٢

(١٦٩) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٣٠/٢

(١٧٠) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٢٦/٢

٣ - حدُّ الشعر عنده كما هو عند غيره من القدماء ، الكلام الموزون المقفىّ ، وإنْ كان لم يصرِّح بهذا إلاّ أنّه يُفْهَم من ظاهر كلامه . غير انّه يؤكد على القافية ، ويمنحها امتياز التفريق بين النثر والشّعر «لإنّه قد يقع الوزن الذي يكون شعرا في الكلام ولا يُسمَّى شعرا حتى يُقفىّ»[١٧١] ، وعليه فإنَّ تغيير القوافي - في نظره - أقبح ما في الشّعر .

٤ - نستطيع أنْ نلمح رأيه فيما يتعلق بوحدة القصيدة بناء ومعاني من حديثه عن التضمين . من ذلك أنه يرى في التضمين عيباً ، وانْ كان ليس بالعيب القبيح «لكنَّ اجزل الكلام ما كان قائما بنفسه اذا أُنشِدَ كلُّ بيت من القصيدة مفرداً استوعبَ المعنى الذي وضع له»[١٧٢] .

وظاهر كلامه يدلُّ على أنّه يدعو إلى استقلال البيت في معناه عن سائر أبيات القصيدة ويرفض اعتماده في تمام معناه بيتاً لاحقاً . إلاّ أنَّ نظرة فاحصة إلى ما قاله ابن كيسان تحمل استنتاجاً آخر .

في ظنّي أنّهُ لا يُريد بما ذكره عن استقلال البيت وتمام معناه بنفسه إذا أُنشد مفرداً ، أن يكون منفصلاً عن هيكل القصيدة ، وإنّما يُريدُ أنَّ ألفاظ البيت ينبغي أنْ تكسوَ المعنى الذي أراده الشاعر ، والصورة التي رسمها للدلالة على هذا المعنى ، وألاّ تبق الصورة مبتورة يُطلَب إتمامها في بيت تالٍ . بمعنى آخر هو يرفض الاعتماد اللفظي بين ابيات القصيدة ويدعو إلى استقلال المعنى الجزئي لكلِّ بيت من ابياتها ولكنّه لا يرفض الترابط المعنوى العام بين هذه المعاني الجزئية . ولعل في استخدامه تعابير «أجْـزَل الكلام» و «استوعب المعنى الذي وُضع له» . أنّه يُريد الاستقلال اللّفظي للبيت لا الاستقلال المعنوي ، تلك مسألة تتعلق بوضع الكلام على قدر المعنى ، والكلام] المستقلّ المشتمل على صورة ومعانٍ متعددة بنفسه هو الكلام البليغ الدّالُّ على التمكن والقدرة ، ولهذا

---

(١٧١) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية : ٣٠/٢

(١٧٢) التضمين : هو تعلق معنى آخر البيت بأول البيت الذي يليه (مفتاح العلوم : ٢٧٣ ، او هو تعليق البيت بما بعده (الكافي في العروض والقوافي / مهات المتون : ٧٦٣) .

فُضِّل أمرؤ القيس على غيره لوفور المعاني في ابياته إذا قُطِّعت نحو قوله :

كأنَّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً   لَدَى وكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي[١٧٣]

وقد يكون في هذا الشاهد الذي أورده ابن كيسان ما يساعد على تأييد ما حاولت استخلاصه وتثبيت ما كان ابن كيسان يهدف إليه . ذلك لأنَّ بيت امرىء القيس ما كان فاقداً رابطته المعنوية بغيره من ابيات القصيدة ، ولكنَّه مستقل عنها لفظاً ، فألفاظه تَنْهض بالتعبير عَمَّا بين دفتيها من الصُّور ، فهو إذنْ مستقلٌ بمعناه الجزئي ، مكتفٍ بألفاظه .

ومِنْ هنا كانت مؤاخذته التَّضمينَ وازدراؤه به ، لِما يُسببه البَتْرُ في الألفاظ من بترٍ في استيعاب المعاني وهلهلة في النسج بفقدِ القصيدة ايقاعها المؤثر . وهو إلى [illegible] ذلك يرفض استقلال البيت [illegible] انفصام [illegible] عن غيره من الابيات [illegible] كلُّ العيب على من اجتهدَ في أنْ [illegible] كالامثال التي تنفرد فيكون [illegible] مثل منها قائماً بنفسه غير معتمدٍ على غيره»[١٧٤] .

ثم هو بعد ذلك يُفرِّقُ في [illegible] الباب بين نمطين من التضمين ويُشير الى نوعين من الشعراء فالتضمين الذي يجيء من غير ارادةٍ أو قصد من الشاعر هو تضمين عَجْزٍ ونقصٍ في التمكن . والتضمين الذي يُريده الشاعر ويقصد إلى أنْ يكون شاملاً القصيدة كلَّها هو تضمين الاقتدار «فربما تعمَّد بعض المحدثين التضمين في قصيدته كلِّها فيجري ذلك على حُسْن الاقتدار»[١٧٥] فلأنَّ الشاعر قصد التضمين فهذا يشفع له ، لأنَّه ربما كا يبتغي من وراء ذلك غرضاً [illegible] بأنْ يجعل أبياته مُتَّصلة لفظاً ومعنىً «وهذا الذي يجيء على الاعتماد ليس [illegible] ذكرنا لأن قائله اراده هكذا فلا عيبَ فيه»[١٧٦] .

---

(١٧٣) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة [illegible] المستنصرية : ٢٧/٢

(١٧٤) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية [illegible] ومن الجدير بالاشارة [illegible] وحده القصيدة قد قال بمثله ابن طباطبا [illegible] ٢٦

(١٧٥) تلقيب القوافي : / مجلة الجامعة المستنصرية [illegible]

(١٧٦) تلقيب القوافي / مجلة الجامعة المستنصرية [illegible]

ومع أنه يبدو وكأنه يدفع عن التلعب بالألفاظ حين يتحدَّث عن تمكن الشاعر ، إلاّ أنني أظنُّه قصد أنْ الشّاعر لَمّا كان متمكناً من لغته يُطوِّعُها كيف شاء ، فلا بدَّ أنَّه يروم غرضاً فنياً من وراء إتيانه بالتضمين ، فالتضمين على هذين السبيلين دليل عجز وقدرة في آن واحد .

وهو بعد ذلك مع الشعراء المحدثين يُقرُّ لهم بالاقتدار والتمكن ويستحسن ما يأتون به فيضرب شاهداً للتضمين الدالّ على حُسن الاقتدار من شعر أبي العتاهية . والشعراء أيضاً منهم من شُهد له بالحذق ومنهم من ليس كذلك . فإذا كان التضمين عيبا فقد يُغْفر لِمَنْ لم يكن حاذقا من الشعراء ولكن «ليس للحذّاق كإمرىء القيس والنابغة أنْ يَقعا فيه»[177].

[illegible] من التضمين من خروج على قواعد اللغة وتغيير [illegible] الكلام [illegible] في فصاحة [illegible] ويعدّه عيبا من عيوب [illegible] وهو يبرىء [illegible] يمكن تغيير الكلام من عيوبها [illegible] لأن [illegible] اضطر إقامة [illegible] الذي [illegible] عليه في الكلام[178].

[illegible] الذي [illegible] وسع بعض الكلام في غير موضعه [illegible] من قبيح الكلام[179].

[illegible] في [illegible]

[illegible] فيما ذكرت من كتب ابن [illegible] كتاباً بهذا العنوان [illegible] «المختصر في النحو» . [illegible] عن زمن تأليفه ، [illegible] من هذا العنوان [illegible] ذُكِرَ به بين ما ذُكِرَ من كتبه [illegible] بعنوان «المختصر في [illegible]» [illegible] يبدو أنّه وضع على

---

(177) تلقيب [illegible]

(178) تلقيب [illegible]

(179) تلقيب [illegible] مجلة الجامعة [illegible]

الكتاب استناداً على ما جاء في مقدمته من حديث ابن كيسان عن سبب تأليفه فقد قال «قال لي ابن حسان : طلب الموفق شيئاً من مختصرات النحو فعُمل له غير كتاب فعملت أنا عند ذلك هذا الكتاب»[180]. وربما ارتأى ناسخه أنْ يضع له هذا العنوان محاكاة لغيره من هذه الكتب ومنها كتاب الموفقي لثعلب وهو مختصر في النحو ايضا[181]. وقد نشر الكتاب محققا السيدان عبدالحسين الفتلي وهاشم طه شلاش في المجلد الرابع/العدد الثاني من مجلة المورد سنة ١٩٧٥ .

توثيقه :

جاء على غلاف المخطوطة العبارة التالية : «كتاب الموفقي في النحو تأليف أبي الحسن أحمد بن محمد كيسان «كما جاء في صدر المتن» قال أبو الحسن أحمد بن محمد كيسان «وقد قدَّم الناسخ في كلتا الحالين اسم أحمد على محمد ولعلَّه سهو وقع فيه . فما عَرْفنا بين النحويين في تلك الحقْبة نحوياً بهذا الاسم غير أبي الحسن بن كيسان . ومما يحملنا على الأخذ بسهو الناسخ هو أنَّه لم يكن ضابطاً متثبِّتاً كما لم يكن دقيقا في النسخ .

وما أحسبُ الكتابَ إلاّ لأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان لأسباب منها ما هو خارج الكتاب ومنها ما هو في صلب المتن نفسه .

١ - وردت كنيته «أبو الحسن بن كيسان» في صدر الكتاب «وهي مّما اتُّفَقَ عليه الأقدمون كما ذكرنا في مبحث سابق فهو وحده الذي عرف بها دون سواه من النحاة ، وقد ذكرت ذلك أيضاً في البحث عن ابناء كيسان .

٢ - لم أجدْ في كتب التراجم والطبقات نحوياً يُعْرَف باسم «أحمد بن محمد كيسان» وما عَرفت أحداً نقل عنه في كتب النحو مّما يحملنا على القول بوهم الناسخ في التقديم والتأخير الذي طرأ على الاسم في الكتاب .

٣ - ألَّف ابن كيسان كتابه بناء على طلب للموفّق أخبره به ابن حسان ولهذا

---

(١٨٠) الموفقي/١ .

(١٨١) ينظر : الفهرست : ٧٤

يكون زمن تأليفه قبل سنة ٢٧٨ هجرية وهي السنة التي توفي فيها الموفق وهذه هي الحقبة التي أحسب أنَّ ابن كيسان بلغ فيها منزلة تجعله أهلاً لأنْ يطرق باب التأليف لأنَّه كان قد أخذ كثيراً عن ثعلب والمبرِّد .

٤ - نجد أنَّ مؤلف الكتاب يتردَّد في ثناياه بين استخدام مصطلحات الكوفيين ومتابعة قسم كبير من آرائهم ، وقد كان ابن كيسان كوفيّاً في بداية أمره كما نجده أيضاً يقتبس آراء وأقيسة بصرية وهو ما صار إليه أبو الحسن في تلك الحقبة التي كانت تميل بالنحاة إلى التّحول نحو القواعد البصرية التي دخلت بغداد مع دخول المبرِّد إليها بعد سنة ٢٤٧ . فإبن كيسان يستخدم في الكتاب مصطلحات كوفية من مثل «الخَفْض» و «مالم يُسَمَّ فاعله» و «الجحد» وغير هذه من المصطلحات ، وتراه يذهب في المسألة الواحدة مذهباً كوفياً مرة وبصرياً أُخرى . من ذلك حدُّه للمصدر إذْ تابع البصريين فيه حين ذكر أنَّ «المصدر ما كان الفعل مُشتَّقاً من لفظه»[١٨٢]، وهو يذهب في موضع آخر مذهب الكوفيين حين يذكر أنَّ «الفعل يتصرف فيكون منه الماضي والمستقبل والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول»[١٨٣].

فإذا كان البصريون والكوفيون يتفقون على أنَّ الفعل يتصرف إلاَّ أنَّ البصريين لا يعدون المصدر من مشتقات الفعل كما يرى الكوفيون من هذا نجد ابن كيسان يتَرَجَّح بين الرأيين .

٥ - قال في الموفقيّ إنَّ المبتدأ يرتفع بالابتداء والخبر يرتفع بالمبتدأ[١٨٤] وهو مثل ما نقله النحّاس عنه في رافع المبتدأ وخبره[١٨٥].

٦ - قال في توكيد المثنى نحو «جاءني المحمدان أنفسهما وعينهما[١٨٦]، فتراه

(١٨٢) الموفق : ٦

(١٨٣) الموفق : ١٢

(١٨٤) الموفق : ٤

(١٨٥) ينظر : الحلل : ١٨١

(١٨٦) الموفق : ٧

يستخدم اللغة الأفصح «أنفسهما» والأقل فصاحة «عينهما» وهي مما نقل عنه أنه يجيزه[187].

٧ - قال في الموفق : إنَّ نون المثنى والجمع عوض عن التنوين الذي في الواحد[188]، وهو موافق لما نُقِلَ عنه في هذه المسألة[189].

٨ - نُقِلَ عنه حدُّ الفعل بأنه «ما كان مذكوراً لأحد زمانين ما مضى مما يستقبل او أحدهما وهو الحال»[190]، وهذا يُشبِه حدّه في الموفق فهو يقول «الفعل ما كان مُشتَقّاً من أحداث الاسماء مبنيّاً لَمّا مضى من الزّمان ومّا يستقبل أو في حال الحديث به»[191].

٩ - قال تلميذه الزجّاجيّ «وكان ممّا اختاره أبو الحسن بن كيسان عند تحصيله وتحقيقه أنْ قال حاكياً عن بعض النّحويّين : الاسماء ما أبانت عن الأشخاص وتَضمَّنت معانيها نحو (رَجل وفرس)»[192] بينما نجد له في الموفقّ حداً آخرَ إذْ يقول «الاسم ما وضع لشيء ليفصل بينه وبين غيره من المُسمَّيات وصلح أنْ يكون فاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه»[193]، وقد أشار الزجّاجيُّ إلى هذا التعدُّد في الحدود بقوله «ولأبن كيسان في كتبه حدودٌ للاسم غير هذا هي من جنس حدود النحويِّين»[194].

المخطوطة :

النسخة المخطوطة لهذا الكتاب عُثِرَ عليها في اوائل سنة ١٩٥٨ بمدينة «تَمغروت» في جنوب المغرب الأقصى ، ويوجد المخطوط ضمن مجموعة ذات نسخة وحيدة محفوظة في مكتبة الخزانة العامة بالرباط في المغرب رقمها ١٢٧[195]،

(١٨٧) ينظر شرح التصريح : ١٢١/٢

(١٨٨) الموفق : ٣(١٨٩) ينظر : شرح التسهيل : ٨٣ ، وهمع الهوامع : ٤٨/١

(١٩٠) الحلل : ١٨١ وفيه أو احدهما وهو الحال فارتايت أن تكون «أجدُهما» لأنني لم افهم معنى من «أحدهما بالحاء»

(١٩١) الموفق : ٢

(١٩٢) الايضاح : ٥٠

(١٩٣) الموفق ٢

(١٩٤) الايضاح : ٥٠

(١٩٥) في مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١٧ الجزء الثاني صفحة ٣٠٨ ذكر ان رقمها ١٠ .

والمجموعة تحتوي الكتب الآتية[196]:

١ - الموجز في النحو لابن السرّاج .

٢ - الموفَّقِيّ لابن كيسان .

٣ - الكتاب لابن درستويه .

٤ - النحو لأبي علي المعروف بـ 'لُغدة' .

٥ - الهجاء لابن السراج .

٦ - الياء على حروف الهجاء لابن درستويه[197].

٧ - المُذَكرّ والمؤنث للمفضَّل بن سَلَمة .

٨ - المقصور والممدود لغلام ثعلب .

٩ - العَروض لابن السراج .

١٠ - القوافي لأبي القاسم التميميّ .

ناسخها وتاريخ النسخ :

جاء في مجلة معهد المخطوطات العربية أنّه يوجد «على صفحة الغلاف لكتاب المذكرّ والمؤنَّث للمُفضَّل بن سَلَمة الذي يَشمَل الأوراق . ١٢أ-١٢٤ب «سماع هو» بسم الله الرحمن الرحيم . قرأ عليَّ أبو الفَرج محمد بن إبراهيم الأصبهاني في هذا الكتاب ورويته له عن أبي ثعلب مُحمَّد بن اسماعيل بن بليل عن أبي طالب المفضل بن سَلَمَة وكتب الطيِّب بن عليّ بيده في رَجَب من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، فتكون نسخته بخطّ راويها الأخير أبي الفرج محمد بن إبراهيم الأصبهاني فقد جاء في آخر المخطوط ما يلي «وكتبه محمد بن إبراهيم الأصبهاني المُكنى بأبي الفرج بشيراز في رَجب سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة»[198].

ولمَّا كان الخطُّ الذي كتب به «الموفَّقِيّ» وهو الخطُّ نفسه الذي نُسِخَ به المذكَّر والمؤنث للمفضَّل بعد الموازنة فالرّاجِح عندي أنَّ «الموفِّقيّ» كُتِبَ بخطّ أبي الفرج نفسه ، فيكون تاريخ نسخه سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .

---

(١٩٦) اعتمدت في هذا على ما ذكره محققا الكتاب .

(١٩٧) في مجلة معهد المخطوطات مجلد ١٧ جزء ٢ صفحة ٣٠٨ : كتاب الياءفي الهجاء .

(١٩٨) مجلة معهد المخطوطات العربية : مجلد جزء ٢ صفحة ٣٠٨ .

وصـف المخطـوطـة :

يقع الكتاب المخطوط في ثلاث وعشرين صفحة ، وهو بخطّ نسخيٍّ مشكُول أمّا الصفحة فتحتوي أربعةً وعشرين سطراً بمعدل اثنتين وعشرين كلمة في كلِّ سطر . وهي مكتوبة بشكل متداخل تصعُبُ قراءته ، أمّا صفحة الغلاف فلا يوجد عليها غير العنوان وتوقيع «ابن الشعّار»[١٩٩].

سبب تأليفـه :

أشار ابو الحسن إلى السَّبب الذي حدا به إلى تأليف الموفَّقيّ في مقدمته فقال «قال لي ابن حسّان : طلب الموفَّق شيئاً من مختصرات النحو فَعُمِلَ له غير كتاب فعملت أنا عند ذلك هذا الكتاب » . وهذا يبيِّن لنا أنّه ألَّف الكتاب استجابة لطلب الموفَّق المتوفي سنة ٢٧٨ .

طريقتـه في التـأليـف :

لم يجرِ ابن كيسان على منهج مُمَيَّز في تقسيم الكتاب فقد احتذى ما أُلِّفَ قبله من كتب في تقسيمه الموضوعات التي تكلم عليها وفي طريقة عرضها . إضافة إلى ذلك نرى أنَّ الكتاب قليل الشَّواهد سواءً من القرآن أو الشعر . وقد اقتصر في الاستشهاد لِمَا يُورِد من أقوال على الكلام أو الأمثلة التي استخدمها النحاة قبله ، ولعلَّ الدافعَ إلى ذلك هو الاختصار الذي انتهجه في تأليفه .

أمّا مذهبه النحوي في هذا الكتاب فالملاحَظ أنّه كان ـ في الأغلب ـ مترجِّحاً بين مسائل الكوفيين ومسائل البصريين فهو إذْ يستخدم المصطلح الكوفيَّ يذهب إلى الأخذ في عدة مواضع بآراء البصريين ، وهو إلى جانب ذلك يَدْرُجُ في ثنايا كتابه مسائل صرفيَّة مثل : الألِف التي تذهب في وصل الكلام والتصغير وأوزانه ، والنسب وما إلى هذه الابواب مما يدلّ على انه لم يكن

(١٩٩) أحسب أنّه أبو البركات المبارك بن ابي بكر بن حمدان المعروف بالشعار مؤلف كتاب «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» المتوفى سنة اربع وخمسين وستمائة . ينظر : ذيل مرآة الزمان : ٤١/٣ ، أو هو أحمد بن بندار الشعار المتوفي سنة اربع مئة واثنتين وعشرين . ينظر : العبر : ١٥٠/٣ .

يفصل بين موضوعات النحو ومسائل الصرف . وقد كان يعتمد الايجاز في عرضه الموضوعات مع الاحاطة ووضوح القصد . وقد قسم الكتاب على ابواب كما يأتي :

١ - اقسام الكلام : تحدَّث فيه عن حدِّ الاسم والفعل والحرف ، وتكلم فيه على البناء والأعراب .

٢ - باب معرفة الرفع : تحدَّث فيه عن الرفع في الاسماء والأفعال وعلامات الرفع ومواضعها .

٣ - باب معرفة النصب : تحدَثَ فيه عن النصب في الاسماء والأفعال وعلاماته ومواضعها .

٤ - باب معرفة الخفض : تكلَّم فيه على الخفض في الاسماء ومواضعه وعلاماته .

٥ - باب معرفة الجزم : تكلم فيه على الخفض في الاسماء ومواضعه وعلاماته .

٥ - باب معرفة الجزم : تكلم فيه على الادوات التي تجزم الفعل .

٦ - باب معرفة ما يتبع الاعراب : تناول فيه :

أ - التنوين في الاسماء وعده فاصلا بين إعراب الاسم وإعراب الفعل .

ب - الوقْف .

جـ - نون الاثنين ونون الجمع وما يعتريها .

٧ - باب معرفة الأفعال وما يعتريها : وفيه يقسم الأفعال قسمين : ماضيَة ومسْتقبَلة .

٨ - باب الحروف التي تجزم الأفعال المستقبلة .

٩ - باب معرفة أقسام المعاني في الكلام .

١٠ - باب ما يوجب الرفع .

١١ - باب ما يُوجِب النَصْب .

١٢ - باب ما يُوجِبُ الخفض .

١٣ - باب ما يتبع الاسماء فيكون معها بمثل اعرابها تابعا لألفاظها .

١٤ - باب معرفة الاسماء : يتحدث فيه عن المعرفة والنكرة .

١٥ - باب الابتداء بالاسماء : يتحدث فيه عن حد المبتدأ وأنواع خبره ، ثم يتحدث عن عمل إنَّ واخواتها وكان وأخواتها ثم الاستفهام وأدواته .

١٦ - باب ما لم يسم فاعله .

١٧ - باب معرفة الأفعال وتصرُّفها .

١٨ - باب الامر والنهي .

١٩ - باب معرفة الالف التي تذهب في وصل الكلام .

٢٠ - باب تصرف الاعراب في مسائل الابتداء .

٢١ - باب معرفة اجراء النعوت على الاسماء .

٢٢ - باب الاسماء التي توصل .

٢٣ - باب ما يعرض في الاسماء : تحدَّث فيه عن صيغ الجمع والتصغير واوزانه وتحدث فيه عن النَّسب أيضا .

٢٤ - باب الاستثناء .

٢٥ - باب النصب بالاغراء وغيره .

٢٦ - باب ما ينصب على اضمار الفعل .

٢٧ - باب نِعْمَ وبِئْسَ .

٢٨ - باب نصب الأفعال .

٢٩ - باب العدد .

٣٠ - باب لا .

٣١ - باب ما .

٣٢ - باب حروف الجحْد .

٣٣ - باب مواضع النون .

٣٤ - باب يجمع مسائل شتى وأبواباً تحدّث فيه عن قياس الرفع والنصب والخفض وتحدّث عمّا لا إعراب له من الأسماء .

شرح السبع الطوال :

كتاب في شرح المعلقات . ذكره الانباري في نزهة الألبّاء[200]. وذكره بروكلمان[201] باسم «شرح المعلقات» ، وأشار إلى نسخته الخطّية - الفريدة فيما أعلم - والموجودة ي المكتبة الوطنية ببرلين ورقمها « ٧٤٤٠ » . وتوجد منها نسخة مصورة «مايكروفيلم» في المكتبة المركزية ببغداد ورقمها «٩٩» ، وذكر بروكلمان له شرحاً منفصلاً لمعلقة امرىء القيس في المكتب الهندي أول ٨٠٠ .

وصف المخطوطة :

١ - المخطوطة ناقصة من أولها فقد سقط غلافها كما أنَّ صفحتها الأولى بيضاء . أما صفحتها الثانية فتبدأ بتتمَّةِ تفسير البيت الأول من معلقة امرىء القيس . وقد ضيَّع علينا فقد العنوان وبياض الصفحة الأولى ما يُمكن أنْ نحصل عليه من معلومات تذكر عادة في مطلع الكتاب وتساعد على توثيقه .

٢ - كُتبتْ بخطٍّ نسخي مضبوطٍ بالشكل ولكنّه تُعوزه الدِّقة أحياناً .

٣ - فيها عدد من الصفحات البيض وعدد من الصفحات المكرَّرة . وقد أدَّتْ الرطوبة إلى طَمْس أجزاء من صَفحات أُخرى .

٤ - المخطوطة مضطربة الترتيب انسحبتْ فيها مُعلَّقة زهير إلى الأخير بعد مُعلَّقة عنترة التي هي من شرح الجريريّ لا من شرح ابن كيسان . وأظنُّها جُمِعَتْ تجميعاً . وقد وهم بروكلمان[202] حين ذكر أنَّ فيها شرح معلّقة الحارث بدلاً من معلقة زهير وحين ذَكر أنَّ في المخطوطة شرح معلقة لبيد

---

(٢٠٠) نزهة الألباء : ١٧٨ .

(٢٠١) تاريخ / عربية : ٧٠/١ .

(٢٠٢) تاريخ الادب العربي / عربية : ٧٠/١

وهي غير موجودة في مصورتنا .

٥ - تاريخ نسخها : وردَ في آخرها «تمّتِ السبع الطُّوال الجاهليات والحمد لله ربِّ العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين . وقع الفراغ منه في محرَّم في سنة اثنتين وعشرين وستمائة[٢٠٣]».

ما بقيَ من شرح ابن كيسان :

لا شكَّ أنَّ ابن كيسان قد شرح المعلّقات السبع جميعها ودليلُنا على هذا هو النقول الكثيرة التّي نقلها النحّاس عنه في شرحه ، غير أنَّ ما جاء في المخطوطة يدلُّ على نقْص كبير فيها وضياع مادة ليست بالقليلة . أمَّا ما هو موجود فيها من شرح ابن كيسان فترتيبه استناداً إلى ترتيب النحّاس للقصائد والأبيات كالآتي[٢٠٤]:

١ - أربعة عشر بيتاً من قصيدة امرىء القيس : من البيت الثاني إلى البيت السادس ومن البيت التاسع عشر إلى البيت التاسع والعشرين .

٢ - سبعة وعشرون بيتاً من قصيدة طَرفَة : من البيت الرابع والسبعين إلى آخر القصيدة .

٣ - اثنا عشر بيتاً من قصيدة زهير بن أبي سُلْمى : من البيت الرابع إلى البيت التاسع . ومن البيت الثالث والخمسين الى آخر القصيدة .

٤ - قصيدة عمرو بن كلثوم كاملة .

وقد أقحم بين شرح معلقة عمرو بن كلثوم ، وشرح معلقة زهير شرح معلقة عنترة وليس هو - في أكبر الظن - لابن كيسان . ويؤكد هذا ما نصَّ عليه راويها محمد بن نَصْر الغالبي . فقد ذَكر في نهاية شرح معلقة عمرو «إلى ههنا أملى علينا أبو الحسن بن كيسان رحمه الله ما فَسرَّ من هذه القصائد وهي خمس قصائد ثم مضى لسبيله دون أنْ يُتِمَّها فلمّا مات قصدت أبا احمد الجريري من ولَد جرير بن عبدالله البَجَلي رضي الله عنه وهو شيخ من مشايخ أبي العباس

(٢٠٣) شرح السبع الطوال : ٩٧ .

(٢٠٤) ذكر هذا أحمد خطاب في مقدمته لشرح النحاس : شرح المعلقات : مقدمة ٤٣ .

ثعلب وقد سمع من أبي العباس المبرِّد وأكثرَ فسألته تفسير قصيدة عنترة بن شدّاد فأملاها عليَّ «إملاء»[٢٠٥]. فأين هي القصيدة الخامسة ؟ والذي في المخطوطة قصيدة عمرو كاملة وأبيات متفرقة من ثلاث قصائد .

الراجح عندي أنها فُقِدَتْ من النسخة ، ولعلَّ هذا ما يؤيد ما ذهبت إليه من أنها ربما كانت قد جُمِعَتْ بعد تلف أصابها . وثمة سؤال آخر في هذا الصدد هو هل اكتفى ابن كيسان من المعلقات بشرح هذه القصائد الخمس التي اشار اليها الغالبي ؟ في اعتقادي أنَّ ذلك غير وارد ، فليس من المنطق أنْ يكون قد اكتفى بأبيات متفرقة من هنا وهناك . ومما يلفت النظر ما جاء في نهاية المخطوطة بخطّ ناسخه قوله «تمت السبع الطوال الجاهليات» وهذا يعني أنَّه كانت هناك سبع قصائد وأغلب الظن أنه قد اجتزىء من الشرح جزء ضائع . أما أن هذا الشرح الذي رواه الغالبي هو ذاته الذي نقل عنه النحاس ؟ فأغلب الظن أنه لم يكنه . فالنحاس حين ينقل عن ابن كيسان ينقل في القصائد المعروفة على حين يَنُصُّ الغالبي على أنَّه أملى شرح خمس من القصائد .

ذكر النحاس في نهاية شرحه لمعلقة عمرو بن كلثوم التي صرّح الغالبي أنها خامسة القصائد أن «هذا آخر السبع المشهورات على ما رأيت أكثر أهل اللغة يذهب اليه منهم أبو الحسن بن كيسان»[٢٠٦] . وعليه فمن المنطقي أن يكون ابن كيسان قد اكمل[٢٠٧] شرح القصائد السبع حسب ترتيب النحاس لها الذي تابع فيه ابن كيسان وقد رتبها كما يأتي :-

١ - قصيدة امرىء القيس .
٢ - قصيدة طرفة .
٣ - قصيدة زهير .
٤ - قصيدة لَبِيْد .

---

(٢٠٥) شرح السبع الطوال : مصورتي : ٦٧ .
(٢٠٦) شرح المعلقات : ٥٤٤
(٢٠٧) ومما يؤيد إكماله لشرح القصائد هو اننا نجد في كتب الشروح روايته لأبيات من قصائد غير موجودة في شرحه ، ينظر مثلا : شرح ديوان لبيد : ٣٠٧

٥ - قصيــدة عــنترة .
٦ - قصيــدة الحـارث بن حـلّزة .
٧ - قصيــدة عمرو بن كلثــوم .

ولكن كيف نُفسِّر هذا الاختلاف في عدد ما شرح ابن كيسان من القصائد بين النحّاس والغالبي ؟

أغلب الظنّ أنَّ ابن كيسان كان يُملي على تلاميذه شرح المعلقات ، ثم يعيد املاءه على تلاميذ جدد ويبدو أنَّ الغالبي مِمَنْ تَلمذ له متأخـراً وواصـل الأخـذ منه حتى وفاته فربما كان ابن كيسان لم يُتِمَّ إعادة إملاء شرحـه فأخـذه الغـالبيّ ناقصاً مقتصراً على خمس من القصائد .

وقد تَعـدَّى النقص في القصـائد وعددها والأبيات السـاقطة إلى سـقوط أجزاء من تفسير البيت الواحد في عدة مواضع . فهناك شروح لأبيات ساقطة وأخرى ساقطة من المقدمة أو مبتورة ، ومن أمثلة ذلك :

١ - في شرح بيت عمرو بن كلثوم :

وإن غداً وإنَّ اليومَ رَهْنٌ   وبعدَ غدٍ بما لا تَعْلمينا

يقول في نهـاية الشرح : «ولا تعلم من مواصـلة أو مصـارمة» . ثم ينتقـل مباشرة الى قوله «التي تحمل متاع البيت واحــدها خفض . من يلينا من المجاورين» وهو شرح بيت آخر كما هو ظاهر .

٢ - وفي تفسيره للبيت :

وأما يومَ خشيتنا عليهم   فنُصبِحَ غارةً متلببينا

يقـول في نهـاية الشرح : أغرنا على غيرِنا لأنّا قد جعلنا بيننا وبين .. وهو ناقص لأنّه ينتقـل إلى قوله : الطاعة والدِّين المجـازاة والدِّين العـادة والدِّين المِلّة . وهذا الثاني مقطوع من مقدمته ولا علاقة له بما قبله .

٣ - في شرح البيت :

ونحن إذا عمادُ الحيِّ خرَّتْ   على الأحْفاضِ نَمنعُ من يَلينا

حين ينتهي من تفسيز البيت يطالعنا قوله : «الناس خـطرا بخيلنا وخيلهـم

فنحن نشن الغارات علَيهم» .

ولما كانت مثل هذه التكملات قد وردت في أوراق متجاورة فان ذلك يدلُّ على ضياع عدد من الأوراق فيا بينها .

منهجـه في التفسير :

اذا نحن استقرينا شرح ابن كيسان وجدنا هناك قواعد ثابتة وإن لم يلتزم الدقّة في تطبيقها ، يلتزمها في شرحه ويبنيه على اساسها ، وهي لذلك تكوّن منهجا في التفسير واضح السِمات يمكن حصرها بما يأتي :ـ

١ - شرح المفردات التي يُبنى عليها المعنى العام . فهو لا يلتزم بشرح المفردات كافة وإنما ينتقي ما يرى في تفسيره توضيحاً للمعنى وما يُمكن أنْ يتحمَّلَ وجوهاً إعرابية تؤثر في طبيعة المعنى فهو يتناوله بالشرح أيضاً .

٢ - يلجأ في تفسير المفردات وتقريبها من الذهن إلى طريقين :

آ - إمّا أن يأتي بالمرادِف متبوعا بالتصريف الفعلي للكلمة المشروحة وللمرادف .

ب - وإمّا أنْ يأتي بذكر مفرد الكلمة او جمعها إذا كان في ذلك إيضاح كأن يكون الاكثر في الاستعمال فهو لذلك اقرب الى الافهام من الاتيان بالمرادف .

٣ - الاهتمام بالأوجه الاعرابية للحالات التي تحتمل عدة تخريجات فهو يعالجها ويوجهها ويشير اليها .

٤ - لا يتقيد دائما بدلالة المفردات الظاهرة فهو يقصد الى التوسع أحياناً في تخيل المعاني في الوقت الذي لا تجد في الفاظ البيت ما يهديك إلى مثل ما ذهب إليه من المعنى .

قيمته وأثره :

تتأتى أهمية شرح ابن كيسان من أنه أقدم شرح للمعلقات يصل الينا وأنه كان له أثر نلمسه بل نشاهده واضحا في من اعقبه من شراح المعلّقات . ولعلّه

رسم لهم منهجاً معينا في التفسير .

ويبدو أنَّ أبا جعفـر النحّـاس أكثر الشراح الذي أعقبوه تأثراً به ، ولا عجب في ذلك فقد تلمذ له وأخـذ عنه . لذا فقـد قفى النحـاس اسـتاذه ابن كيسان في شرحه للمعلقات ونقل عنه نقولاً كثيرة . مُصرِّحـاً باسمه تارة ومغفـلاً اياه تارة اخرى . ولم يقتصر نقله عنه على معاني المفردات حسب بل تعداه الى محاكاته في منهجـه في التفسـير ، ذلك المنهـج الذي أثْبَتُّ شـواخصه قبل قليل والذي اعتَبَرَه محقق شرح النحاس أسـلوباً مميزاً للنحـاسِ من غيرهِ من شُرّاح المعلّقـات «فهـو إذا أراد أن يشرح بيتا تناول كلماته الغـريبة ففسرهـا تفسـيراً مختصراً ، ثم انتقـل إلى ما فيهـا من النحـو فقلب مسـائله تقليبا»[٢٠٨]. كما يذكر المحقق . لكن الذي يتبين بعد التحري والتمحيص أنَّ ما عدّه المحقق أسلوباً مميزاً للنحّاس إنْ هو إلاّ منهج ابن كيسـان في شرحـه الذي اعتمده النحّـاس اعتماداً تاماً وتلمّس آثاره . فما تفرُّد النحاس بهذا الاسلوب ولا اورد جديداً الا التوسع أحياناً في الشرح والتقديم والتأخـير في المفـردات في مواضـع اخـرى . وكان بديهيا ان يحدث ذلك اذ لا يستطيع النحـاس أن يبتعـد عن منهـج ابن كيسـان وهو ينقل عنه شروح ابيات كاملة . ومن أين يَأتيه التفرد ومحقـق شرحـه يذكر في موضع آخر «أنه لم يكن بعيداً عن شرّاح المعلقات فقد تأثر ببعضـهم وأثر في البعض الآخر ومنهم ابن كيسان»[٢٠٩]، إذْ هو «ينقل عنه في شرحه فيما يقـرب من خمسة وثمانين موضـعا وأورد كثيراً من الشـواهد وأقوال العلماء وجـدناها فيما بقي من شرح ابن كيسان ، فالنحّاس يتابعـه وينقـل عنه ويتخـذه مصـدراً من مصـادره المهمة»[٢١٠]. والتناقض فيما ذهب إليه المحقـق من تعيينه مذهباً مميزاً للنحّاس وما أورده هنا من متابعـة وتأثر ونقـل ، ونسـوق هنا امثلة لنقف على

(٢٠٨) شرح المعلقات للنحاس : ٤٢ .

(٢٠٩) شرح المعلقات للنحاس : ٤٣ .

(٢١٠) المصدر نفسه :

طبيعة نقل النحاس عن ابن كيسان ذلك النقل الشامل الذي يكوّن الأساس في التفسير :

١ - في تفسير النحاس[٢١١] لبيت امرىء القيس :

كأنَّ السباع فيه غَرقى عشية ... بأرجائها القُصوى أنابيشُ عُنصلِ

قال أبو الحسن بن كيسان : قال بندار : لا واحد لها ، قال : وقال غيره : واحدها «أنبوش» ، قال : وهو عندي «أفعول» من النبش ، والعنصل : نبت يُشبِه البصل . قال أبو الحسن : معنى البيت عندي أنَّ هذا الغيث قد غرقَ هذه السباع ، فهي في نواحيه ، يبدو منها أطرافها ، فشُبهها بالعنصل .

٢ - في شرح بيت عنترة[٢١٢]:

إنْ كنتِ أزمعْتِ الفِراق فأنما ... زمُت ركابكُم بليلٍ مُظلمِ

وقوله : فإنما زُمّت ركابكم بليلٍ مظلم ، أيْ هذا الأمر احكمتموه بليل ، وقال أبو الحسن بن كيسان : يقال هذا أمر أُسرِيَ عليه بليل إذا أُحكِمَ وإنما قصدَ الليل لأنه وقت تصفو فيه الأذهان ولا يشتغل القلب بمعاش ولا غيره وأنشد :

أجمعوا أمْرهمْ بليلٍ فلمّا ... أصبحوا اصبحتْ لهمْ ضَوضاء

ومعنى بيت عنترة : إن هذا شيء احكمتموه بليلٍ فكأن جمالك زَمت ذلك الوقت . ولعلَّ من المفيد أن أورد هنا نموذجا من شرح ابن كيسان نقله النحاس في شرحه لنتبين منه أسس الطريقة التي اعتمدها ابن كيسان وتابعه أبو جعفر النحاس فيها متابعة واضحة .

وردَ في شرح معلقة لبيد مّما أورده النحاس[٢١٣] شرح البيت الآتي :

ويكللون إذا الرياح تناوحَتْ ... خُلُجا تمدُّ شوارعاً أيتامُها

---

(٢١١) المصدر نفسه : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢١٢) شرح المعلقات للنحاس : ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٢١٣) المصدر نفسه : ٣٤٣ .

وقال أبو الحسن بن كيسان : يجوز أن يكون معنى لقوله : تناوحت : من نحوتُ نحوَه فيكون الأصل هذا «تناحى» وللمؤنث «تناحت» ، مثل : تقاضت ثم تقدم لام الفعل فتجعلها عينه فيصير : تناوحت . ونصب «خلجا» بقوله : ويكلّلون ، وإنما شبه الجنان بالخليج لَسعتها ، ... قال أبو الحسن بن كيسان : يجوز أن يكون «شوارع» منصوبا على الحال من المضمر الذي في تمد ، والأجود أن يكون منصوباً على أنّه نعت لقوله «خُلُجا» و «أيتامُها» مرفوع بـ «شوارع» ومعنى البيت أنّهم يطعِمونَ الطعام في الشتاء ووقت الجَهد» .

وبنظرةٍ فاحصة نستطيع أن نلُمحُ في هذا النصّ مميزات منهج ابن كيسان :

١ - انه لا يلتزم بتفسير المفردات جميعها وإنما يختار منها ما يُشكِلُ فهمه أو ما يكون هو الأساس في تبسيط معنى البيت .

٢ - يعالج القضايا النحوية والصرفية ويورد احتمالاتها ويبني على أساسها .

٣ - يعطي المعنى العام للبيت .

٤ - يبين هذا اللون من النقل وهو كثير عند النحاس مُصَرَّحا به وغير مصرَّح أنه جاء بما جاء به ابن كيسان ولا فضل له فيه إلاّ التوسع القليل مما يمليه تأخره زمناً عن ابن كيسان .

أما اثره في شرح ابن الانباري فغير قليل وهو وإنْ نقل عنه لم يخطر بباله أنْ يذكره مرة واحدة ولعلّ لما كان بينهما ممّا مر بنا إغفاله ذكره والتشابه واضح بين ابن الانباري والنحّاس في الشرح وواضح ما اقتبساه من ابن كيسان «هذا التشابه الذي يمكننا ان نفترض أنه جاء بسبب أخذهما عن مصدر واحد وان اختلف أسلوبهما في التعبير وقد يكون هذا المصدر هو ابن كيسان لأننا وجدنا تشابها كبيرا بين ابن الانباري وابن كيسان»[٢١٤]. كما يذكر محقق شرح النحاس .

---

(٢١٤) شرح المعلقات للنحاس : ٤٥

ما نشر من شرح ابن كيســـان :

١ - نشر[٢١٥] المستشرق «شلوسنجر» شرحه لمعلقة عمرو بن كلثوم عن مخـطوط برلين في مجلة « ZA 61, 15-64 »[٢١٦] في ميونيخ سنة ١٩٠٧[٢١٧].

٢ - نشر برنشتين شرحه لمعلقـة امرىء القيس في مجلة « ZAXXX, 1-77 » في سنة ١٩١٤[٢١٨].

أوهـــام في الشرح :

لا يخلو شرحه للمعلقات من مواطن تتلمس فيها ضعفاً في الاستنتاج ومجانبة للدّقةِ وهلهلة في النسـج وتفـريطاً في النظام ، فالصـواب يجـافيه أحياناً فيما يذهب اليه من تقديرات ، ولعـلَّ فيما نضربه من مثل على ذلك ما يؤيد هذا الزعم .

١ - قال في تفسير بيت طرفـــة :

لعمرك ما امري عليَّ بغمة　　　نهاري ولا ليلي عليَّ بسرمد

«فانا أمضي في نهـاري غير متحـــير في أمري وإذا همَمْتُ في الليل بأمرٍ أمضـــيته ولم أنتظر النهـــار فيطول ليلي عليّ و «السَّرْمَد الطويل»[٢١٩]. وبين ان ما في هذا الشرح من توجيه ليس هو الصّواب كله ، ذلك أنّه ورد كثيراً في الشعر العـربي حـديثهم عن طول الليل كناية به عن اشتداد الهموم وتواردها فيبدو الليل جرّاء ذلك ولمّا يصطرع في ذهن قاطعه من الهموم طويلاً سرمدياً ولعلَّ في أبيات امرىء القيس التى لم تكن بعيدة عنه ما يؤيد هذا المذهب .

والأصوب عندي أنَّ طَرفة يُرِيدُ هنا أن ليله سرمديٌّ إذْ ليست لديه هموم تجعلُه كذلك وكأنَّ هذا نتيجـــة ترتبت على كونه يُنجِـــز

---

(٢١٥) بروكلمان / عربية : ٧٠/١ .

(٢١٦) لم أتمكن من الحصول على عدد المجلة على الرغم من محاولات عديدة .

(٢١٧) المستشرقون : ٧٦٣/٢ .

(٢١٨) بروكلمان / عربية : ١٧١/٢ ، دراسات في الادب العربي : كشاف المراجع .

(٢١٩) شرح السبع / مصورتي : ٢٢ .

أموره في نهاره فليس هناك ما يجعل ليله طويلاً .

٢ - يحاول أنْ يُحيط بكلّ الاحتمالات الممكنة لتخريج المسائل النحوية وهو لهذا يتمحّل تمحلاً ويتعسف في التفسير لبيان امكان صحة الوجه الذي يريد . وقد يلجأ لتحقيق ذلك الى تقديرات بعيدة من ذلك تفسيره لبيت عمرو بن كلثوم :

بيوم كريهةٍ ضرباً وطعناً أقرّبه مواليك العيونا

التفسير : الطعن الحرب ، ونصب ضربا وطعنا على المصدر : نضرب[٢٢٠] ضرباً ، ونطعن طعناً . ولو نصبتها على وقوع الكريهة وأضمرت الفاعل كأنك قلت : يوم تكره ضرباً وطعناً أقربه الهاء لليوم . ومواليك : بنو عمّك . أي أقروا العيون بذلك اليوم لظفرهم . والباء من صلة قِفِيْ إنْ شئت وإنْ شِئْتَ من صلة نُخَبِّرْكِ . ومعنى هذا البيت إذا كانت الباء من صلة قِفِيْ أي قِفِي بهذا اليوم الكريه الذي يجادبنا فيه فأصدقينا عن مودتك وأخبرينا بما في نفسك . أغيرك هذا اليوم أم أنت على مودتك ، وإذا كانت الباء من صلة نخبرك أيّ قفي لنخبرك بيوم حربنا وتخبرينا بما عندك فيه . اي هل يغيرك ذلك إذا تحدثت بما بين أهلي وأهلك»[٢٢١].

فهو يعدّ الباء هنا من صلة قفي او من صلة نخبرك . ولم يلتفت إلى أنّ الباء ربما تكون من صلة الفعل المحذوف الذي نصب المصدر أيْ أخذ يُحدثها مباشرة بعد أن طلب إليها التوقف فقال «ضربنا بيوم كريهة ضربا وطعنا» وهو أنسب للمعنى فليس من المعقول أنْ يطلب إليها الوقوف قبل التفرق بيوم كريهة ماضية . وهو فوق ذلك توسع في معنى البيت بما لا يوجد ما يدُلّ عليه من ألفاظ ويبدو أنه يجنح إلى التصور بما يلحق من الأبيات ، ولا يكتفي بدلالات الألفاظ .

---

(٢٢٠) كان الانسب للمعنى ان يقدر فعلا ماضيا فدلالة البيت تؤدي الى الماضي فقد أقر مواليك العيونا .

(٢٢١) شرح السبع الطوال / مصورتي : ٢٧ ، ٢٨ .

الفصـــل الثـالـث

آراؤه النحويـة



لأبن كَيسان آراء نحويّة متعدِّدة مبثوثة في بطون كتب النحو منها ما تابع فيه متقدِّميه من النحاة ومنها ما ذهب إليه فكره واجْتَرَحه خاطره ، وقد جَهِدْتُ ما وسعني الجُهد أنْ أُحقِق هذه الآراء بأنْ أذكرَ المصادر الّتي أوردتْها جميعها ثم أخلص إلى مناقشــة الرأي وموازنته مع آراء العلماء في بابه ، كما عملت بما أسعفتني به الطاقة على أنْ أرتب هذه الآراء المبعثرة على أبوابها فلم أجدْ سبيلاً أفضل من تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

الأول : في الاسم وما يتعلق به من تقسيماته وما يلحق من حركات وما الى هذا والثاني في الفعل وما يكتنفه من أوضاع والحقت بهما الحرف وقضاياه في قسم ثالث ، وقدمت لهذا الباب بفقرتين الأولى عن ألقاب الحروف والثانية عن البناء والاعراب .

★ ★ ★

'البنـــاء والاعــراب'

شغلت مسألة البناء والإعراب قدراً ليس باليسير من اهتمام العلماء فعالجوها بالدرس ، ونظروا فيما إذا كانت هذه الحركات دالةً على معان أو أنها نشأت مع اللغة هكذا دونما حاجة اقتضاها تطور اللغة واختلاف سبل الاستعمال .

وأحسب أنّ افتقـار المصـطلح إلى الدقة هو الذي أوقع عدداً من الباحثين في الخلط بين ما أراده الأقدمون من مصطلح «الحركات الإعرابية» وما نقصـده اليوم بهذا المصطلح .

فصـاحب مدرسـة البصرة النحـوية وهو يتابع الدكتور إبراهيم أنيس يعـد قطرباً من أبرز العلماء الذين رأوا أنّ الحركات الإعرابية لا تدلُّ على معانٍ[1] ، وهو ما ليس عليه أكثر العلماء ومنهم أبو الحسـن بن كيسـان . وقد اعتمد الدكتور السـيِّد ومن قبله الدكتور إبراهيم أنيس في تقـرير هذا ما نقله من الأشـباه والنظائر[2] وعاملَ النّص على أنّ المقصـود بالحـركات الإعرابية كما نفهمه منها اليوم أي الزوائد التي تلحق أواخر الاسماء والأفعال حسب موقعهـا من الجملة وهو ما لا يفهم لدى التمحيص من كلام قطرب الذي نقله الزجـاجي وانما هو يتعلق ببناء الكلمة المفـردة والحـركات التي تلحـق بحـروفها وهو ما نستطيع أن نسميه«الحركات الصرفية» الا أن صاحب مدرسة البصرة النحوية لم

---

(١) ينظر مدرسة البصرة النحوية : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٢) ينظر الاشباه والنظائر : ٨٥/١ ، ٨٦ .

ينتبه ولم يُشِرْ إلى متابعة قطرب للخليل فيما ذكر فقد خلص إلى القول أنَّ الخليل وقطرباً يَريان أنَّ الحركات إنما هي زوائد جيء بها ليتوصل بها إلى النُطق بالحروف عند الخليل أو إلى التخفّف وسرعة الكلام واعتداله عند قطرب ، وليس العامل مؤثراً فيها ، وبالتالي لم تكن الحركات مؤثرة في إفادة المعنى وإيضاحه[٣] . «فالواضح أنَّه لم يتبين أيةَ حركات عاناها الخليل وقطرب فتوهم أنهما قصدا إلى حركات الإعراب التي هي من أثر العامل فنفى هذا الأثر وهدَّ بذلك أساس الدرس النحوي الذي لايُنكره الخليل ولا غيره من النحاة القدامى وهو أنَّ الإعراب هو تغيُّر حركات آخر الكلمة بتأثير العامل . وما أظنُّه أراد ذلك . وقد ردّ الدكتور السيِّد رأي الخليل وأكد دلالة الحركات على المعاني .

أمّا إذا كان قد فَهِمَ حديث الخليل وقطرب على جهته ـ وهو ما لم يحسن التعبير عنه ـ فأحسب أنَّ الحركات دالّة على معانٍ أيضاً لأنها من مجيئها للتوصل إلى النطق بالساكن وأدائها هذه المهمة الصوتية فإنها إلى جانب ذلك توّجه المعنى إلى غرض جديد ، من المجرد إلى المحسوس وتوجه المحسوس إلى أصناف وحالات .

والظاهر أنَّ هذه المسألة وهذا التوهم ينتج عن كثرة الحديث عن قضية البناء والإعراب بالمعنى الذي اصطُلح عليه في النحو ، أيُّهما الأصل .

وإذا أردْنا أن نتبين رأيَ أبي الحسن بن كيسان في هذه المسألة وما ترتب عليها من فروع وجدناه يذهب إلى أنَّ البناء هو الأصل في اللغة جميعها لا يقتصر على أسم ولا فعل وحده ، بل هو عامّ فيها كلها ، وما خرج منه إلى غيره كان ضرورة اقتضتها طبيعةُ المعاني الجديدة الّتي تنشأ بتعدد حاجات الانسان تبعا للتطور ، والبناءُ بعدَ هذا ليس أصلاً في الاسماء أو الأفعال أو الحروف فا خرج من المبني إلى المعرب يستوي مع غيره من حيث أنه أخرج

(٣) مدرسة البصرة النحوية . ٣٠٧

لأداء غرض معنوي قال : «الذي أذهبُ إليه أنَّ البناء إنَّما هو الأصل الَّذي يعمّ المُعرَب وغيره[4] . » وكان بهذا يحذو حذو المبرِّد الّذي ذهب إلى أنَّ البناء هو الأصل[5] . وقد علَّل خزوج المعرب من المبني بقوله «إنَّ المعرب مُخْرَج منه ، فخرج عنه إلى الإعراب الاسماء المُتَمِكِّنَة لحاجتهم إلى اعرابها للمعاني التي صرفوها فيها ، وضارعتها الأفعال فأُدنيت منها ولم تلحَقْ بها وقصُرت عنها ، وتباعدت الحروف التي للمعاني فلزمت الأصل الَّذي بُنيت عليه[6] . » وأغلب الظن أنَّه أراد بمضارعة الأفعال للاسماء مشابهتها في حاجتنا لتصريفها لمعاني الماضي والحاضر والمستقبل وتغيرها إفرادا وتثنية وجمعا وتقديما وتأخيراً لذا فهي قد قربت من الاسماء في تصريفها للمعاني وإنْ لم تلحق بها ، فكان الإعراب في الاسماء أظهر منه في الأفعال أمَّا الحروف فهي تؤدي معنىً واحداً دائما ولهذا بقيت على ما هي عليه في الأصل من البناء .

ويبدو لي أن هذا أقرب إلى طبيعة تطور اللغة لأنَّه لا يمكن التسليم بأنَّ اللغة نشأت معربةً كما وصلتْ الينا ، بل لا شك أنَّها بدأتْ بسيطة خالية من التعقيد ثم تطورت تبعاً لتنوّع الحاجات والاستعمال ، فنمت التراكيب وكثرت المفردات .

ولعلَّ ما نلاحظه من ميل العامةِ إلى التسكين في عهود اضمحلال الفصاحة ، أو في المجتمعات القريبة إلى البدائية في العيش ما يؤيد ما ذهب إليه ابن كيسان من أن اللغة نشأت مبنية وأنَّ السكون فيها كان أساس البناء .

واذا وازنّا بين ما نصّ عليه ابن كيسان وما نص عليه العلماء قبله في هذا الشأن وجدنا قوله أكثر وضوحا وتخصيصا . فأمَّا مذهب سيبويه فإنَّه لم يخصّ بالبناء شيئاً من شيء فهو للأسماء التي ليست بمتمكنة وللأفعال غير المضارعة

(٤) ومجالس العلماء : ٢٢٦ .

(٥) ينظر مجالس العلماء : ٢١٨ ، ٢٢٦ يقول المبرد عن الاسماء «كانت أواخرها كذلك منها الساكن ومنها المتحرك وإنما الاعراب عارض فيها وداخل في أبنيتها» .

(٦) مجالس العلماء : ٢٢٦ .

وللحروف التي لم تجيء إلاّ لمعنى ولم يجعل شيئاً من هذا أصلاً لغيره»[٧] .

ويبدو الفرق واضحاً بين مذهب ابن كيسان وشيخه المبرِّد في دقة التعبير ، فقدْ نقلوا عن المبرِّد ما يدلُّ على أنَّ الاسماء هي المتمكنة الأول وأنّ ما يخـرج للبناء أو الإعراب من الاسماء أو الأفعـال ما هو إلاّ نتيجـة مضـارعة المتمكن لغيره وبالعكس[٨] . وهذا التفسير لا يعدو كونه تفسيراً قياسياً فيه من القصـور شيء كثير لأنه يفترض أن اللغة نشأت وفق قوانين ثابتة تحكمها علاقات منطقية وهو أمر بعيد عن طبيعة اللغة كما هو بعيد عن المنطق .

١ ـ في الاســم

١ - حــــدّه

لابن كيسان في الاسم حدود مختلفة ، فقدْ نقلوا عنه أكثر من حدّ ، وأشار تلميذه الزجّاجي إلى هذا التعدد بعد أنْ أورد حـدّاً واحـداً منهـا بقـوله «لابن كيسان في كتبه حدود للاسـم غير هذا هي من جنس حـدود النحـويين[٩]» وأول هذه الحدود فيما أحسب ـ ماورد في مختصره النحـوي الموسـوم بـ «الموفقي» وقد ذكر فيه أن الاسم «ما وُضعَ لشيء ليفصلَ بينه وبين غيره من المُسمَّيات وصـلح أنْ يكونَ فاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه»[١٠]. وهذا الحدّ عندي - أقرب حـدوده إلى الحسّ اللغـويّ ، وهو أكثرها كذلك تطابقـا مع مدلول الاســم من غيره مع أنَّ القصور يعتوره في دقة التعبير ، فقد كان الاحتراز يلزمه الإشارة إلى أنَّ الاسم «لفــظ» وليس شيئاً آخـر لأنَه يمكن أنْ يكون ما يميز بين مسـمى وآخـر شـيئاً غير اللفظ .

وقد يُرَد على ابن كيسان في هذا بأنَّ الاسم يأتي في غير الفـاعل والمفعـول

---

(٧) ينظر مجالس العلماء : ٢٢٠ وما بعدها .

(٨) ينظر مجالس العلماء : ٢٢٠ وما بعدها .

(٩) الايضاح في علل النحو : ٥٠ .

(١٠) الموفقي / مخطوط :٢ .

والمضاف إليه ، غير أني أحسب ابن كيسان لم يُردْ ألاّ يكون الاسم غير ذلك ولكنه قصد أنه يصلح لأنْ يكون كذلك ، وأنّه لم يبغ بهذه الثلاثة الحصر وإنما رمز بها إلى الحالات الإعرابية الثلاث : الرفع والنصب والجر التي لا تجتمع إلاّ للاسم دون سواه من أقسام الكلام .

كما نقل عنه الزجّاجي حداً آخر للاسم فقال : «وكان مما اختاره أبو الحسن ابن كيسان عند تحصيله وتحقيقه أنْ قال حاكياً عن بعض النحويين» الاسماء ما ابانت عن الأشخاص وتضمَّنت معانيها نحو : «رجل وفرس»[11] وهذا الحدّ لدى التحقيق هو حدّ سيبويه وإنْ لم يَردْ على النحو الّذي ذكره ابن كيسان فيه ، لأنَّ سيبويه اكتفى بأنْ مثّل للاسم دون أنْ يصرِّح بحدٍ معين . ويبدو أنّ ابن كيسان استنبطه من أمثلة سيبويه فقد أوردها كما وردتْ في الكتاب : «رجل وفرس وحائط»[12]. وقد صرّح الزجاجي بعوار هذا الحدّ «لأنَّ من الاسماء ما لا يقع على الأشخاص وهي المصادر كلُّها»[13].«غير أنّ قول الزجّاجيّ يمكن أنْ يُضعَّف بقول ابن كيسان «وتضمَّنت معانيها» فربما كان إشارة للمصادر وإنْ لم يأتِ منها بمثل ، وربما كان ابن كيسان يرى أنَّ المصادر أفعال في حقيقة أمرها لا اسماء فالزجاجي لم ينتبه كما لم ينتبه غيره إلى أنَّ الكوفيين كانوا يسمون المصدر فعلاً وكان ابن كيسان من متابعيهم في جملة من مسائله لا سيما في بداية حياته العلمية .

كما ذكر الزجاجي ان ابن كيسان حدّ الاسم في الكتاب «المختار» بمثل الحدّ الذي ذكره من كلام المنطقيين[14] وحدّ المنطقيين الذي ذكره الزجاجي يقول «الاسم صوت موضوع دالّ باتفاق على معنى غير مقرون بزمان»[15] وابن كيسان

---

(11) الايضاح في علل النحو : ٥٠ .

(12) الكتاب : ٢/١ .

(13) الايضاح : ٥٠ .

(14) الايضاح : ٥٠ .

(15) الايضاح : ٤٨ .

بعد ذلك أكثر دقة في حدّه الاسم من شيخه المبرِّد الّذي ذهب إلى أنّ الاسماء تعتبر بواحدة «كلّ ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم وإنْ امتنع ذلك فليس باسم»[16].

٢ - التنوين الذي يلحق الاسماء

تحدّث ابن كيسان عن التنوين وعلة مجيئه في الاسماء .

أ - علتــه :

ذكر أنّه جاء «ليكون فصلاً بين إعراب الاسم وإعراب الفعل»[17]. إلاّ أنّه لم يذكر سبباً لهذا الفصل بين الإعرابين وما أحسب أنّ مثل هذا السبب الذّهْنيّ موجود أصلاً فلا قيمة علمية لمثل هذا التعليل ولا سيما أنّك تجد طائفة من الاسماء تلتقي مع الفعل من حيث أنها لا تنون وهي معربة ، كالاسماء الممنوعة من الصرف .

ب - حـالات التنـوين :

صرح ابن كيسان بأنّ «التنوين ساكن ونون الاثنين مكسورة أبداً لسكون ما قبلها ونون الجمع مفتوحة أبداً لَئلاً يُشبه نون الاثنين»[18] وهو يتابع في هذا ما حكاه سيبويه[19] في هذا الباب ، غير أنّ ابن كيسان لم يذكر كما لم يذكر غيره من النحاة الذين تابعهم سبباً للفصل بين نون الجمع ونون الاثنين فأنا لا أرى دافعاً حدا بالمتحدِّث العربيّ الأول إلى التفريق بين نون الاثنين ونون الجمع وما أحسب هذا المتحدِّث أجهد ذِهْنه بهذه المسألة فيبقى ما ذكره ابن كيسان ومَنْ تابعهم افتراضاً لا دليل عليه . يضاف إلى ذلك أنّ هذه النون ليست علامة جمع أو تثنية ولا تدخل في شيء من هذا . فان احتَجَّ مُحتجٌّ بأنّهم أرادوا دفع الخلْط بين الجمع والمثنى ، فهذا مردود بأنّ المثنى لا يشبه الجمع إلاّ في حالتي

(١٦) المقتضب : ٣/١ .

(١٧) الموفقي : ٣ .

(١٨) المقتضب : ١٥٢/٢ .

(١٩) همع الهوامع : ٤٨/١ .

النصب والجر وهنا يمكن التفريق بينهما بحركة الحرف الذي يسبق الياء فهي في المثنى فتح وفي الجمع كسر ، أمّا في حالة الرفع فلا تشابه ولا لبس لوجود الألف في المثنى والواو في الجمع .

وعنده ، أنّ النون في الاثنين وفي الجمع الذي على «هجاءين» عوض من التنوين الذي في الواحد»[٢٠]. وهو بهذا قريب مما حكاه شيخه المبرّد من أنّ «النون إنّما هي بدل ممّا كان في الواحد من الحركة والتنوين»[٢١]. إلاّ أنّه يُخالفه بأنّه يعدّه عوضاً من التنوين وحده دون الحركة لان «الحركة عوض منها الحرف ولم يعوض من التنوين شيء فكانت النون عوضاً عنه ولذلك حذفت في الإضافة كما يحذف التنوين»[٢٢]. وردّ قوله هذا بانّ هذه النون تثبت مع دخول الألف واللام والتنوين لا يظهر مع ما فيه الألِف واللام وإذْ النون عوض عن التنوين - على رأيه - كان يجب ان تختفي مع الالف واللام كما اختفى التنوين معها واعتذر « بأنّها قُوِّيت بالحركة وهيَ بعيدة عن موجب الحذف بخلاف الإضافة»[٢٣]. فردّ بثبوتها فيما لا تنوين في واحده وهو المنادى المبني واسم لا النافية للجنس ومالا ينصرف[٢٤]. وأحسب أن ما ذهب إليه سيبويه أصوب إذا ما أخذنا بمنهجهم في التعليل ، فقد ذكر أنّ هذه النون «كأنّها عوض لما منع من الحركة والتنوين»[٢٥]. ومنع الحركة والتنوين عند سيبويه يتأتى من الألف في المثنى والواو في الجمع وهما حرفا الإعراب ، وهما ساكنتان لا تقبلان حركة ولا تنوّنان فاستعيض عنهما بالنون المكسورة أو المفتوحة[٢٦].

ولم يُفَرِّق ابن كيسان في هذا الباب بين تثنية وجمع الاسماء أو الأفعال كما

---

(٢٠) الموفقي : ٣ .

(٢١) المقتضب : ١٥٢/٢ .

(٢٢) همع الهوامع : ٤٨/١ .

(٢٣) شرح التسهيل : ٨٣ .

(٢٤) ينظر شرح التسهيل : ٨٣ والهمع : ٤٨/١ .

(٢٥) الكتاب / هارون : ١٨/١ .

(٢٦) ينظر الكتاب / هارون : ١٨/١ .

فعل سيبويه حين ذكر أنَّ رفع اللَّبس بين المجموع والمثنى يتمُّ بالواو المضموم ما قبلها في الجمع . قال : « إذا لحقت الافعال علامة للجمع لحقتها زائدتان إلاّ أنَّ الأُولى واو مضموم ما قبلها لئلاً يكون الجمع كالتثنية»[٢٧] وقد أرجع اختلاف الحركات في نون الأفعال المثناة والمجموعة إلى محاكاتها في تثنية الاسماء[٢٨].

والذي أراه أنّه لا حاجة بنا إلى هذه التعليلات المجردة إذا عددنا الألف والنون أداة تثنية في الأفعال كما هي في الأسماء وأنَّ الواو والنون أداة جمع في االافعال كما هي في الاسماء كعدّنا « أل » أداة للتعريف ، وأنَّ نون التثنية مبنيَّة على الكسر ونون الجمع مبنية على الفتح . أمَّا حذفها في الإضافة فتخفيف ، وأما انقلاب الألف ياء في الجر والنصب فاني أذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور المخزومي من أنهم حينما أرادوا«إلى أنْ يكون مضافا إليه استعين بالياء وهي من الكسرة لأنها مطل لها وابقيت الفتحة الدالة على الف الاثنين قبلها واستطاعت هنا ان تجمع بين الدلالة على التثنية والدلالة على الاضافة ، ولم يستطع فعل شيء في النصب فاستعانت ببناء المثنى المضاف اليه للتعبير عن كونه نصبا»[٢٩]. ويؤيد هذا ما عرف من بناء المثنى على الالف في بعض اللهجات لأنَّهم قصدوا أنْ يكون علامة تثنية حسب . كما يسنده اشتراك النصب والجر بالياء ، فلو كانت الياء حرف إعراب أو عوضاً عن الحركة لكان للنصب حرفه وللجرّ حرف ثان . أما في الأفعال فالألف والواو والياء مع النون أدوات تثنية وجمع وتأنيث لا تتغير في الرفع والنصب والجزم لأنَّ الفعل لم يُدرِك الاسم في التصرف الإعرابي . أمَّا حذف النون في الجزم والنصب فاني أذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور المخزومي أنّ النون تجيء في هذه الأفعال للحفاظ على علم التثنية والجمع والتأنيث . فلو حذفت في الرفع تضيع الدلالة على هذه الحالات وتحصل الشبهة من أنَّ الفعل قد يكون للمفرد ، أمّا

---

(٢٧) الكتاب :١/١٥ .

(٢٨) ينظر الكتاب : ١/١٩

(٢٩) في النحو العربي / نقد وتوجيه :٩١ .

في حالة الجزم فتنتني فائدة النون وتنتني شبهة أنّ الفعل للمفرد لأنّ الفعل إذا كان للمفرد لم تُضَمّ فيه لام الفعل ، فضمُّها دليل واضح على أنّ الفاعل جماعة لا مفرد . أمّا حذفها في النصب فحملاً على الجزم كحمله على الجرّ في المثنى وجمع المذكر السالم[٣٠].

٢ ـ ترتيب المعارف :

ذكر سيبويه المعارف مرتبة بقوله «المعرفة خمسة أشياء الاسماء التي هي أعلام خاصة ، والمضاف إلى المعرفة إذا لم تُرِدْ معنى التنوين ، والألف واللام ، والاسماء المبهمة ، والإضمار»[٣١] ورتبها الكوفيون كالآتي : «العَلَم ، المُضمَر ، المُبْهَم ، ذو اللام»[٣٢].

أمّا ابن كيسان فجعلها على النحو الآتي : المضمر ، العلم ، اسم الاشارة ، ذو اللام ، الموصول[٣٣]: (ورتبها في الموفقي على نحو آخر) فالمعرفة منها خمسة أشياء وهي الاسماء ، الاعلام وما دخلته الألف واللام وأسماء الإضمار ، واسماء الإشارة . وما أُضيف الى أحدِ هذه الأربعة فهو معرفة»[٣٤] ونُسِبَ له أنّه تابع الفرّاء في عدّ «المُبهم» أعرف من العلم على مذهب المنطقيين[٣٥]. ولم يفهم هذا من كلامه فيما نقل عنه .

واستدلّ ابن كيسان على أنّ المحلّى بـ « ألْ » أعرف من الموصول بقوله تعالى : «قلْ مَنْ أنزَلَ الكتاب الّذي جاء به موسى» فالموصول هنا «الذي» جاء نعت لما فيه « ألْ » وهو «الكتاب» والصفة لا تكون أعرف من الموصوف . وقد ردّ الأشموني هذا الرأي زاعماً أنّ «الّذي» بدلٌ أو مقطوع أو الكتاب علم

---

(٣٠) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٣١) الكتاب : ٢١٩/١ ـ وفي كتاب أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي ص ٤٨٩ تقول (ان سيبويه عدّ الضمير اول المعارف) ولا اراه كذلك فقد ورد في الكتاب آخر المعارف كما ذكرت .

(٣٢) شرح الرضي / المنشيء : ٢٧٧/١ .

(٣٣) شرح الرضي / المنشيء : ٢٧٧/١ .

(٣٤) الموفقي : ٨

(٣٥) ينظر «ابو حيان النحوي : ٤٨٩ . يراجع الهمع / ٥٥/١ وما بعدها

بالغَلَبة على التوراة عند المقصودين بالخطاب وهم بنوا إسرائيل وضعّفه الصبّان بأنّه يمكن أنْ يُجاب عنه« بأنَّ الآية على تقدير وصفية «الّذي» إنَّما تمنع أعرفية الموصول من المحلّى لا تساويها الّذي ذهب المُصنِّف وحينئذ لا تدلُّ الآية على اعـ ة ٍ المحلّى»[٣٦].

(مَنْ و مَا) الاستفهاميتان

انفرد ابن كيسان بعدّهما معرفتين[٣٧]. وقد استدلَّ على أنّهما معرفتان بتعريف جوابها . لأنّك إذا سُئلت : مَنْ عندَك ؟ تقول زيدٌ ، وإذا سُئلت : ماذا دَعاكَ إلى هذا الأمر ؟ تقول : لقاؤك . ولمّا كان الجواب يُطابق السؤال وكان الجواب معرفة كان المستفهم به معرفة أيضا . وردّه الجمهور «بأنّه يصحّ أنْ يُقال في الأول : رجلٌ من بني فلان . وفي الثاني : أمرٌ مُهمٌ . والأصل التنكير إلاّ إذا قامت حُجة واضحة كما أنهما قائمتان مقام «أيّ إنسان» و «أي شيء» وهما نكرتان فوجب : تنكير ما قام مقامها»[٣٨]. وما ردّ به الجمهور لا يعدو كونه مشاركة في إيراد العلل وإنْ كانت عِلَلاً مُتكلِّفة فما ذكروه من امكان القول : «رجل مِنْ بَنِيْ فُلان» و «أمرٌ مُهِمٌّ» لا يكون حجة على ابن كيسان لأنَّ النكرة إذا وُصِفَتْ قربتْ مِنَ المعرفة كثيرا . أضِفْ إلى هذا أن أحداً من المتقدمين لم ينُّص على منع الجواب بالنكرة ، كأنْ تقول في جواب ما ذكر من أسئلة : «رَجلٌ» و «أمرٌ» .

---

(٣٦) ينظر حاشية الصبان : ١٠٧/١ .
(٣٧) ينظر التسهيل : ٢١ والمطالع السعيدة : ٥٩ والهمع : ٥٥/١ وشرح الاشموني مع حاشية الصبان : ١٠٤/١ ، ١٠٥ .
(٣٨) ينظر المطالع السعيدة : ٥٩ . وفي شرح التسهيل : ١٢٦ .

المبتــدأ والخــبر

أ - رافـــع المبتدأ والخـبر

ذهب ابن كيسـان إلى «أنَّ الأول ـ أيْ المبتدأ ـ يرتفـع بالابتداء والثاني خـبر الابتداء يرتفـع بالأول»[39]. وهو يتابع في هذا مذهب سيبويه الّذي قال : «أمّا الّذي يبنى عليه شيء هو فإنَّ المبني عليه يرتفـع به كما ارتفـع هو بالابتداء»[40]. ونقل أبو جعفـر النحـاس عن ابن كيسـان تعليلاً آخـر في رافع المبتدأ والخبر قال : سمعت ابن كيسـان يقـول : المعـنى الّذي رفع المبتدأ عندي هو أنَّ العامل لا يقعِ إلاّ قبل المعمول فيه(*). فإذا قلت : «قامَ زيدٌ» ارتفع بفعله فإذا قلت «زيدٌ قامَ» لم يكن بدٌ مِنْ أنْ يكون في «قام» ضـمير يعـود على «زيدٌ» لأنَّ المعمول فيه لا يكون قبل العـامل كما تقـول «مررْتُ بزيدٍ» ثم تقــول «زيدٌ مررتُ به» فتشغل العامل بضميره فلمّا لم يُجُز أنْ ترفعـه بلفـظ الفعـل لموضـع الضمير وكان معناه كمعنى قامَ زيدٌ رفعته بالمعنى إذ امتنع اللفـظ . فإذا قلت : زيد أخوك . رفعت زيداً أيضاً بالمعنى إذا كان ما بعده يقوم مقام الفعـل ، لأنَّه حديث عن زيد كما أنَّ الفعل حديث عنه . قال : «ورفعت» الأخ «بلفـظ زيد لأنَّ لفظك بزيد كلفظك بالفعـل قبل الفـاعل»[41]. ولا أحسـب هذا يختلف عن سابقه إلاّ في إيراد العلل المجـردة من الضـرورة اللغـوية ، وهذا التعليل ـ فوق ذلك ـ مضطرب إذْ أنَّ المثال الذي أورده هو بما كان حقّه أنْ يُرفَعَ بعدَ العـامل ونسيَ أنَّ هنالك ما هو واجـب النصـب يمكن أنْ يُقَـدمَ على عامله . ولعـل الأقرب إلى تعليله الأول هو أنَّ الذي رفع المبتدأ معنى الاسناد كما هو الحـال في

---

(٣٩) الموفق : ٤ .

(٤٠) الكتاب / هارون : ١٧٢/٢ .

(*) الحلل :١٨٠ ، ١٨١ وفي صفحة : ١٧٧ «قال ابو جعفر النحـاس : سمعت المبرِّد يقـول : ارتفـع المبتدأ لوقوعه موقع الفعل كما رفع الفعل لوقوعه موقع الاسم . اراد ان المبتدأ للخبر كالفعل للفاعل .

(٤١) الواقع أن كلام ابن كيسـان هذا لا يصـح من وجهـة نظري إلا على المعمول الذي هو فاعل الفعـل لان هناك معمولا يتقدم على عامله في مثل : زيداً كلّمت .

الاسم المرتفع بالفعل .

ومن النحاة من ذهب إلى أنَّ المبتدأ ارتفع لتعرّيه من العوامل اللفظية[42].

وكان ابن كيسان يرد هذا المذهب ويقول «إنَّ العامل إذا عمل بظهوره شيئاً لم يعمل بسقوطه . قال : والعوامل ترفع وتنصب وتخفض . فسقوط أيّها أوجب الرفع ، فإذا كان سقوط الرافع هو الذي أوجب الرفع فهو إذن يعمل عملاً واحداً وُجِدَ أو عُدِم ، فلا ينبغي إذا وجد ، أنْ يُسمّى عاملاً لأنّه لم يردّ شيئاً كان معدوماً قبل ظهوره ، وإنْ كان سقوط الناصب الذي يوجب الرفع فهو إذا عُدِمَ أقوى منه إذا وجد لأنَّ الرافع أقوى من الناصب قال : وانْ كان سقوط الخافض هو الرافع لزم فيه ما يلزم في الناصب وإن كان سقوط جميعها أوجب الرفع لزم أيضاً مثل ما ذكرنا»[43]. وبعد هذا وذاك فالكوفيون يزعمون «أنَّ المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدا»[44] غير أنَّ أيّاً من هذه التعليلات لا يملك سنداً واضحاً يجعل التسليم به مطلقاً وإلاّ فما اختلفوا في ذلك هذا الاختلاف البيِّن . واذا كانوا قد لجوا في البحث عن علل لهذه الظواهر فلأنّهم صدروا عن تصورٍ خطإٍ يَرى أن لكلِّ ظاهرةٍ علة لفظيةٍ كانت أو معنوية . . حتى أنَّ هذه اللجاجة في البحث عن العلة تجعلني أبحث أنا معهم عن علة لرافع المبتدأ والخبر ، فاستعير ما تحدث به ابن كيسان من قوة الحركات فإذا كانت الضمُّة هي أقوى الحركات الأعرابية وكان الاسم الواقع في أول الكلام مجرداً من العوامل المختلفة أُعطي الحركة القوية وهي الضمُّة ولمّا كان الخبر نعتاً للمبتدأ شاكله في حركته الإعرابية ، وأحسُب أنّهم أرادوا ذلك بقولهم : إنَّ المبتدأ يرتفع بالابتداء وإنَّ الخبر يرتفع بالمبتدأ .

الخبر الظرف

في الظرف الواقع في موضع الخبر نقل السيوطي أنَّ الخبر عند ابن كيسان

(٤٢) ينظر شرح الجمل : ٢٣١/١ .

(٤٣) الحلل : ١٨١ ، ١٨٢ .

(٤٤) الحلل : ١٨٢ واشار ابن كيسان الى هذا الرأي فقال في الموفق ص٤ «وبعضهم يقول : ارتفع هذا بهذا .» .

هو العامل المحذوف وأنَّ تسمية الظرف خبراً مجاز . وذكر متابعة ابن مالك له في هذا[٤٥]. إلاّ أنّنا نجده في «الموفق» يتحدَّث عن الخبر بغير ما نقله السيوطي فهو يقول «والابتداء رفع وخبر الابتداء رفع إذا كان اسما»[٤٦]. وانّك «إذا ابتدأت الاسم لتحدَّث عنه فلا بُدَّ من أنْ تجيءُ بَعده بأحدِ أربعة أشياء : اسم أو ظرف أو فعل أو جملة فيها ذكره»[٤٧] كما يقول ايضا «الاسم المبتدأ وهو المحدث عنه وما بعده خبره وهو حديث عنه فالفعل والظرف والجملة لا يتغير في شيء من الكلام عن حالها بعد المبتدأ»[٤٨]. ومن ملاحظة هذه النصوص يتضح أنَّ ابن كيسان كان يذهب إلى أنَّ الظرف هو الخبر بنفسه وليس بتقدير محذوف ، فهو لم يفرق بينه وبين الخبر الجملة وهو لا تقدير فيه . كما أنّه صرَّح بأنَّ ما يأتي بعد المبتدأ هو حديث عنه أيْ خبره ، ولكنّه ربما كان قد رأى فيما بعد ما ذكره السيوطي منتهجاً ما كان عليه جمهور النحاة من تقدير الخبر .

وأغلب الظنَّ أنّه لم يُصِبْ في هذا التحوُّلِ عن الرأي الأول لأنّه لا فائدة من تقدير خبر محذوف فهذا المحذوف المقدر لا يصلح : ان يكون خبراً لأنه ينبغي للخبر أنْ تتمَّ به الفائدة مع المبتدأ وهذه الفائدة لا تُتِّم بقولنا : زيدٌ كائنٌ أو مستقِرٌ ونحن نريد في الدار دون ذكرها . ولكن يمكن الاستغناء عن التقدير بقولنا : زيد في الدار ، لان معنى الظرفية في « في » يدلُّ على ما نتعسف في تقديره . كذلك لو كان المحذوف هو الخبر لما اشترطوا ان يكون الظرف والجار والمجرور تاما حينما يقع خبرا فلا يجوز ان يقال : زيد بك . وخلاصة القول ان ما في الظرف والجار والمجرور من دلالة كافية للحديث عن المبتدأ تجعلهما جديرين بان يكونا خبرا بانفسهما دونما حاجة الى التقدير الذي لا يضيف شيئا

---

(٤٥) ينظر الهمع : ٩٩/١ .

(٤٦) الموفق : ٥ .

(٤٧) الموفق : ٩ .

(٤٨) الموفق : ٩ .

لمعنى الكلام . ولعل الفارسي وابن جنّي تابعا ابن كيسان في مذهبه الاول الذي يرى ان الخبر هو «الظرف حقيقة وأنّ العامل صار نسيا منسيا»[٤٩].

تعـــدد المبتـــدأ

قال ابن كيسـان : تقـول السَّمْنُ منوانِ بِدرْهَمٍ . ترفع السَّمنَ بالابتداء ومنوان خبره . وفي الكلام حذف . تُريد : سِعْرُ السمن منوان بدْرهَمٍ من صِلةِ «المنوان» وإنْ شئتَ رفعتَ السَّمنَ بالابتداء ، ورفعتَ المنوينِ بابتداءٍ ثانٍ ، وجعلتَ بدرهم خبر المنوين ، والجملة خبر السَّمن . وفي الكلام حذف . تُريدُ : منوانِ منهُ بدرهمٍ . وكذلك : الحملان حمل بدرهم ، والورق عشرون درهما بدينار . وربما وضعوا الواو مكان الباء فقالوا : الحملان حمل ودرهم ، والبُرُّ قفيزان ودرهم ، والسَّمنُ منوان ودرهم . والجواب فيه كالجواب في الباء إلاّ أنَّ ما بعدَ الواو نسق على ماقبلها وهي بمعنى الباء في حكمها»[٥٠].

أنـــواع الخـــبر

قال ابن كيسان «إذا ابتدأت الاسم لتحدِّث عنه فلا بدّ من أنْ تجيء بأحدِ أربعةِ أشياء : اسم أو ظرف أو فعل أو جملة فيها ذكره فإذا كان بعده اسم فهما رفع وذلك قولك زيدٌ أخوك . وإذا كان بعده فعل أو ظرف أأو جملة فهو على ما قدَّمتُ لك لا يتغير»[٥١].

((في جمع الاسم))

١ - جمع العَلَم المُذكّر المختوم بتاء التأنيث

اشترط جمهور النُحاة في العلم الّذي يُراد جمعه جمع مذكر سالمًا أنْ يكون مُتَجردا من تاء التأنيث فنعوا أنْ يُجمع مثل طَلْحة جمع سلامةً لمذكر ، فقد زعم يونس **أنّك إذا سمّيت رجلاً : طَلْحة أو امرأة او سلَمَةَ أو جَبَلَة ثم أردْتَ أنْ** تجمع جمعته بالتاء كما كنت جامعه قبل أنْ يكون اسما لرجلٍ أو امرأة على

(٤٩) ابن جني النحوي : ٣٢١ .

(٥٠) الايضاح العضدي : ٤٤/١ ، ٤٥ في الحاشية : في حاشية الاصل .

(٥١) الموفق :٩ .

الأصل . ألاَ تراهم وصفوا المذكَّر بالمؤنث فقالوا : رَبعات ولم يقولوا : رَبعون وقالوا : طَلْحةَ الطَلْحات ولم يقولوا : طَلحة الطلحين . فهذا يُجمع على الأصل لا يتغير عن ذلك»[٥٢].

وخالف ذلك الكوفيون واجازوا مثل : طَلْحون بسكون «عين الكلمة» وتابعهم ابن كيسان في جواز الجمع ولكنَّه خالفهم بفتح عين الكلمة . وقد قاس هذا على الجمع بالألف والتّاء مثل «الطُّلحات والحمرات وذلك لان حقّه الألف والتّاء كما قالوا : أرَضون بفتح الراء لِما كان حقُّه الألف والتاء»[٥٣]. وقد رد الرضيّ ذلك بأنَّ ما ذكره «مخالف للقياس والاستعمال» ، أمّا الاستعمال فنحو قوله :

نضّر الله أعظماً دَفَنوها بسَجِسْتان طلحةَ الطلحات

وأمّا القياس فلأنَّ التاء لو بقيت مع الواو والنون لأجتمعت علامتا التأنيث والتذكير وإنْ حُذفت كما عملوا حُذف الشيء مع عدم ما يدلّ عليه وغلب على الظنّ أنَّه جمع المجرد عنها لكثرة جمع المجرد عنها بالواو والنون ولو جاز في الاسم لجاز في الصفة نحو «ربعون» و «علاّمون» ولا يجوز اتفاقا . وإن قاسوا ذا التّاء على ذي الألف فليس لهم ذلك لأنَّ الممدودة تُقْلَبُ واواً فتمنح صورة علامة التأنيث ، وإنما قلبوها واواً دون الياء لتشابههما في الثقل كما قيل صحراوات ، والألف المقصورة تُحذَفُ وتبق القرينة دالة عليها وانمّا لم يحذف الممدودة والمقصورة نسيا حذف التاء للزومها الكلمة فكأنّها لامها»[٥٤].

واحتجَّ ابن كيسان لجواز جمع العلم المختوم بالتاء والواو والنون بأنَّ «التاء تسقط في الطلحات ، فإذا سقطت وبقي الاسم بلا تاء جاز جمعه بالواو والنون كقولهم أرض وأرَضون وكما حُرِكَّتِ العين في أرَضون بالفتح حملاً على أرضات

ش(٥٢) الكتاب : ٩٥/٢ .

(٥٣) شرح الرضي / المنشيء : ١٤٥/٢ .

(٥٤) خزانة الادب : ٨٦/١ ، ٢٩٥/٣ .وشرح المفصل : ٦١/٥ .

فكذلك حركتِ العين من «الطَّلَحون» حملاً على الطلحات لأنهم يجمعون ما كان على «فَعْلة» من الاسماء دون الصفات على فَعَلات بالتحريك»[55].

ومَهْما يكن من أمر فإنَّ أية من هذه الحجج لا تنهض بدعواها لأفتقارها إلى الشواهد من كلام العرب . فإذا ما لجأنا إلى القياس على ما سُمِعَ من كلامهم جاز لنا أنْ نجمع العلمَ المذكَّر المختوم بالتاء جمع سلامة لمذكر كما فعلوا مع الأعلام المجردة منها وهو أدفع للبس من جمعه جمع مؤنث سالماً ولا ضرورة لما رآه ابن كيسان من فتح عين الكلمة لأنَّه يقودنا إلى تَشَتُّتٍ لامُسُوغَ له .

٢ - جمع الصفة التي لا تلحق التاء مؤنثها .

منع اكثر النحويين أنْ تجْمعَ جمعَ السلامة لمذكَّر صفته التي لا تلحق التاء مؤنثها وهي ما جاء على وزن : أفعل فَعلاء ، وفَعلان فَعلى . وانفرد ابن كيسان باجازته . فلكَ أنْ تقولَ على مذهبه : أحْمَرونَ وسَكْرانون . وقد اعتمد لتأييد مذهبه قول الشاعر :

فَما وَجدتْ بنات بني نِزار حَلائلَ أسودين وأحمرينا

وحَمَل غيرهُ البيتَ على الشُذوذ[56] وكما أجاز في المذكَّرِ الجمعَ على صيغة السلامة أجاز في مؤنثه أنْ يُجمعَ جمعاً مؤنثاً سالماً على المذكَّر فيقال : حَمراوات وسكريات[57]. ومنعه الرضي لأن «الاصل ممنوع فكذا **الفرع**»[58] .

والراجح عندي مذهب ابن كيسان في اجازته فلا مُسوغ لمنعه ما دام السماع قد ورد به . أما اذا احتجَّ بقلة هذا السماع فيمكن انْ يرد بأنَّ ألفاظ هذا الباب قليلة أيضاً إضافة إلى أنَّ استقراء اللغة يعتوره نقصٌ كبير . فربّما كان فيما لم يُسْمَعْ شواهد في هذا الباب . واذا كانوا قد جعلوا قبول صفة المذكر للتاء علامة على جواز جمعه سالماً فإن (فعلان فعلى) يدخل في هذا الباب

(٥٥) ينظر شرح الرضي : ١٤٧/٢ .

(٥٦) خزانة الادب : ٨٦/١ ، ٢٩٥/٣ . وشرح المفصل : ٦١/٥ .

(٥٧) ينظر شرح الرضي : ١٤٧/٢ .

(٥٨) شرح الرضي : ١٤٧/٢ .

وفق وجهة النظر الحديثة وما أقرَّه مجمع اللغة العربية[٥٩] من جواز ان تقول : غضبان غضبانة وعطشان عطشانة . اما إذا استعرْنا حُجج النحاة الذهنية فيمكن القول : إنَّ هذه الصيغ اكثر دلالة على التذكير والتأنيث مما لحقته التاء ، فألف التأنيث أقوى في الدَّلالة عليه من التاء لانها من اصل الكلمة وحين تحذف لا يعود الاسم مذكراً كما هو الحال مع التاء ، لذا كان الاكثر دَلالة على التذكير والتأنيث أحقّ أنْ يأخذ حكم ما شابهه من الاسماء . ثم انَّهم جوّزوا جمع صفة المؤنث من مثل حمراء جمع سلامة لمؤنث فلا مسوّغ لمعاملة صفة المذكر بغير هذا . وما جوزّه ابن كيسان على هذا يوّحد حجج باب الصفات ويجنبنا التشعب فيها وهو مؤيد بالشاهد الذّي ذكره . أمّا حمله على الشذوذ فضرب من التعسف والحمل على الشّذوذ حجة بين النحاة لنقص ما لا تنطبق عليه قواعدهم .

٣ - جمع المصدر 'عِلمْ'

روي عن أبي عُمر الجَرْمي أنَّ جمع «عِلْم» على عُلوم لم يسمع في كلام العرب والمصادر التي تجمع قليلة ، لذا فإنَّ هذا الأسلوب مولَّد والجمع فيه خارج عن القياس»[٦٠]. والمُلاحظ أنَّ اكثر العلماء على هذا . أمَّا ابن كيسان فله رأي آخر ، فهو ينظر الى تنوع العِلْم وتعدُّده فكان يقول في أماليه وكتبه : «العلُوم والأشغال إذا اختلفتْ أنواعها جمعت»[٦١]. «وأحسبُ أنَّ الصواب فيما عليه أبو الحسن لأنَّني أرى الخلاف في هذا متأتياً من اختلافهم في فَهْم مدلول «العِلْم» فالظَّاهر أنَّ الّذين لا يُجيزون جمعَها يصدْرونَ عن كونها مصدراً مثله مثل بقية المصادر ولم تجمعه العرب ، غير ملتفتين إلى الفرق بين الدَّلالة

(٥٩) ينظر في أصول اللغة مجموعة القرارات التي أصدرها مجمع الغة العربية ص٨٠ ، وينظر مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين / مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٤ . واصبح المجمع لتجويز ذلك بأن هذه لغة في بني أسد أو هي لغة بني أسد .

(٦٠) ينظر اشتقاق اسماء الله : ٤٨ .

(٦١) اشتقاق اسماء الله : ٤٨ .

الوضعية التي تعني معرفة الشيء حسب تطور هذه الدلالة فيا بعد لتأخذ ابعادا متعددة حيث خرجت عن معناها الاول الدّال على الفهم حسب إلى الدلالة الجزئية نظراً لتنوع ما يحتاج الانسان الى فهْمه والعلم به فصارت كلمة «علْم» حين تُضاف إلى غيرها تعني نوعاً من أنواع المعرفة فهناك علم الحديث وعلم اللغة وعلم المنطق وما الى غير ذلك فما ذهب اليه مانعو جمع «العلم» مقبول من جهة لأنهم كانوا ينظرون إليه على انه معنى عام ، وان ما ذهب اليه ابن كيسان انما يدلّ على نظر واع في تغيّر الدلالة ، وقد وقفنا قبل قليل على قوله «العلوم والاشغال اذا تعددت انواعها جُمعت» .

((النـــداء))

١ - موقـع المنـادى

ذهب سيبويه وجمهور النحاة الى أنَّ المنادى مفعول به لفعل واجب الحذف وقدّروه بـ «أدعو» أو «أُنادي» . قال سيبويه «اعلمْ أنَّ النداء كلُّ اسم مضاف فيه فهو نصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره ، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب»[٦٢]. فاذا قيل إنَّ سيبويه لا يقدّر فعلا بعينه وإنما يقصد ان المنادى منصوب لأنه واقع في سياق فعليّ فأنا أرى أنَّ السّياق الفعلي في حقيقة النداء لا يدلُّ على مفعولية المنادى بل فاعليته لأنَّ واقع المعنى في النداء يبيح أنْ تأتي بعد المنادى بفعل أمر كأنْ تقول . عبدُالله أقدِمْ لذا فهو فاعل في الحقيقة لا مفعول . وذهب ابن كيسان وتابعه ابن الطراوة إلى أنَّ المنادى مفعول به معنى من غير تقدير لفعل[٦٣].

وعندي أنّ رأي ابن كيسان أكثر دقة مما عليه غيره وإنْ كنت اختلف معه في ان المنادى واقع في موضع الفاعلية لا موضع المفعولية . ويبدو أنّ في مسألة

---

(٦٢) الكتاب : ٣٠٣/١ وفيه من شرح السيرافي «فسيبويه وسائر البصريين جعلوا المنادى بمنزلة المفعول به . وينظر المقتضب : ٢٠٢/٤ .

(٦٣) تنظر حاشية الصبان : ٣٩/١ .

النداء عدة مسائل لا بدّ أنْ أعرض لها في هذا الباب لما فيها من تناقض واضح .

١ - ان تقدير الفعل امر متكلفٌ معنىً ولفظاً لأن النداء للمخاطب وهو اسلوب انشائي طلبي . اما اذا اظهرنا الفعل المقدر «تغير المعنى وصار النداء خبرا»[٦٤]. وصارت الدعوة لغائب»

٢ - اذا كان ثمة عامل ومعمول ، فما الحاجة الى تقدير فعل ولماذا لا تكون « يا » هي العاملة اسوة بالادوات الكثيرة التي تعمل في الاسماء والافعال .

٣ - تدلُّنا الحالات المختلفة للمنادى انه ليس هناك عامل لفظي أو معنوي أوجد حركة اعرابية ، لأن الاداة هيَ هيَ وما يطرأ من تغيُّر في الحركة الإعرابية يحدث تبعا للاسم الجاني بعدها ، فزيد وعبدالله عَلَمان . الأول يأتي بعدها مرفوعا والثاني منصوبا ، وعندي أنَّ هذا الاختلاف يرجع في حقيقته الى تطور صوتي محض حيث ان اداة النداء لا عمل لها كأداة الاستفهام ولكنها بطبيعة تركيبها الصوتي الطويل اضطُرت المتكلم الى الاستعانة بخفة الفتحة باستعمالها مع الاسماء المضافة تخفيفا لما فيها من طول وصعوبة النطق بحركة الضم . ومثله نصب النكرة في النداء . فهذا الخليل بن احمد يقول : «انهم نصبوا المضاف نحو : يا عبدَالله ويا أخانا ، والنكرة حين قالوا يا رجلاً صالحاً حين طال الكلام ، كما نصبوا : هو قبلك وهو بعدك»[٦٥].

وفي الكتاب ايضا عن الخليل «اذا اردتَ النكرة وصفت او لم تصف فهذه منصوبة لأن التنوين لحقها فطالت فجُعلت بمنزلة المضاف لمّا طال نُصب ورُدَّ

(٦٤) الرد على النحاة : ٩٠ وفيه من صفحة ٢٠٤ ، ٢٠٥ حديث منطقي لا فائدة فيه عن سبب بناء المنادى المفرد على الضم بعلل ليست ذات شأن .

(٦٥) الكتاب : ٣٠٣/١ .

إلى الاصل كما فُعل ذلك بقبل وبعد»[٦٦]. ولعل ما يؤيد ميلهم الى تخفيف المنادى الثقيل التركيب باعتماد الفتحة تجويزهم نصب العلم المنادى الموصوف بـ «ابن» للمشاكلة والاتباع .

وليس غريباً تخفيفهم ما كان ثقيلاً من التراكيب باصطناعهم الفتحة فقد لجأوا إلى بناء اغلب المركبات على الفتح وليست العلة في ذلك إلاّ علّة صوتية محضة . ومثل هذا يقال في فتحهم نون «مِنْ» اذا التقت مع اللام الساكنة المفتوح ما قبلها في مثل : «اخذت من الرجل كتابا» وكسرها اذا التقت مع غيرها ساكنا مثل «من ابن فلان» اذا انهم لو كسروا في الاول نون «من» لكان الامر يتطلب تحقيق ثلاث كسرات وهو يصعب تحقيقه في النطق فلجأوا الى خفة الفتحة ، اما اذا التقت النون مع اللام الساكنة وكان ما قبل النون مفتوحا خفّ الاداء على النطق لوجود الفتحة فقالوا «مَنِ الرجل» بكسر النون في «مَنْ» الاستفهامية .

العلم المؤنث المنادى المنصوب

قال السيوطي[٦٧] «سُمع من كلام العرب مثل : يا عائشةَ . بفتح التاء ، وذكر انهم ردّوا بيت النابغة : كليني لهم يا أُميمة ناصب بفتح اميمة ، واورد اختلاف النحويين في تفسير ذلك لأن حقّها الرفع حسب ما وضعوه من قواعد لأنها علم مفرد منادى لهذا حاروا في تفسيرها وتوهموا انها مُرخّمة على لغة من ينتظِر فقال ابن كيسان : هو مُرخَّم وهذه التاء هي المبدلة من هاء التأنيث التي تلحق في الوقف اثبتها في الوصل اجراء له مجرى الوقف والزمها الفتح اتباعا لحركة آخر المرخم المنتظر»[٦٨]. غير ان ابا علي الفارسي ذهب ـ فيما ذكر السيوطي ـ الى ان الهاء اقحمت ساكنة بين حرف آخر المرخم وحركته تحركت

---

(٦٦) الكتاب : ٣١١/١ .

(٦٧) ينظر همع : ١٨٥/١

(٦٨) همع : ١٨٥/١ .

بحركته[٦٩] «وذهب سيبويه قبلهما الى ان التاء زيدت آخرا لبيان انها التي حذفت في الترخيم وحركت بالفتح اتباعا»[٧٠]. وقيل انه غير مرخم وان التاء غير زائدة بل هي تاء الكلمة حركت بالفتح اتباعا لحركة ما قبلها والاسم مبني على الضم تقديرا[٧١].

وهذه الاقوال جميعا بينة القصور لأنها بُنيت على اساس واهٍ هو ان العَلم المنادى يُبنى على الضم . لذا فانهم وقعوا في متاهةٍ من اجل تعليل ما خالف قاعدتهم فأتوا بما هو أشد نكرا من مخالفة قاعدة وضعوها . فسيبويه يورد تعليلا ساذجا - في ظني - حين يتحدث عن مجيء «التاء» لبيان انها التي حُذفت ، فاذا كانت الغاية من الترخيم التخفيف أو التحبب وما اليها فماذا يجني المتحدث الذي يقصد ذلك اذا جلب التاء للدلالة على المحذوفة وهي من جنسها غير مخالفة الاصل . وليس حديث الفارسي عن اقحام الهاء بين الحرف الاخير من المرخم وحركته إلاّ خيال محض لا يعتدُّ به اما ابن كيسان فهو أشدّ توغلا فيه كما يتبين من كلامه الذي مرّ ذكره والذي يتضمن ما تضمنه كلام سابقيه من تعليلات ذهنية فهو يرى :

١ - ان هذه «التاء» مبدلة من هاء التأنيث التي تلحق في الوقف ونسي ان هاء الوقف هي تاء التأنيث تلفظ هاء للوقف والعكس غير جائز .

٢ - حمّل الشاعر أنّه اثبتها في الوصل اجراء له مجرى الوقف دونما سبب ظاهر او علة صوتية . ولنا أن نسأل هنا كيف يجوز ان يجري الوصل مجرى الوقف ، وأية فوارق تبق بينهما اذا جاز ذلك ؟

٣ - يرى أنه حرّك التاء اتباعا لآخر المرخم .

ولعل الرأي الثالث الذي ذكره السيوطي بما يشبه عدم الترجيح هو الاقرب الى الصواب فنحن اذا ما نظرنا الى ما أوردوه وجدنا تعسفا كبيرا

---

(٦٩) نفسه :

(٧٠) نفسه :

(٧١) نفسه :

ليس له مسوّغ ولو انهم ابتعدوا عما رسموه لأنفسهم من قواعد ناقصة لما تكلفوا عناء ما اوردوه فلا اظن هذا يدخل فيما ذكروه وعندي ان المنادى موضوع لم يأخذ شكلا موحدا في اللهجات بل هو خاضع لأختلاف بيئاتها وطبيعتها اللغوية واحسب ان لا اسناد ولا مسند اليه في المنادى ولا تقدير لعامل او ثبوت لحركة اعرابية لأن دلالة النداء لا تتأتى من ادوات النداء بل من طبيعة الاداء الصوتي فنحن نستطيع ان نستغني عن ادوات النداء مع انه قائم في الاداء الصوتي ولا عجب في ذلك اذا انتبهنا الى ان اللغة المحكية سبقت اللغة المكتوبة والمقنّنة فانت حين تقول «محمدُ او يا محمدُ» ، يفهم المخاطب معنى النداء من ادائك الصوتي دون الالتفات الى حركة المنادى ، لأنه لا لبس فيه اذا رفع او نصب ، الا ترى ان المنادى في لهجاتنا مبني على السكون وننادي من نناديه مستغنين عن اداة النداء تماما وما احسب هذا في معزل عن تطور لا مجال لنكرانه ولا شك ان مثله حدث في الماضي بأشكال متعددة .

وخلاصة القول انه لا ترخيم في مثل «يا عائشة» بالنصب وانما هي صورة من صور الاداء اللفظي ربما لم تصل الينا شواهد كثيرة في بابها وربما كانت هذه لغة قبيلة او اكثر من القبائل التي منع النحاة الاخذ عنها . ولا داعي لتمحل علل غير مقنعة لاخضاعها لقواعد غير متينة .

العَلَم المنادى الموصوف بـ ' ابن '

جوّز النحاة في المنادى الموصوف بـ «ابن» نحو يا زيد بنَ علي . الضم والفتح اما الضم فعلى الاصل واما الفتح فمشاكلة لحركة «ابن» واحتجّ السيوطي لجواز هذا الاتباع بأن بين حركة المنادى وحركة ابن ساكن وهو حاجز غير حصين[٧٢]. فاذا كان السيوطي يبغي تفسيرا صوتيا في خفة الفتحتين على النطق اذ بينهما ساكن وهو ما يتضح في النطق فاحسبه قد اصاب واذا كان

---

(٧٢) المطالع السعيدة : ١٣٥ ، همع ١٧٦/١ . في الكتاب ٣١٢/١ انه نصب لأن العلم وما وصف به بمنزلة اسم واحد .

يقصد تعليلا ذهنيا فهو على غير ذلك .

ولما كان المسموع من كلام العرب قد جاء في حركة المنادى بالضم والفتح فان النحاة اختلفوا في الاجود منهما ولا سيما ان قاعدتهم بناء المنادى العلم المفرد على الضم فسيبويه لم يقرّ أيَّ اللغتين ارجح وان كان ظاهر كلامه يدلّ على ان النصب أكثر[٧٣]. اما المبرِّد فقد رجَّح الضم على الفتح فقال في قول الشاعر :

يا حَكَمَ بنَ المنذرِ بنِ الجارودْ سُرادق المجْد عليك ممدود[٧٤]

بفتح حكم . قال «لو انشد يا حكمُ بنَ المنذر كان اجود»[٧٥] مع انه يقرر ان النصب اكثر[٧٦]). اما ابن كيسان فقد رجح الفتح على الضم لأنه الاكثر في كلام العرب[٧٧] واحسب انه تابع سيبويه في هذا .

والذي ارى ان ماتوهمه المبرِّد اصلا ليس كذلك فالفتح اصل حسب القاعدة النحوية بدليل ما اورده سيبويه وابن كيسان وما أقرّ به المبرِّد من ان الفتح هو الاكثر في كلام العرب . وهذا يبين لنا أن لا عمل لأداة النداء وكل ما يحدث فيه يتأتى من تطور صوتي محض ـ كما بينت سالفا ـ والا فليس من مسوِّغ للشذوذ عن القاعدة ولم يكن المتكلم العربي الاول يضع قاعدة ليطوِّر وفقها اللغة ، فلا يمكن تبعا لذلك اخضاع تطور اللغة للمنطق الرياضي .

واذا كان الخلاف في هذا الباب ، وهو يصل حد التناقض ، يدحض لنا مسألة العامل في المنادى . فهو يحملنا على الأخذ بما كان الاكثر في كلام العرب

---

(٧٣) ينظر الكتاب : ٣١٤/١ .

(٧٤) ينظر الكتاب : ٣١٤/١ .

(٧٤) في شرح التصريح : ١٦٩/٢ نقل عن الجوهري نسبة البيت الى رؤبة وعن القيني الى رجل من بني الحارث وصدر البيت من شواهد سيبويه ٣١٧/١ .

(٧٥) المقتضب : ٢٣٢/٤ وفي ٢٣١ «الاجود ان نقول : يا زيدُ بن عمرو على النعت والبدل» وفي المطالع السعيدة : ١٣٥ ، والهمع : ١٧٦/١« قال المبرد ان الضم هو الاجود لأنه الاصل .»

(٧٦) ينظر الكامل : ١٩٠/٤ .

(٧٧) ينظر الهمع : ١٧٦/١ والمطالع السعيدة : ١٣٥ .

لأنه محصلة التطور الطبيعي للتراكيب اللغوية ، اما القول بالأصول والفروع فدعوى باطلة .

نداء اسم الاشارة المتصل بكاف الخطاب

نقل السيوطي عن السيرافي ان اسم الاشارة المتصل بكاف الخطاب نحو «ذاك» لا ينادى فلا يقال : يا ذاك . ونقل منعه عن سيبويه أيضا ولم أجده منعه في الكتاب وأجازه ابن كيسان له[٧٨]. إلاّ ان مذهب ابن كيسان يُردّ بأن الكاف فيه لمخاطب غير المخاطب بالنداء قال الصبّان «ولأبن كيسان ان يجعل الخطاب في مثل «يا ذاكَ للمشار إليه فلا يحصل التنافي ، لكنْ يمنعه ما تقدم في باب اسم الاشارة من أنَّ المخاطب بالكاف غير المشار إليه إلاّ ان يخصّصه بغير النداء[٧٩]. وعندي ان ابن كيسان يتابع سيبويه في هذا فظاهر كلامه يدل على مثله قال سيبويه «واعلم ان الاسماء المبهمة التي توصف بالاسماء التي فيها الالف واللام تنزل منزلة أي وهي : هذا وهؤلاء واولئك وما اشبهها وتوصف بالاسماء وذلك قولك : هذا الرجل ويا هذان الرجلان»[٨٠]. فظاهر كلام سيبويه انه يجوز لك ان تنادي ما فيه كاف الخطاب بشرط ان يوصف بما فيه الالف واللام ، ولا اهمية لما ذكره السيرافي من أن سيبويه قصد الى ذكر اولئك مع المبهمات لا فيما ينادى لأن الكاف للمخاطب وأولاء غير الذي له الكاف فلا ينادى من ليس بمخاطب[٨١]. واحسب ان في دفاع السيرافي تكلفا فما كان هذا مكان تعداد المبهمات وما كانت لتغيب عن سيبويه .

وصف أيّ في النداء

اجاز ابن كيسان ان تصف « أيّ » في النداء باسم الاشارة المتصل بكاف الخطاب[٨٢] فلك أنْ تقول على مذهبه «يا أيُّها ذاك الرجل» وقد منعه

(٧٨) ينظر الهمع : ١٧٤/١ .

(٧٩) حاشية الصبان : ١٥٢/٣ .

(٨٠) الكتاب : ٣٠٦/١ .

(٨١) شرح السيرافي حاشية الكتاب : ٣٠٦/١ .

(٨٢) ينظر شرح الاشموني : ١٥٢/٣ والهمع : ١٧٥/١ «يا ايها ذاك»

النحويون . وابن كيسان يعتمد في هذا مذهبه في جواز نداء الاشارة المتصل بكاف الخطاب كما مرّ لأن موصوف أيّ هو المقصود بالنداء .

ومما يدخل في هذا الباب ان الكوفيين وابن كيسان يذهبون الى أنَّ «أيّ» لابدّ ان يصحبها اسم الاشارة لأنّ « ها » عندهم في قولنا «يا أيُّها الرجل» دخلت للتنبيه مع اسم الاشارة فإذا قلت : يا أيُّها الرجل . تريد يا أيها ذا الرجل ثم حذفت ذا اكتفاء بها[٨٣].

النُّــدْبَــــة

اختلف النحاة في إعراب الجزء الأول مِمَّنْ سُمِّي بـ «اثنا عشر» في الندبة ، قال سيبويه «تقول واقنسروناه لأن هذا اسم مفرد ، وكذلك رجل سمّي بـ «اثني عشر» تقول وا اثنا عشراه لأنه اسم مفرد بمنزلة قنسرين»[٨٤]. فهو يعدّه جزءا واحدا . وذهب الرّضيّ الى مثل ذلك فقال «لأنه غير مضاف ، وعشر معاقب للنون فكأنك قلت وا اثنان»[٨٥]. اما الكوفيون فقالوا : «وا اثني عشراه بالياء تشبيها له بالمضاف لأن نون المثنى لا تسقط إلاّ في الاضافة فكأنه مضاف»[٨٦].وأجاز ابن كيسان الوجهين[٨٧].

وهذه المسألة ـ فيما اعتقد لا تستأهل نقاشا لأنها تقوم على فرض لا دليل عليه ولا سند له فيما رُوي عن العرب ولو سُمِع منهم شيء كهذا لكان النحاة في غنى عن التمحّل ، لذا فجواز الوجهين اولى اذا ما تحقق الغرض الذي افترضوه وندبنا شخصا يُسمّى «اثنا عشر» لأن للنادب حاله الخاصة التي لا يخضع كلامه فيها لأعراب ولا يجمعه ضابط !

---

(٨٣) شرح الاشموني مع حاشية : ١٥١/٣ .

(٨٤) الكتاب : ٣٢٤/١ .

(٨٥) شرح الرضي : ١٧٠ .

(٨٦) شرح الرضي : ١٧٠ .

(٨٧) ينظر شرح الرضى : ١٧٠ .

إلقاء علامة الندبة على الصفة

ذهب الكوفيون إلى أنَّ علامة الندبة يجوز انْ تُلق على الصفة نحو قولك «وازيدُ الظريفاه»[88]. واليه ذهب يونس بن حبيب[89] وبه قال أبو الحسن بن كيسان[90] أمّا الخليل وسيبويه فمنعا ذلك لأنّ هذا ممّا لا تلحقه ألف الندبة عندهما[91] وأحتجَّ الخليل لذلك بأن الظريف ليس بمنادى «ولو جاز ذا لقلت وازيداً أنت الفارس البطلاه لأن هذا غير نداء كما ان ذلك غير نداء»[92]. وزعم السيرافي ان الخليل احتج لبطلان ندبة الصفة ببطلان ندبة الخبر وان من يخالفه قال بأن الخبر كالصفة لأنه منقطع عن المندوب والصفة من تمامه[93]. وما احسب الخليل ذهب الى مثل هذا وإنما هو «يعد الصفة مع الموصوف بمنزلة الاسم الواحد كما هو شأن المضاف والمضاف اليه الذي هو تمام الاسم ومقتضاه والذي تقع عليه الف الندبة[94].

اما المبرِّد فاحسب انه منع ذلك في الصفة التي لا تدلُّ على حال التفجع كما في «الظريف» فقد منع «يا زيد الظريفاه لأن الندبة عذر للتفجع وبها يخبر المتكلم أنه قد ناله امر عظيم ووقع في خطب جسيم»[95].

الترخيم

الترخيم هو حذف أواخر الاسماء المفردة تخفيفاً ولا يجوز في غير النداء الا لضرورة الشعر ، واشترطوا للمرخم ان يكون منادى مفردا معرفة على اكثر من ثلاثة احرف ، او على ثلاثة آخرها هاء التانيث[96]. اما ما كان من الاسماء مركبا

(88) الانصاف : ٣٦٤/١ .

(89) الكتاب : ٣٢٣/١ .

(90) ينظر الانصاف : ٣٦٤/١ .

(91) ينظر الكتاب : ٣٢٣/١ .

(92) الكتاب : ٣٢٣/١ .

(93) ينظر الكتاب / حاشية السيرافي : ٣٢٤/١ .

(94) ينظر الكتاب : ٣٢٣/١ .

(95) المقتضب : ٢٦٨/٤ .

(96) ينظر الكتاب : ٣٢٩/١ ، ٣٣٠ .

تركيب مزج فمذهب الخليل انه يحذف الكلمة التي ضُمَّت الى الصدر لأنها عنده بمنزلة الهاء[٩٧]. وزعم ابن هشام انه لا خلاف في حذف ثاني الجزأين في ترخيم المركب سوى ما ذهب إليه الفرّاء في حذف الهاء فقط فيما كان مختوماً من الأعلام هبـ «ويهِ»[٩٨].

اما ابن كيسان فيذهب الى حذف حرف من نحو «بَعْلَبك» وحرفين من نحو حضرَموت . أي حرف من الخماسي وحرفين من السُّداسّي ورفض حذف الجزء الثاني برمَّته من المركب فقال «لا يجوز حذف الجزء الثاني من المركب ، بل إنْ حذفتَ الحرف أو الحرفين فقلت «يابعلَب» ، ويا حضرمَ لم أرَ به بأسا»[٩٩]. ويبدو ان ترخيم المركب لم يُسمَع من العرب انما اجازه النحويين قياسا على غيره[١٠٠] وحجة ابن كيسان في منع حذف الجزء الثاني انه يلتبس بالمفردات . اما حذف الحرف والحرفين فأدلّ على المحذوف من حذف الثاني بأسره[١٠١] وهي - فيما أرى - حجة بيانية مقبولة فإذا كان التخفيف هو الغرض من الترخيم وجب ألاّ يؤدي هذا إلى اللبس في القصد .

وزعم السيوطي أنَّ الأولين أجابوا بأنَّ اللبس يزول باعتماد لغة من ينتظر وان هذه اللغة تتعين إذا خيف اللبس[١٠٢]. ولست أرى في هذا الزعم دفعاً لمذهب ابن كيسان . لأنَّ لغة «من ينتظر» لا تدفع اللبس دائما ففي مثل «يا حضر» بحذف الجزء الثاني من حضرموت وعلى لغة من ينتظر يلتبس بترخيم

---

(٩٧) ينظر الكتاب :٣٤١/١ وينظر المقتضب : ٢١/٤ ، ونسب السيوطي الرأي الى البصريين جميعا في همع الهوامع : ١٨٣/١ .

٩٨) ينظر الجامع الصغير : ٥٣ .

(٩٩) شرح الاشموني :١٧٩/٣ وفي تسهيل المقاصد : ١٨٨ شع ، قال ابن كيسان لا يحذف العجز بكماله ان حصل لبس ولم اجدها في غيره . وربما كان فهم قول ابن كيسان «أدلّ على المحذوف من حذف الثاني باسره» التي سترد بعد قليل بأنه يمنع حذف الثاني في حال اللبس فقط .

(١٠٠) ينظر الكتاب : ٣٤١/١ وشرح الاشموني : ١٧٩/٣ .

(١٠١) ينظر همع الهوامع : ١٨٣/١ .

(١٠٢) ينظر همع الهوامع : ١٨٣/١ .

المؤنث المختوم بهاء التأنيث مثل «حضرة» على لغة الانتظار ومن هنا يتبين ان مذهب ابن كيسان أدفع للتوهم .

التوابـــــع

١ ـ العامل في التوابع :

التبعية هي العامل في التوابع عند الخليل وسيبويه[١٠٣]، أمّا المبرِّد فذهب إلى أنَّ العامل في النعت والبيان والتأكيد هو عامل المتبوعَ يَنصَبُّ عليها انصبابة واحدة[١٠٤] .

أمّا ابن كيسان وابن السراج ، فقد تابعا المبرد في قوله على ما ذكر السيوطي[١٠٥]. ولعلّ من المفيد هنا أن اذكرّ بما يؤخذ على النحاة من ولع بالحديث عن العوامل والعلل حداً يقودهم أحياناً إلى التمحُّل وتكلُّف الخلاف استظهاراً للمقدرة مما يضعهم في بعض المواطن موضع التُهمة بقصور الفهم أو دقة التعبير ، فليس هنا من فرق في الحالين بين ما ذهب اليه الفريق الاول وما قصد اليه الفريق الثاني ، لأنَّ عمل الفعل في الاسم وتابعه ـ ان كان لابد من البحث عن عامل ـ هو ذاته معنى التبعية التي جعلت التابع يأخذ حكم المتبوع الذي جلبه الفعل على حدِّ زعمهم أي ان اسلوب التعبير هو الذي جمع التابع والمتبوع بايقاعٍ صوتيٍّ واحد لأنهما كالكلمة الواحدة ومن هذا كان التوهم في جرِّ الصفة مع انها ليست للمجرور في قولهم «هذا جُحُر ضَبٍّ خَرِبٍ» . ولعلّنا نجد عند سيبويه ما يُشير إلى هذا الامتزاج بين التابع والمتبوع حين يتحدث

(١٠٣) ينظر : الكتاب : ٢١٠ وما بعدها ، وينظر همع الهوامع : ١١٥/٢ ، وفي الكتاب ٧٥/١ قوله «هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم تُبدل مكان ذلك الاسم اسماً آخر فيعمل فيه كما عمل في الاول» . ويفهم من هذا انه يقول بعمل الفعل ويبدو ان ما يفهم من التبعية ليس كونها عاملا معنويا بقدر ما هي مشاركة التابع المتبوع في تأثير الفعل فيهما .

(١٠٤) ينظر : همع الهوامع : ١١٥/٢ والمطالع السعيدة : ورقة ٢٤٩ ، وفي المقتضب ٢١١/٤ «اعلم ان المعطوف على الشيء يحل محله لأنه شريكه في العامل» . وفي ٢١٥/٤ «لان النعت انما يرتفع بما يرتفع به المنعوت» وهذا ن القولان بمعنى ما ذكره السيوطي . في الهمع والمطالع .

(١٠٥) ينظر : همع الهوامع : ١١٥/٢ والمطالع السعيدة : ورقة ٢٤٩ .

عن النعت فيقول : «فأمّا النعت الّذي جرى على المنعوت فقولك مررتُ برجلٍ ظريف فصار النعت مجرورا مثل المنعوت لأنّهما كالاسم الواحد»[١٠٦]. ثم انه ليس للفعل في العمل قوة محسوسة يمكن تشخيصها ثم الحديث عن تأثيراتها وما احسب المبرِّد وابن كيسان وابن السراج الا في محاولة بحث عن التفرُّد .

٢ ـ ترتيبها

ذكر الرضي أن التوابع اذا اجتمعت بُدِيء بالنعت ثم بالتأكيد ثم بالبدل ثم بالمنسوق»[١٠٧]. اما ابن كيسان فهو «يقدِّم التأكيد على النعت إذ النعت يفيد ما لا يفيده الاول بخلاف التأكيد . وانما يُقدِّم التأكيد على البدل لأنّ مدلول البدل غير مدلول متبوعه في الحقيقة»[١٠٨].

نلاحظ هنا أنّ ما يوردونه من آراء لم يؤيد بسماع يرجحّ أحدهما على الآخر فيلجأون لتأييد دعواهم الى إيراد حجج ذهنية مشوشة لا أحسبها قادرة على اعطاء مثل هذا الترجيح ، ولعلّ مردّ قصورهم في إيراد الشواهد[١٠٩] في مثل هذا الباب ـ بحدود علمي ـ إلى أنّ هذا النوع من الأساليب لم تألفه العرب وما قالتْ به .

وعندي أنّ ما لا سند له من السّماع مما لا يدخل في قياس صحيح لا يُمكن الجزم به ولا تُغني عنه التوجيهات المنطقية شيئا .

٣ ـ ترتيب المؤكدات

ذهب جمهور النحاة إلى أنّ المؤكدات اذا اجتمعت رُتِّبت على النحو الآتي : «كلّه أجمع أكتع أبصع أبتع»[١١٠] . وقد اشترطوا التوكيد بأكتع وأبصع وأبتع تاليا لـ «أجمع» ومنعوا أن يؤكد بأحدها دونه ، وعلة ذلك عندهم أنها

---

(١٠٦) ينظر : الكتاب : ٢١٠/٢٠٩ .

(١٠٧) شرح الرضي / منشي : ٣٠١/١

(١٠٨) نفسه

(١٠٩) في هذا وفي كثير غيره يتمحل النحاة تعليلات ذهنية دون ان يأتوا من كلام العرب بما يسند دعواهم .

(١١٠) همع : ١٢٣/٢ .

توابع له[١١١].

أما ابن كيسان فقد تابع الكوفيين في جواز التوكيد بهذه بمفردها[١١٢] واستدلوا على ذلك بقول الشاعر :

تَحمِلُني الذَلفاءُ حولاً أكتعا

وقول الآخر : وسائرُه بادٍ إلى الشَّمسِ أكتعُ

تولّوا بالدُّواءِ واتَّقونا بنعمانِ بنِ زَرْعة أكتعينا

إلاّ أنَّ ابن يعيش ينقل عن ابن كيسان ما يُفهم منه انه يشترط التوكيد بهنَّ بعد أجمع فيقول : «وتبدأ بأيَّتِهن شئت بعدها أيْ بعد أجمع»[١١٣]. وأحسب ان ابن كيسان لا يُريد ذلك بل يأخذ بمبدأ الاصالة في «أجمع» فيُعطيها امتياز السبق في الترتيب وَيعدُّ بقية المؤكدات سواء ، وهو بهذا يخالف الذين اشترطوا في ترتيبها الصيغة التي ذكرناها ولكنه لم يشترط وجوب مجيء أجمع قبل هذه المؤكدات استنادا الى ما نقله السيوطي عنه من متابعة الكوفيين وما عرفنا عن أخذه بالشاهد الذي يحمله غيره على الضرورة . فكيف وقد ورد في هذا الباب أكثر من شاهد واحد لا يمكن حمله على الضرورة . فقد ردَّ السيوطي قول الذين حملوا هذه الشواهد على الضرورة بقوله «فيه نظر لا مكان الاتيان بدله بلفظ أجمع»[١١٤].

٤ ـ التوكيد بـ 'نفس' و 'عين'

أكَّدوا في التثنية بـ «نفس» و «عين» بجمعهما على وزن «أفعل» بضم العين

---

(١١١) ينظر الهمع : ٢٣/٢ وشرح المفصل ٤٦/٣ .

(١١٢) وفي المنهل الصافي للدماميني/مخطوط ق ٢١٨ :« واذا اردت الجمع بينها فالواجب ذكر» النفس ثم العين ثم الكلرثم أجمع ثم أكتع في الصحيح ثم اتباعه« أبتع وأبصع .. وأشار المؤلف بقوله في الصحيح الى قول ابن كيسان«فلك بأي شيء ، أوردته من اخوات أجمع بعده .» .

(١١٣) شرح المفصل : ٤٦/٣ ، وفي المنهل الصافي للدماميني مخطوط ق ٢١٨ (واذا اردت الجمع بينها فالواجب ذكر «النفس ثم العين ثم الكل ثم أجمع أثم أكتع في الصحيح ثم أتباعه «أتبع وأبصع .. وأشار المؤلف بقوله في الصحيح الى قول ابن كيسان فانه قال «تبدأ بأي شيءي أوردته من أخوات أجمع بعده .

(١١٤) همع : ١٢٣/٢

فيقال : جاءني الزيدانِ أو الهندانِ أنفُسُهما أعينهما [115]، أما أبن كيسان فقد جوز التوكيد بهما مثنيتين فيقال : نفساهما وعيناهما ، وحكى ذلك عن بعض العرب[116] وتابعه فيه ابن معطٍ وابن إياز وعدّها الأزهري لغة غير فصيحة[117].

وفضل الرضيّ الأولى على الثانية . وعندي أن مذهب ابن كيسان مؤيد بالقياس والسماع . أما القياس ففي أن جميع التوابع تطابق متبوعها اعرابا وافرادا وتثنية وجمعا وتأنيثا وتذكيرا وعلى مذهب ابن كيسان لا يشذّ توكيد المثنى عن جنسه من المؤكدات ، كما ان ممّا يؤيده ما ذكره الرضي[118] من اجازة الكوفيين والاخفش تأكيد المثنى المذكر بأجمعان وأكتعان وأبصعان وأبتعان والمثنى المؤنث جمعا وان وكتعاوان وهو غير مسموع . فكان الاولى ان يكون الأخذ بالمحكي عن العرب لكي يقاس عليه غيره .

والسماع ما نقل عن ابن كيسان حكايته عن بعض العرب . اما دعواهم بعدم مجيء السماع به فلا يركن اليها لانهم لم يتموا استقراء كلام العرب اضافة الى إن ما يورده النحاة من أمثلة في هذا الباب ليست كلاما مرويا بل أمثلة موضوعة ربما وضعت وفق نمط من أنماط الأساليب العربية ، فليس من الملزم أن تكون قاعدةً لا يمكن تجاوزها ما دامت لا تؤلف أسلوبا عاما ولا يؤدي عدم الأخذ بها الى اخلال في قصد البيان . فما الضير في أن يؤكد المتحدِّث بواحد من هذه المؤكدات دون سواها ؟ وما الزلل في أن لا يرتِّبها وفقَ الترتيب الذي اختلقوه ؟ مادام النصُّ الذي يقطع بترتيبٍ معيَّن لم يرِد بذلك .

البـــــدل

أعتمد البصريون هذا المصطلح باطلاقه على التابع المقصود بالحكم بلا

---

(115) شريح التصوير : ١٢٣/٢ .

(116) ينظر : شرح الرضي / منشيء : ٢٩٤/١ وشرح التصريح ١٢١/٢ .

(117) ينظر : شرح التصريح : ١٢١/٢ .

(118) ينظر : شرح الرضي / منشي ٢٩٤/١/ .

واسطة ، أمّا الكوفيون فسّموه «الترجمة والتبيين ، نقل الاخفش ذلك عنهم[119] وذكر ابن كيسان انهم يسمونه «التكرير»[120] أو «التكرار» غير ان ابن كيسان يعتمد مصطلح البصريين مع أنه يخالفهم في حدّه ، فالبدل عنده واجراء الاسم على الاسم يتبع الثاني الاول»[122].

وهو ينقسم عنده أربعة أقسام : بدل الثاني فيه هو الأول وبدل فيه الثاني بعض الاول كقولنا : لقَيني القومُ بعضهم وجاءني الزيدونَ طائفةٌ منهم ، وبدل فيه الثاني غير الاول وليس له ببعض وهو مصدر نبدله من اسم كقولك : عجبت من زيد أمره ، والرابع بدل الغلط . ويكون البدل عنده بمنزلة التوكيد للأول كقولك : رأيت القوم صغيرهم[123]. وهذا في الحقيقة مذهب سيبويه[124].

واذا ما أنعمنا النظر في «البدل» مصطلحا وحدودا وجدناهم يضطربون في تحديد طبيعته وفق الحدود التي رسموها له وما هو عليه في الاستعمال ، ويمكن الحديث عن ذلك من جهتين :

١ ـ المصطلح : إنَّ المصطلحات التي اطلقوها على هذا الذي سموه تابعا فيها من القصور شيء كثير فمصطلح البصريين غير دقيق في الدلالة على ما أرادوا لأن «بدل الشيء غيره»[125] وهو ليس كذلك في الاستعمال : بمعنى انه يمكن الاستغناء عن احدهما والاكتفاء بالاخر[126] وهو ما قالوا به . واحسب ان هذا لا ينطبق على حالاته جميعها ففي البدل الذي فيه الثاني

---

(١١٩) تسهيل الفوائد : ١٧٢ الحاشية في «شمع» .

(١٢٠) همع : ١٢٥/٢ ، في الكتاب ٢٧٤/١ يطلق سيبويه اسم «التكرير» على التوكيد اللفظي .

(١٢١) تسهيل الفوائد : ١٧٢ .

(١٢٢) الموفقي : ٧

(١٢٣) ينظر الموفقي : ٧ .

(١٢٤) ينظر الكتاب : ٧٥/١ .

(١٢٥) لسان العرب / بدل : ٧٥/١ .

(١٢٦) المقتضب : ٢١١/٤ «اعلم ان البدل في جميع العربية يحل محلّ المبدل منه وذلك قولك : مررت برجل زيد وبأخيك ابي عبدالله فكأنك قلت مررت بزيد ومررت بابي عبدالله .

بعض الاول لا يمكن الاستغناء باحدهما عن الثاني لانه لابد من عائد في الثاني على الاول ، كذلك فان بدل الكل من الكل جاء لغرض بياني كمجيء النعت له ، ولا يمكن الاستغناء بالنعت عن منعوته مع الحفاظ على الغرض البياني الذي اراده المتكلم ، ويبدو ان تسمية الكوفيين له «الترجمة او التبيين»[127] اكثر دلالة على معناه ، أما ما نقله عنهم ابن كيسان من انهم يسمونه «التكرير» ففيه قصور أيضا لأنَّ التكرير يعني أنَّ الثاني تكرار للأول ولا أحسبه صواباً لأن التكرار ينبغي أنْ يكون باللفظ أيضا ، إلاّ اذا كان المقصود به تكرير الحكم بتكرير الجملة مع حذف الفعل بدلالة المذكور .

٢ - أمّا الحدود التي حدُّوا بها البدل فلا تخلو من ضعف آخر - وربما كانت هي التي أدَّتْ الى اختلال المصطلح - فهو عند البصريين : التابع المقصود بالحكم بلا واسطة وهو عند ابن كيسان «اجراء الاسم على الاسم يتبع الثاني الاول ، كما مر ذكره ، ويخيل الي أن اهتمام النحاة بالظواهر الاعرابية وعواملها ألهاهم عن التمعن في استقصاء المعنى الذي جيء بالترجمة او التبين لتأديته فكان حدهم بالتالي منصبا على هذه المسألة . ففي اعتقادي ان عد البدل تابعا فيه قصور لانه ثم فرق بين النعت والتوكيد وبين بعض انواع البدل في امكان الاستغناء عن الاولين وعدم الاستغناء عن الاخر . اما فيما يتعلّق بحدّ ابن كيسان فقد يشترك به غيره من التوابع وقد يدخل خبر المبتدأ في هذا الباب اذا ما أخذنا بتعدد الآراء في رافعه ، وقد يدخل فيه غير هذا وذاك لأن فيه من التعميم ما يسمح باندراج غيره تحته .

بعد ذلك هل يمكننا ان نفرد البدل في باب خاص به ؟ أغلب ظني

---

(١٢٧) المقتضب : ٢٩٦/٤ «ان تبدل بعض الشيء منه ، لتعلم ما قصدت له وتبينه للسامع وذلك قولهم : ضربت زيدا رأسه ، أردت ان تبين موضع الضرب فصار كقولك ضربت رأس زيد ومنه جاءني قومك أكثرهم» .

أن ماأصطلح عليه «بالبدل» لا يمتلك ما يجعله بابا بنفسه . فبدل الكلُّ من الكلِّ يمكن ان يدرج في باب النعت ، لان قولنا : جاء زيد الظريف ، كقولنا : جاء زيد ابو عمرو ، كما ان بدل البعض من الكل يندرج في باب من التمييز ـ أو هو ما اصطلح عليه الكوفيون : «الترجمة او التبيين» ـ يكون فيه المميز مبينا لأجزاء من المميز ويكرر فيه الحكم الاعرابي ، اما بدل الغلط فهو الذي يمكن ان ينطبق عليه مصطلح البدل[128] الا انه مع هذا لا يعد اسلوبا ولا يعتد بذكره في نظري فهو غلط على أية حال ويقال فيه ما يقال تكرار في غيره الحكم له بتكرار الفعل الاول ، وأنا هنا اذهب الى ما ذهب اليه الدكتور المخزومي من أخذه بمصطلح الكوفيين «البيان» معنى واستعمالا[129] وان كنت اخالف عنه الرأي في ذهابه الى ان بدل البعض من الكل يؤدي ما يؤديه التوكيد من وظيفة[130]. لأنني لا ارى ثمة مشابهة بين الوظيفتين .

من كل ما تقدم احسب انه يجوز لي الظن بأن مبحث البدل هذا ضرب من زيادة التقسيمات لا نقع فيه ولا غنى لأنه يمكن ان يدرج في ابواب من النحو أخرى لها شكلها الواضح لو نظر الى الأمر في مجال أرحب من هذا الذي انا فيه .

٦ ـ الفرق بين البدل وعطف البيان

يبدو أن ابن كيسان كان اول من فرق بين البدل وعطف البيان فقد قال ابو جعفر النحاس «ما علمت احدا فرق بينهما الا ابن كيسان فان الفرق بينهما ان البدل يقرر الثاني في موضع الاول وعطف البيان ان تقدر انك ذكرت الاسم الاول لم يعرف الا بالثاني وان ذكرت الثاني لم يعرف الا بالاول فجئت بالثاني

---

(١٢٨) في النحو العربي / قواعد وتطبيق : ١٩٥ .

(١٢٩) ينظر في النحو العربي / قواعد وتطبيق : ١٩٨ «البيان هو ماجيء به لبيان ما قبله وتوضيحه أو هو المشبه الصفة كما قالوا ، ويندرج فيه ما سمي بعطف البيان وما سمي ببدل الكل من الكل .

(١٣٠) ينظر في النحو العربي : قواعد وتطبيق : ١٩٦ .

مبينا للاول قائما في مقام النعت والتوكيد[131].

وهنا يمكن ان يقال في عطف البيان ما قيل في البدل وحسبنا انه «قائم مقام النعت والتوكيد كما ذكر ابن كيسان .

نيابة ضمير الخفض عن ضمير الرفع :

مذهب الخليل ويونس وسيبويه أنَّ الضمير الواقع بعد «لولا» مثل لو لاكَ ولولاي . ومنه قول الشاعر :

وكمْ موطنٍ لولاي طحت كما هوى

بأجْرامِه من قلةِ النِّيق مُنهوي

واقع في محل جر بحجة ان الكاف والياء لا تكونان علامة مضمر مرفوع[132]. ويبدو ان في هذا الرأي ضعفا لأن ما يأتي من الاسم بعد لولا يكون مرفوعا فيقال :

«لولا زيدٌ» بالرفع . فكيف تكون لولا بعد ذلك رافعة للمُظْهَر وجارة للمضمر ولهذا أنكر المبرد هذا البيت وعد الشعر خطأ حين قال «انه من قصيدة فيها خطأ كثير»[133].

اما ابن كيسان فقد تنبه لهذا الاضطراب وذكر ان الوجه «لولا انت» ولا يجوز ان يكون المضمر خلاف المظهر في الاعراب وهو بدل منه موضوع موضعه .

ولكن المكنى مستغن عن دلالته بالحرف الذي يوجب فيه الرفع ولا يقع منصوبا ولا مخفوضا ، واكتفي بدلالة الحرف من دلالة المكنى وكان حرف أخصر من حرف»[134]. ثم ذكر انه يتابع بهذا مذهب الفراء .ونسب السيرافي [135]

---

(١٣١) البرهان في علوم القران : ٣٦٤/٢ .

(١٣٢) ينظر : الكتاب : ٣٨٨/١

(١٣٣) شرح السيرافي / حاشية الكتاب : ٣٨٨/١ .

(١٣٤) خزانة الادب : ٤٣٢/٢ .

(١٣٥) شرح السيرافي / حاشية الكتاب : ٣٨٨/١ «ومذهب الاخفش والفرّاء انه في موضع رفع» .

المذهب للاخفش والفراء والذي نلاحظه ان مذهب ابن كيسان قائم على أنَّ الدلالة ليست في الضمير الذي يجيء بعد «لولا» وانما بـ «لولا» ذاتها ، وانَّ ما جاء من ضمير جاء لأنّه أخصر من غيره . وربما كان هذا الاختصار مما تجلبه الضرورة .

عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة

يمتنع عَود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة عند أكثر النحاة[١٣٦]، إلاّ اذا كان الظاهر المفسّر للضمير مُبدلاً منه مثل قولنا : ضربته زيداً . ونقل الأشموني عن ابن عصفور انه نسب اجازته الى الاخفش ومنْعَه الى سيبويه ، وعن ابن كيسان اجماع النحاة في اجازته[١٣٧]. اما اذا تقدم المفعول على الفعل في قولنا : زيداً ضربَ غلامُه ، فذكر السيوطي[١٣٨] منعه عن الفراء واجازته عن المبرد لأنه بمنزلة : ضرب زيدا غلامه ، غير ان ابن كيسان فرق بينها فقال : «عندي بينها فصل ، لأنك اذا قلت : زيدا ضرب غلامه ، فنقلت زيدا من اول الكلام الى اخره وقع بعد الكلام فصار المضمر قبل المظْهر فبطلت - وقولك ضرب زيدا غلامه ، في موضعه لا ينقل فيجعل بعد زيد ، لأن العامل فيه وفي الكلام واحد ، فاذا كانا جميعا بعد العامل فكل واحد منهما في موضعه»[١٣٩].

المفعول له

المفعول له هو المصدر الذي يُؤتى به تسبيباً أو تعليلاً لوقوع الفعل نحو : صفَّقتُ اعجاباً ، وقمتُ إجلالاً ، فإذا لم يكن كذلك وجبَ جرُّه باللام[١٤٠]، كقوله تعالى «هو الّذي خلقَ لكمْ ما في الأرض جميعاً» . وقول امرىء القيس :

---

(١٣٦) في شرح التصريح : ٢٨٣/١ «لا يجيز اكثر النحويين نحو» زان نوره الشُجَر» بتقديم الفاعل على المفعول لا في نثر ولا في شعر . وأجاز فيها الاخفش وابن جني من البصريين وابو عبدالله الطوال من الكوفيين وابن مالك في التسهيل .

(١٣٧) شرح الاشموني : ٦٠/٢ وشرح التصريح : ٢٨٣/١ . ومغني اللبيب : ٥٤٤

(١٣٨) ينظر : الهمع : ٦٦/١ .

(١٣٩) الهمع : ٦٦/١

(١٤٠) ينظر : شرح قطر الندى : ٥١

ولو أنَّ ماأسعى لأدنى معيشةٍ
كفاني - ولم اطلبْ - قليلٌ من المال

وهذا المذهب هو مذهب ابن كيسان في المفعول له نقله القرطبي[١٤١] وتابعه ابن هشام[١٤٢] في تفسير «لكم» بمعنى من اجلكم . وأحسب انَّه ينبغي لنا أنَّه نُشير هنا إلى أنَّ الكوفيين لا يُترجمون للمفعول له فهم «يجعلونه من باب المصدر فلا يُفردون له باباً» واعتماداً لهذا ولانَّ المفعول له يُعبَّر عنه باسم معنى يتمُّ به فهم سبب حدوث الفعل كان الجارُّ والمجرور في الآية الكريمة ، وفي بيت امرىء القيس وما جاء على شاكلتها متعلقا بمصدر مقدر في الجملة اغنى عن ذكره معناها ، فنحن نستطيع أنْ نقدره في الآية بـ«متاعاً» او «عيشاً» وفي البيت «طلباً» وما اليها . ويمكن أنْ نؤيد هذا بقوله تعالى «وخلقَ لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها» . ففي اعتقادي أنَّ «لتسكنوا» هي المفعول له بتأويل مصدر «سكناً» ويمكن قياس تلك على هذه . وما أحسبُ ابن كيسان إلاَّ واهماً فيما ذهب إليه . وإلاَّ فإنَّ في قولنا : قمت احتراما لك ؛ وجب أنْ يكون المفعول له «لك» وليس المصدر .

بقي أنْ اؤكد ما أحسبه صواباً وهو أنّ كلَّ ما جاء على ما سُمّي بـ«المفعول له» ما هو في الحقيقة ، إلاّ نائب عن المفعول المطلق ففي قولنا : قمت احتراماً لك . الاصل فيه : قمت قيام احترام . وفي هذا التوجيه - فيما أظنُّ - لمٌّ لأطراف النحو ، ويمكن أنْ أضيفَ هنا أنَّ جميع ما يأتي من المشتقات ممّا لا يُفسِر هيأة أو مظهراً يمكن ان يحمل على انه نصب على المفعول له كقولنا : جئت داعيا لك او شاكرا ، وقصدت حاجا وما اليها لأن معنى السببية واضح فيها وهي في خلاصة القول تدخل ايضا في باب النيابة عن مصدر محذوف . لذا صح ان تدرج جميعها في باب المصدر «المفعول المطلق» .

---

(١٤١) تفسير القرطبي : ٢٥١/١

(١٤٢) شرح قطر الندى : ٥١

المفعــول معــه

اذا كانت «الواو» للمشاركة فهـي للعـطف وإنْ لم تكن لهـا فقـد تكون للمصاحبة بمعنى «مـع» فاذا قلت : كِنْ أنتَ وزيدٌ كالأخوين ، فقـد قصـدتَ إلى المشاركة وكان زيد مشاركاً للمخاطب ، واذا قلت كن أنت وزيداً كالأخ ، كان «زيدا ، منصوباً لان «الواو» لم تكن للمشـاركة بدلالة افراد «الاخ» وذلك لانك لو عطفت «زيدا» على الضمير في «كـن» لزم ان يكون زيد مأمورا وانت لا تريد أن تأمره وإنّما تريد أنْ تأمر مخـاطبك بأنْ يكون معـه كالاخ . قال الشاعر :

فكونوا انتُم وبني أبيكمْ
مكان الكليتين من الطحال[143]

ولكن من النحاة من رجـح العـطف في مواضـع والنصـب على المعية في اخرى[144]. ومن هنا كان اختلافهـم فيما وقع بعـد المنصوب على المعية حـالا مما قبله او خبرا عنه : نحـو : كنت وزيدا قائما ، وسرت وزيدا راكبا ، وكن انت وزيدا كالأخ . فذهب ابن كيسـان الى وجـوب كونه على حسـب ما قبل المنصوب وتابعـه ابن هشـام[145] وذكر ان السماع والقياس يقتضيانه . ونقـل السـيوطي عن أبي حيان قوله «واياه نختار لأن باب المفعـول معـه باب ضـيق واكثر النحويين لا يقيسونه فلا ينبغي ان نقدم على اجـازة شيء من سـائله الا بسماع من العرب[146] وهذا يعـني ان السماع لم يرد بما يؤيد اجـراءه على الاثنين معا . وأجاز الاخفش مطابقتها قياسا على العطف[147]. ومن اجازه الرضي بقوله «وقد يجوز ان يعطى حكم ما بعد المعطوف فيقال كن وزيدا منطلقـين ، وسرت

---

(١٤٣) شرح قطر الندى : ٥٧

(١٤٤) ينظر : التسهيل مثلا : ١٠٠

(١٤٥) شرح قطر الندى : ٥٨ ، الجامع الصغير ٥٩

(١٤٦) همع : ٢٢٢/١

(١٤٧) شرح قطر الندى : ٥٨

وزيدا راكبين نظرا الى المعنى والى اصل الواو أي العطف»[148] وأجازه السيوطي ايضا[149] في نحو : كان زيد وعمرا متفقين ، وجاء البرد والطيالسة شديدين ، واجازه ابن مالك[150]. وهذا المذهب باطل لأنّك إذا قصدت المعية وجب افراد الحلل أو الخبر ولا يكون هناك مطابقة إلا اذا كان هناك مشاركة ؛ فما جاز فيه العطف تجوز مطابقة الاثنين وما منع فيه العطف تجب فيه مطابقة الاول : وعندي أنَّ العطف في مثل : كان زيد وعمراً متفقين أرجح لأن اشتراكهما في الفعل والخبر واضح وليس من داع للتقدير . وموانع العطف ـ كما اتصورها ـ الامر في مثل «كن انت وزيدا كالأخ» وعدم المشاركة في الفعل في مثل : سرت والنهر .

وما دامت المواقع الاعرابية ذات آصرة وثيقة بالمعنى الذي ترمز اليه الجملة كان فتح باب الجوازات ضربا من التعقيد وان كانوا ربما قصدوا التسهيل والاباحة .

ففي مثل : كان زيد وعمرا متفقين . لا أرى من موجب لجعل الواو للمعية ونصب عمرا ، على هذا الاساس ، لا سيما ان هذا لم يؤيد بسماع عن العرب فكان حق عمرو الرفع لان الاشتراك بين في الفعل والخبر .

تقديم حال المجرور عليه

ذهب جمهور البصريين انه لا يجوز «تقدم حال المخفوض لظاهر ولا مكنى لأن العامل فيها غير متصرف»[151]، اما الكوفيون فقد اجازوا «تقديم حال المجرور المكني إن كانت الحال غير أسم وان كان صاحبها مظهراً»[152]. ويبدو ان الكوفيين أجازوا هذا لأنَّ فيه من الظواهر اللفظية ما يمنع اللبس في معرفة

(١٤٨) شرح الرضي : ٢١٤

(١٤٩) همع : ٢٢٢/١

(١٥٠) التسهيل : ١٠٠

(١٥١) منهج السالك : ١٩١

(١٥٢) نفسه ، وينظر همع : ٢٤١/١ وفيه عن ابن الانباري الاجماع على المنع .

صاحب الحال ، يتبين هذا من شروطهم التي وضعوها له وأمثلتهم الّتي أوردوها فيه[153] أمّا تقديم حال المجرور عليه فهو ممنوع باجماعهم فقد نقل ابن الشجري عن أبي الفتح عثمان بن جنّي أنَّ مثل قولنا : مرْرتُ جالسةً بهند لا يجوز لأنَّ حال المجرور لا تتقدم عليه ونسبَ هذا القول إلى جميع النحويين إلاّ ابن كيسان ، حيثُ ذكر إجازته له[154]. واحتجَّ ابن كيسان لتأييدِ مذهبه بأنَّ «العامل في الحال على الحقيقة هو مررت وإذا كان العامل هو الفعل لم يمتنع تقديم الحال واحتجَّ بقوله جلَّ وعزَّ : (وما أرسلناكِ إلاّ كافةً للناس) ، قال أراد إلاّ للناس كافةً ، أي إلى الناس ، يقال خرجَ القومُ كافةً ولقيتُهم كافةً كما قال تعالى وادخلوا في السِّلمِ كافةً»[155].

وردَّ ابن الشجري ما تعلَّق به ابن كيسان من الآية معتمداً قول الزجّاج بأنَّ «كافةً» في الآية حال من الكاف في «أرسلناك» وليست حالاً من «الناس» ومعناها «كافاً» ودخلت الهاء للمبالغة كما فعلوا في علاّمة ونسّابة وراوية ، أي ارسلناك لتكفَّ الناس عن الشرك وارتكاب الكبائر»[156]. وعندي أنَّ ما أورده الزجّاج يفتقر إلى دليل من قياس او سماع لأنَّ هاء المبالغة وردت في الفاظ محدودة كثر دورانها على الالسن ولم تكن «كافة» بينها كما لم ألحظ أنهم قاسوا عليها ، وهي - فيما حاولت تقصُّيه - تلحق صيغة المبالغة بوزن«فعّال» من الفعل الثلاثي الصحيح مثل «علاّمة» وتلحق أيضا صيغة «فاعل» من الفعل الثلاثي المعتل الآخر مثل «راوية» و «داعية» وما اليها . ولم اجدها لحقت اسم الفعل من فعل ثلاثي مضعف مثل «كف» اما ما ذكره الزجاج من معناها على هذا الاساس فردود بما ذكره المفسرون من انها تعني «عامة» في الآية وهم اذ

---

(١٥٣) ينظر : منهج السالك : ١٩١

(١٥٤) ينظر الامالي الشجرية : ٢٨٠/٢

(١٥٥) نفسه :

(١٥٦) نفسه :٢٨١/٢ ، وفي البحر المحيط ١٨٢/٧«واما اقول الزجاج ان كافة بمعنى جامعا والهاء فيه للمبالغة فان اللغة لاتساعد على ذلك لان كف ليس بمحفوظ ان معناه جمع .

اوردوا رأي الزجــاج اوردوه تالياً للاول[157] مما يدل على انه ليس الارجــح عندهم . فالزمخشري يذكر ان معناها «ارسالة عامة» فهـو يقـدر لها موصــوفا محذوفا ، ويَسِمُ بالخطأ من يقدم حال المجرور عليه «لأن ذلك مسـتحيل كتقـدير المجرور على الجار . ومن يقدم ويعتبره حالاً من المجـرور يقـع في خـطأ ثان لأنه يجعل اللام بمعنى الى»[158].

ولا أحسب ان فيما ذكره الزمخشري حجـة له ، فليس ثمة مشـابهة بين عمل الجار في المجرور وبين عمل الفعل في المجرور وحاله ، أمّا جعل اللام بمعنى «الى» فلا حُجَّة له فيه لأنَّ الفعل «كــف» متعـد بلا حـرف فلو كان «كافة»ـ مشـتقا منه لأستغنى عن حرف التعدية .

ويبدو لي بعد هذا أنَّ مذهب ابن كيسان في جواز تقدُّم حـال المجـرور عليه هو الراجح وأنَّ «كافـةً» حال متقدِّم من «الناس» يؤيده ما يأتي بعدها من حال الكاف في الجملة وهو «بشـيراً» في قوله «وما أرسـلناك إلاّ كافةً للناس بشــيراً ونذيراً» ويؤيده كذلك ما ذكره من أنَّ هذه الآية يُراد بهــا تفضـيـل محمد على غيره من الانبياء بارساله إلى الانس والجنّ يعني إلى الناس عامة ، وما رفعـوه الى الرســول من قوله «وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خــاصة وبُعثتُ إلى الناس عامة»[159] .

وتابع ابن كيســان أبو علي الفــارسي وابن برهان وابن مالك واحتجَّ له الأشموني[160] بالقياس على تقـديم حـال المفعــول به وبالسّماع غير الآية الكريمة

(١٥٧) ينظر : الطبري : ٩٦/٢٢ ، والزمخشري : ٥٨٣/٤ .

(١٥٨) الزمخشري : ٥٨٣/٤ ، وفي شرح المفصل ٥٩/٢ ان سيبويه وابا بكر بن السراج ومن تبعهما منعـا جـواز ذلك لأن العامل وان كان الفعل لكنه لما لم يصل الى ذي الحال الا بواسطة حرف الجر ان يعمل في حاله قبل ذكر ذلك الحرف وكما لا يجوز تقديم صاحب الحال على حرف الجـر كذلك لا يجـوز تقـديم الحـال عليه .

(١٥٩) ابن كثير : ٥٥٣/٥ .

(١٦٠) شرح الاشموني : ١٧٦/٢ ، ١٧٧ ، واضاف الازهري في شرح التصريح ٣٧٩/١ ، متابعة ابن كيسـان ابن جني وابن برهان وابن ملكون وبعض الكوفيين الا انه حمل الابيات على الضرورة او هي حال من مجـرور

بقول الشاعر :

تَسلَّيْتُ طُراً عنكُم بعدَ بينِكم بذكراكمُ حتى كأنكمُ عندي

وقولــــه :

لَئِنْ كانَ بَردُ الماءِ هِيمانَ صادياً إليَّ حبيباً إنَّها لَحبيبُ

وقولــــه :

غافِلاً تعرِضُ المنيةُ للمرْ ءِ فيُدعى ولاتَ حينَ اباءُ

وقولــــه :

فإنْ تكُ أخوادُ أُصِبْنَ ونسوةٌ فلنْ يذهبوا فِرغاً بقتلِ حبال

وقولــــه :

مشغوفةٌ بك قد شغفت وإنَّما حُمَّ الفراق فما إليك سبيل

ومنه قول الشاعر[161]

إذا المَـرءُ أعيتْهُ السِّيـادةُ نـاشِئاً فطلبها كهلاً عليهِ شديدُ

وقولــــه :

تَسلَّيتُ طُرَّاً عنكم بعدَ بينِكم بذكراكم حتّى كأنكم عندي

إلاّ أنَّ أبا حيّان انكر هذا بقـوله «وهذا الذي اسـتدلوا به من السمّاع على تقدير ألاّ يُتصور تأويله لا حُجّة فيه لأنه شعر والشـعر يجـوز فيه مالا يجـوز في الكلام هذا وقد توّول جميع ذلك»[162]. وهذا القـول على ما فيه من تعمُّد لـــاهر للتأويل ليس فيه ما يجعله مَرضَياً فقـد اسرف حـين ذكر أن الشـعر لا يجـوز

مقدم محذوف .

(١٦١) ينظر : منهج السالك : ١٩١ ، وفي البحر المحيط ٢٨١/٧ ، وفي الجامع الصغير ٦٤ : فطلبهـا كهـلا عليه شديد شاذ أو مؤول .

(١٦٢) منهج السالك : ١٩١

الاستشهاد به فهو يلغي بذلك ركنا اساسا من اركان مصادر الدراسة النحوية ، وكان يمكن الأخذ بتأويله لو ان ماجيء به كان شاهداً واحداً حسب وليس ما أورَده لتأييد مخالفته من حجج تضج بالاقيسة العقلية بمغنٍ الباحث في شيء ولا دافعا عنه قصد التمحل .

المصدر الواقع موقع الحال

اختلفوا في إعراب «رَغَداً» من قوله تعالى «وكلا منها رغداً» فأعربه الجمهور نعتا لمصدر محذوف والتقدير «أكلاً رغدا» أمّا ابن كيسان فذهب إلى أنَّه مصدر في موضع الحال[١٦٣]. وشكَّك أبو حيان[١٦٤] في صحة الاعرابين واحتجَّ لذلك بتخطئة سيبويه الرأي الاول وبقصور الثاني على السماع . اما ابن كيسان فاحسبه تمحَّل القول ذلك ان العرب وصفوا بالمصدر فقالوا «هذا رجل عدل» بمعنى عادل ، ولما كانت الصفة تنوب عن مصدرها اي «المفعول المطلق» كان الرأي الاول هو الارجح حيث انه الأبعد عن التعقيد ولا أرى عدَّه إياه حالاً إلاّ من قبيل الوهم اذ انه في الحالين من تقدير «أكلاً» وعند ذلك يكون «رَغَدا» حالا من نكرة وهذا غير جائز عندهم . اما ما ردَّ به أبو حيان فلا حجة فيه فاذا كان سيبويه قد خطأ الاول فلا يعني هذا بطلانه .

الحال السادة مسدَّ الخبر

انقسم النحاة في الحال الجائية في محلِّ الخبر على مذهبين ، وزعم من نقل عن ابن كيسان أنَّه ذهب مذهب الكوفيين : الكسائي والفرّاء وهشام إلى أنَّ الحال هي الخبر لا سادّةً مسدّه[١٦٥].

والظاهر ان ابن كيسان على غير هذا إذا أنعمنا النظر في العلة التي يوردها لتفسير مذهبه ، فقوله «إنَّما أغنت الحال عن الخبر لشبهها بالظرف فكأنه قيل :

---

(١٦٣) البحر المحيط : ١٥٨/١ ، مشكل اعراب القرآن : ق١٨

(١٦٤) البحر المحيط : ١٥٧/١ ، ١٥٨

(١٦٥) ينظر سرح التسهيل : ٣٠١ ، والمطالع السعيدة : ٩٣

ضَرْبي زيداً في حالِ قيامٍ» . يضعه مع اصحاب المذهب القائل : بأنَّ الحال سدَّت مسدّ الخبر لا مع مذهب الكسائي والفراء وهشام الذي يرى أنَّها خبر نُصِبَ على الحال .

وقد أشار المراديُّ إلى مثل هذا[166] كما نَصَّ أنَّ ابن كيسان والأعلم على المذهب الاول الذي عزاه بعضهم إلى الاخفش ، وعلته «أنّ الحال كالظرف لأنّها في تقديره فكأنك قلت : ضربي زيداً في حالِ كونهِ قائماً»[167] وهي العلة التي اعتلَّ بها ابن كيسان أيضاً والتي ضعَّفها ابو حيان فقال : «لو جاز ما قدره لجاز مع الجثة انْ يقول زيدٌ قائماً لأنَّه بمعنى : زيدٌ في حال قيام وهو ممنوع اجماعا» . واحسب أنَّ أبا حيان خلط فيما اعتل به فهناك فرق واضح بين قولهم : ضربي زيدا قائما وقولهم : زيد قائم ، لأن «زيد» في الثاني اسم ، وهو مبتدأ ويحتاج الى الخبر أما «ضربي» فبمنزلة الفعل بل هو فعل في حقيقته .

ويبدو ان أيّاً من المذهبيين لا يملكُ مُرجّحاً على الآخر كما ان النظر الفاحص الى هذا الاسلوب يرى فيه ركاكة في البناء ولبسا في الدلالة المعنوية وندرة في الشواهد ، فلم يورد النحاة فيه سوى هذا الشاهد الضعيف ، واغلب الظن ان استقامة المعنى تقتضي - ان صح ورود مثل هذا - ان يحمل المصدر على الفعل وتكون الجملة فعلية لا ابتداء فيها ولا اخبار اعتمادا على ما أشرت اليه من بطلان دعوى الحال هي الخبر ونصبت على الحال لعدم شيوع هذا الاسلوب - بحدود علمي - فيما استقرأه النحاة من كلام العرب ، وعدم امكان قياسه على ما استخلصوه من قواعد ، كما ان تقدير اصحاب المذهب الثاني للخبر على انه «في حال كونه قائما» لا يفي بشيء لأن الخبر اذا قدر كذلك سيكون خبرا لزيد وهو معمول المبتدأ لا خبرا لما عدوه المبتدأ وهو «ضربي» ولا يمكن ان يكون الخبر الا لمبتدئه .

---

(١٦٦) ينظر : شرح التسهيل : ٣٠١

(١٦٧) نفسه : ٣٠١

افعل التفضيل العامل في حالين

ذهب المازني في اظهر اقواله كما جاء في منهج السالك[١٦٨] إلى أنّ أفعل التفضيل عامل في الحالين معاً في قولهم «هذا بُرْاً أطيبُ منه رُطَباً» . إذْ أنَّ بُرْاً حال من الضمير المستكن في أطيب ورطبا حال من الضمير المجرور في منه والعامل فيهما «اطيب» ونسبه ابو حيان الى ابن كيسان ايضا وذكر ان ابن جني وابن خروف تابعاهما في هذا . ونقل الازهري[١٦٩] عن المبرِّد [١٧٠] والزجاج وابن السراج والسيرافي والفارسي ان الناصب هو (كان) محذوفة تامة صلة لأذ واذا .

والذي اراه ان الكلام مستقيم وان لم يقدّر فيه «كان» أصلا ولا عمل لأفعل التفضيل بهذه فهو يشبه قوله تعالى «هذا بَعْلِي شَيْخاً» اذ ورد الحال من الخبر ولا عامل فيه أمّا ما ساقوه من تقديرات فافتعال قادهم اليه غلّوهم في التمسك بفكرة العمل .

الاسماء الستة

تُعرب الاسماء الستة بالحروف اذا أُضيفت ألى غير ياء المتكلم فإنْ لم تُضَف أُعربتِ بالحركات إلاّ ان «فـو» يشذّ عنها في كونه إذا لم يُضف أُبدلت الميم مكان الواو وأُعربت بالحركات لأنّها إنْ لم تلحقه بقيَ على حرف واحد كما يزعم النحاة غير انه ورد مُعرباً بالالف نصباً دون إضافة في قول العجاج :

خالَطَ من سَلمى خياشيمَ وفَا

فاختلفوا فيه ، فنهم من حمله على اللحن وعدّه المبرِّد غير لاحن «لأنه

(١٦٨) منهج السالك : ٢٠٢ وشرح التصريح : ٣٨٢/١

(١٦٩) شرح التصريح : ٣٨٤/١ .

(١٧٠) في المقتضب : ٢٥٠/٣ ، ٢٥١« مررت برجل خير ما يكون خير منك خير ما تكون على اضماره اذ كان « و » اذا كان «ومثل هذا قولك : هذا بسرا اطيب منه تمرا فان اومأت اليه وهو بسر ، تريد : هذا اذا صار بسراً اطيب منه اذا صار تمرا وان اومأت اليه وهو تمر قلت : هذا بسراً اطيب منه تمرا اي هذا اذا كان بسراً اطيب برا اطيب منه اذا صار تمرا فانما على هذا بوجه لأن الانتقال فيه موجود» .

حيث ظهر اتى به في قافية لا يلحقه معها التنوين في منهبه»[171]. وخرّجه أبو الحسن الاخفش وابن مالك بأنه حذف المضاف اليه ونوى ثبوت لفظه ، والاضافة منوية في المعطوف والمعطوف عليه . أي : خياشيمها وفاها . فأبقاه على حاله غير مضاف إضافة صريحة»[172].

امّا ابن كيسان فالظاهر انه كان يتابع مذهب المبرد حين علّل جواز ذلك بأنه «موضع لا يلحقه التنوين فحذف ـ يعني التنوين ـ وبقي مفردا على حرفين ، اذ الالف هي المنقلبة عن عين الكلمة فلم يلزم من ذلك ان يبقى على حرف واحد»[173]. وقد حسب الازهري ان في كلام ابن كيسان ما يؤيد مذهب الاخفش وليس كذلك ، وقد انتبه العليمي الى هذا وقال «الذي يظهر لي ان كلام ابن كيسان جواب عن اعتراض غير الاعتراض الذي قرّر به الشارح كلام المصنف وأشار إليه الخُضري في حاشيته وحاصله وان كان بعيدا من سياق كلام المصنف أن «فـو» اذا لم يُضف وجب ان يتصل به «الميم» لئلا يبقى على حرف واحد وما في البيت لم تتصل به الميم ، فان كلام ابن كيسان يظهر جوابا عن هذا الاعتراض لجوابي المصنف او جوابه»[174].

ومهما يكن من امر فان ما اوردوه من علل لا تتحمله هذه المسألة وما هو بقادر على ان يقنع احدا ، غير اننا اذا نظرنا الى اصل الكلمة في اللغة ربما نجد ما يسعفنا في تحديد طبيعة استعمالها في التركيب المذكور جاء في لسان العرب : الفُوهُ : اصل بناء تأسيس الفم . وحكى ابن سيده عن ابن دريد : وفاهٌ وفوهٌ وفيهٌ ، وقد فوه الرجل فوها فهو افوه . معنى ذلك ان الكلمة مؤلفة من ثلاثة احرف وربما حذف الثالث لثقله مع الواو والالف والياء عند اسناده

(171) المقتضب : 240/1 .

(172) شرح التصريح : 62/1 وحمله صاحب الشرح على الشذوذ .

(173) شرح التصريح : 62/1 ، وشرح التسهيل : 52 ، وجاء في خزانة الادب ، 261/2 عن أبي علي الفارسي «وقال في البغداديات : اجرى الشاعر في «فمه» الافراد مجرى الاضافة في الضرورة وبقي الاسم على حرف واحد وجاز هذا في الشعر للضرورة» .

(174) حاشية العليمي على شرح التصريح : 62/1 .

الى الضمائر في مثل : فوهك وفاهك وفيهك ولا احسب «الفم» الا لغة ثانية فيه فقد استعملوا «الفم» في الاضافة دون حذف الميم فيه وقد ورد في كلام العرب[175].

فلما كانت اللغات كلها معروفة فلماذا لا يكون استعمال «فا» من استعمال الاسم دون اضافة ؟ والمسألة عندي صوتية محض فالظاهر ان الفم اصل على حدة حدث نتيجة الابدال الصوتي وان «الفا» في البيت وردت مفردة من غير اضافة بدلالة افرادا الخياشيم وان الهاء في «فاه» حذفت تخفيفا للوقف والسكون وضرورة القافية . لذا ينبغي لنا ان لا نتمحّل في العلل لأثبات تقدير اضافة لا لزوم لها ـ وربما كان الشاعر جوّز ذلك لأنه جاء في القافية واعتمد الف الاطلاق .

العـــدد

إعــراب (اثنــا عــشر)

ذهب جمهور النحاة الى ان «اثنا عشر» و «اثنتا عشرة» مبنيان عجزا ومعربان صدرا واحتجوا لذلك بأن العجز فيهما يقوم مقام النون فبقي الصدر على اعرابه كما كان مع النون»[176] وعليه المبرد[177] واحتج لذلك بِحِجَاج فيه تعقيد واضح دون الاتيان بسند من رواية مسموعة . وذهب ابن كيسان الى ان الصدر مبني على الالف والياء كاخواته المركبات وتابعه في ذلك ابن درستويه[178]. ولما كان النحاة لم يوردوا شاهداً يعزّز مذهبا من المذاهب فعندي ان مذهب ابن كيسان ارجح لكي لا يشذ «اثنا عشر» عن بقية اخواته .

العــدد الترتيــبي

اذا بنينا اسم الفاعل من العدد المركب على الاكتفاء «بحادي عشر ونحوه»

---

(١٧٥) ينظر المخصص : ١٣٤/١ وما بعدها .

(١٧٦) ينظر همع : ١٥٠/٢ .

(١٧٧) ينظر المقتضب : ١٦١/٢ ، ١٦٢ .

(١٧٨) همع : ١٥٠/٢ .

يعرب الجزء الاول وهو الوصف بحسب العوامل ، ويبنى الجزء الثاني وهو العقد على الفتح» . وهذا مذهب الكسائي ويعقوب ابن السكيت وابن كيسان ووجهه انه اعرب الاول لزوال التركيب وقدر ما حذف من الثاني فبقي البناء بحاله لنية المقدر ونظيره «لا حول ولا قوة الا بالله فيمن فتح قوة فانه بنى مع كلمة اخرى ثم حذفها وبقي البناء بحاله»(١٧٩) ولا يقاس على هذا الوجه لقلته(١٨٠).

قال المبرد «ان قلت هذا حادي عشر وخامس عشر ، كما تقول : هذا خامس وسادس بنيته على الفتح لأنهما اسمان فحالهما كحال خمسة عشر ونحوه . فعلى هذا القياس يجري هذا العدد(١٨١) وهذا راجح عندي فهو يلمُّ شتات اعراب العدد ويضيق دائرتها .

تمييز مائة وألف

الأكثر في تمييز «مائة» و «ألف» الجرّ بالإضافة وأجاز ابن كيسان نصبه(١٨٢) واحتجَّ لذلك بقول الشاعر(١٨٣).

إذا عاشَ الفتىٰ مائتين عاماً ... فقدْ ذَهبَ المَسرَّةُ والفتاءُ

فجاء بالتمييز منصوبا غير مضاف بعد مائتين . وذكر ابن مالك انّ ذلك يقوّي ما أجازه ابن كيسان من نحو «الالف درهما ، والمائة دينارا بالنصب ويؤيده قول حُذيفة رضي الله عنه» ونحن ما بين الستمائةَ الى السبعمائة بالنصب فاجرى «أل في تصحيح نصب التمييز مجرى التنوين والنون»(١٨٤) وخالفه بقية النحويين ودفعوا بأن الرواية شاذة والبيت جاء على الضرورة(١٨٥). وعندي ان الدفع بالشذوذ والضرورة حجة واهية ما دام قائله عربيا وما دامت الضرورة

(١٧٩) شرح التصريح : ٢٧٨/٢ .
(١٨٠) شرح الاشموني : ١٧٦/٤ او في المسالك ٢٦٣/٤ .
(١٨١) المقتضب : ١٨٢/٢ .
(١٨٢) ينظر الهمع : ٢٥٣/١ - وشرح التصريح : ٢٧٣/٢ .
(١٨٣) هو الربيع بين ضبيع الغزاري .
(١٨٤) شرح التصريح : ٢٧٣/٢ .
(١٨٥) ينظر شرح التصريح : ٢٧٣/٢ .

مما يمكن تجنبه .

مثنى

مثنى ممنوع من الصرف وعلّة منعه من الصرف عند الكوفيين وابن كيسان ان فيه العدل والتعريف ، فهو على هذا معرفة عندهم ، كما هي الحال في عمر ، لأن الالف واللام لا تدخل عليه وقد ورد في شرح المفصل ان ابن كيسان نقل عن اهل الكوفة ان مثنى وموحد بمنزلة عمر وان هذا الاسم معرفة ، فان سميت به رجلا امتنع صرفه كما يمتنع صرف «عمر» اذا سميت به رجلا[١٨٦] وعند ابن كيسان والكوفيين انه اذ جرى مجرى النكرة فحمول على البدل[١٨٧]. وقد ردّه ابن يعيش بحجة انه لا دليل عليه[١٨٨]. ولو كان معرفة ولا شك ان فيه معنى الوصف لجرى على المعارف ، وكيف يكون معرفة وهو يقع حالا نحو : جاءني القوم»[١٨٩].

كذا

ذهب المبرد[١٩٠] وابن كيسان الى ان العدد اذا كان مائة والفاً واذا كان عشرة او دونها مما يكون مميزه مضافا فهو عند المبرد وابن كيسان وعدد من النحاة مجرور بـ «من» مع «كذا» فهي على رأيهم «كذا من الدراهم» للعدد القليل والمائة والالف»[١٩١]، ويقدر عندهم الفرق بين العدد القليل والمائة

---

(١٨٦) شرح المفصل :٦٣/١ وينظر شرح الرضي / الاستانة : ٤٣ وفي معاني القرآن للفراء : ٢٥٤/١ : «واما قوله مثنى وثلاث ورباع فانها حروف لا تجرى وذلك انهن مصروفات عن جهاتهن ، الا ترى انهن للثلاث والثلاثة وانهن لا يضفن الى ما يضاف اليه الثلاثة والثلاث . فكان لامتناعه من الاضافة كأن فيه الالف واللام . وامتنع من الالف واللام لأن فيه تأويل الاضافة كما كان بناء الثلاثة ان تضاف الى جنسها فيقال ثلاث نسوة .

(١٨٧) شرح الرضي : الاستانة : ٤٣ .

(١٨٨) شرح الرضي : الاستانة : ٤٣ .

(١٨٩) شرح الرضي : الاستانة : ٤٣ .

(١٩٠) ينظر مغني اللبيب : ٢٠٥/١ ، وشرح الاشموني : ٨٧/٤ .

(١٩١) ينظر : فوح الشذا : ٢٧ ، والاشباه والنظائر : ١١٨/٤ ، ١١٩ .

والالف لأن «مـــن» انما تدخل على العدد المجموع المعرف يقـال : عشرون من الدراهم ولا يجوز عشرون من دراهم»[192].

الاضـافـــــة

معـــنى الاضـــافـــة

الإضـافة عند النحـاة على معنيين ، الاول : بمعـنى اللام ، والثاني بمعـــنى «مِـــنْ» وقد اختلفوا فيا تكون الإضافة فيه بمعنى «مِـــنْ» أو بمعني اللام[193].

وقد ذهب ابن كيسان إلى أنَّ ما كان فيه المضـاف بعضـاً ممّا أُضـيف إليه كانت الاضافة فيه بمعنى «مِـــنْ» مثل : يدُ زيدٍ ، وعينُ عمروٍ وتابعه السـيرافي في هذا المذهب[194]، وهي عند غيره من النحـاة بمعـنى اللام . اما حجتُه في تأييد هذا المذهب فهي «ان العـرب اذا فصـلت هذا النوع من الاضـافة فصـــلت بمن»[195] ومنه قول الشاعر :

فالعينُ منّيْ كأنْ غرْب تحطُّ بهِ دهماءُ حاركُها بالقتْبِ محزومُ

وقول امرىء القيس :

كأنَّ على الكتفينِ منه إذا انتحى مداكَ عروسٍ أو صرايةَ حنظل

قال ابو حيان «وهذا كثير في كلام العرب[196]»، «وردّه ابن السراجّ والفارسي وابن مالك» واحتجّوا «بأن الفصل لا يدلّ على ان الاضافة بمعناها وقد فصـــل بها ماليس بجزء منها قال :

وإنَّ حديثاً منكِ لو تعلمينَه جَنى النحلِ في البانِ عُوذٍ مَطافِلِ[197]

(١٩٢) فوح الشذا : ٢٧ .

(١٩٣) ينظر منهج السالك : ٢٦٧ ، وهمع الهوامع : ٤٦/٢ لتبين آراء النحاة في هذه المسألة .

(١٩٤) ينظر منهج السالك :٢٦٧ ، وهمع الهوامع : ٤٦/٢ ، ونسبت خديجة الحديثي في كتابها ابي حيان النحوي ص ٧٢ الرأي الى ابن كيسـان وابن السراج وليس صحيحا فابن السراج من الذين يردون الاضـــافة بمعنى «من» ويذهبون الى انها بمعنى اللام . (ينظر منهج السالك : ٢٦٧ .

(١٩٥) ينظر منهج السالك : ٢٦٧ .

(١٩٦) ينظر منهج السالك : ٢٦٧ .

(١٩٧) همع الهوامع : ٤٦/٢ ومنهج السالك : ٢٦٧ .

وردّوه أيضاً بان العرب لم تلتزم الفصل في هذا النوع بـ «مــن» بل فصلت باللام ايضا . قال الشاعر :

وعين لها حَدْرة بدرة وشقّت مآقيها من آخر

٢ - الفصل بين المضاف والمضاف اليه

يرى ابن كيسان أنّه إذا فُصِلَ بين المضاف والمضاف إليه نُوِّنَ المضاف وذلك مثل قول امرىء القيس «بناظرةٍ من وحشِ وجْرةَ مُطفلِ» فهي عنده بناظرةِ مطفلٍ فلما فصل بينهما ردّ التنوين الذي سقط للاضافة[198]. ومثله قول الشاعر :

رَحِمَ اللهُ أعظُماً دفنوها بسَجِسْتان طَلْحةِ الطلَحاتِ

فاعظماً عنده مضافة إلى طلحة فلما فصل بينهما ردّ التنوين الى المضاف . قال صاحب الخزانة «وهذا القول لا يُلتفت اليه لأنَّ العرب اذا فصلت بينهما لم تنون»[199] غير انه لم يحتج لهذا بشاهد .

ويرى ابن كيسان انه يجوز التفريق بين المضاف والمضاف اليه اذا جاز ان يسكت على الاول منهما لأنه يصير ما فرّق بينهما كالسكنة التي تقع بينهما»[200].

وقال في قول الشاعر :

تمرُّ على ما تستمرُّ وقدْ شَفتْ غلائلَ عبدُ القيسِ منها صدورِها

ان الشعر لمن يوثق بعربيته فانه يجوز ان يكون اخرج «غلائل» غير مضافة وقد ردّ فيها التنوين : الا انها لا تنصرف لأنها على فعائل ثم جاء بـ«الصدور» مجرورة على نيّة اضافتها»[201].

---

(١٩٨) ينظر خزانة الادب : ٢٤٥/٤ ، ٢٤٦ .

(١٩٩) خزانة الادب : ٢٤١/٤ .

(٢٠٠) شرح المفصل : ٢٣/٣ .

(٢٠١) توجيه اعراب ابيات ملغزة : ١٢٦ .

٣ - اضافة الظرف الى الجمـــل :

اشـترط النحـاة في إضـافة الظرف ألاّ يكون مُثنى فلا يقـال : يَوميْ قام زَيدٌ . نسب أبو حيان ذكر ذلك الى ابن السراج ونسب اجازته الى ابن كيسان وصحح منعه لعدم ورود السماع به[٢٠٢].

٤ - تنكير المضاف الذي لا مانع فيه من التعريف

«أجـاز ابن كيسـان تنكير المضـاف الّذي لا مانع فيه من التعـريف لنية الانفصَال نحو جاءني غلامُ زيدٍ ظريفٌ . في غلام لزيد . كما يجـوز مثل ذلك في المعرَّف باللام كقوله : ولقد امرّ على اللئيم يَسبُّني»[٢٠٣] فقد أعربوا جملة «يَسبُّني» صفة اللئيم مع انّه معرف بالالف واللام فكان حقّ الجملة بعده ان تكون حـالاً لا صـفة . إلا أنهـم عدّوا اللئيم نكرة وان الالف واللام للجنس مطلقـا لا لواحد بعينه .

٥ - إضافة كأيِّن الى مميزها

اذا جـاء مميز كأين مجـروزا بدون ذكر «مـن»[٢٠٤] فذهب النحـاة ان جـره يكون باضمار من . وانفرد ابن كيسان بحملة على اضافة «كأين» الى مميزها حملاً لها على «كـم» الخـبرية لأنهـا بمعناها ونونهـا انما هو تنوين « أي » وقد ثبت مع الاضافة[٢٠٥].

في الفعـــــل

حـــد الفعـــل

ذهب سيبويه الى ان الافعال «امثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء وبنيت

---

(٢٠٢) منهج السالك : ٢٨٧ وهي في الاصل ١٠/٢

(٢٠٣) شرح الرضي / المنشوء : ٢٣٦/١ .

(٢٠٤) ومن امثلة ورود تمييزها مجرورا بدون ذكر«من» قول الشاعر :

كأيـــن قائـــل للحـــق يقضي ويـــرمي بالقبيـــح من الكـــلام

(٢٠٥) يَنظر همع الهوامع : ٢٥٥/١ والاشباه والنظائر : ٢٩٨/٢

لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن ولم ينقطع»[٢٠٦]. وتابعه ابن كيسان في هذا فذكر أن الفعل «ما كان مشتقا من احداث الاسماء مبنيا لما مضى من الزمان وما يستقبل وما هو في حال الحديث به»[٢٠٧] ونقلوا عنه حدا آخر وهو «الفعل ما كان مذكورا لأحد زمانين : ما مضى وما يستقبل او احدهما وهو الحال»[٢٠٨].

اسناد الفعل الى المؤنث المجازي

اجاز النحاة في الفعل او شبهه التذكير والتأنيث المجازي الظاهر المتأخر نحو : طلع الشمس ، ويطلع الشمس ، اما اذا تأخر الفعل المسند الى المؤنث المجازي فجوّزوا في الضرورة تذكير الفعل معه فيقال : طلع الشمس[٢٠٩]، الا ان ابن كيسان عدَّ هذا جائزاً في جميع الاحوال بضرورة الشعر او بغيرها واحتج لرأيه بقول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها[٢١٠]

فان الشاعر هنا ذكر الفعل مع ان ما اسند اليه مضمر وهو الضمير العائد على الارض وخرجه غير ابن كيسان على الضرورة لأن القياس عندهم ابقلت ما دام الفاعل ضمير مؤنث متصل[٢١١] الا اننا نجد في حديث ابن كيسان ردا على هذا بانه «ليس بضرورة لتمكنه من ان يكون : ابقلت ابقالها بالنقل»[٢١٢]، اي نقل حركة الهمزة الى ما قبلها واسقاطها ، وضعفه صاحب الخزانة لأن الضرورة عنده «ما وقع في الشعر سواء أكان للشاعر عنه فسحة ام لا»[٢١٣]،

---

(٢٠٦) همع الهوامع : : ١٤٥/٢

(٢٠٧) الموفقي : ٢

(٢٠٨) الحلل : ٧

(٢٠٩) ينظر : مغني اللبيب : ٧٣١

(٢١٠) البيت لعامر بن جوين الطائي يصف سحابة وارضا ناقعتين . خزانة الادب / ٢١ ، اللسان ، وشرح التصريح : ٢٧٨/١ .

(٢١١) ينظر شرح التصريح : ٢٧٨/١

(٢١٢) مغني اللبيب : ٧٣١

(٢١٣) خزانة الادب : ٢٢/١

وعنديَ ان هذا القـول لا يعتد به لأن كلمة «الضرورة» دالة على معناها اي ان الشاعر لا يجد بمقدوره ان يتم البيت الا بتجـاوز لقـاعدة معينة . والا فما الذي يلجىء الشاعر الى الخـروج على الاسلوب الشـائع من غير ان يحقـق قيمة بلاغية ؟ وليس من شك ان الاضطرار غير الاختيار .

ولعل السيرافي يسلك سبيلا اسهل في محاولته تنفيذ مذهب ابن كيسان فقد رأى «انه يجـوز ان يكون هذا الشـاعر ليس من لغته تخفيف الهمزة وحينئذ لا يمكنه ما ذكر»[٢١٤]، فان من العـرب من لا يجـيز في الهمز الا التحقيق»[٢١٥]. والظاهر ان هذا لا ينهض بدحض مذهب ابن كيسان في هذه المسألة لأنه يمكن ان يستعمل حجـة له كما استعمل حجـة عليه فيقـال : «انما تثبت دعوى الضرورة بعد ثبوت كونه ممن لا يخفف الهمز بالنقل»[٢١٦]، ولعـل مما يؤيد مذهب ابن كيسـان ما ذكره صـاحب شرح التصريح[٢١٧] من ان الاعلم حكى في شرح ابيات سـيبويه انه روى : ابقلت ابقـالها بتخفيف الهمزة ، وهو على هذا لا ضرورة فيه عنده لأن هذا دليل على ان قائله يجيز النقـل . فقـال ابن هشـام «ان صـحت الرواية وصـح ان القـائل ذلك هو الذي قال : ولا ارض ابقـل بالتذكير صح لأبن كيسان مدعاه والا فقد كانت العرب ينشـد بعضـهم بعضـا وكل يتكلم على مقتضى لغته التي فطر عليهـا ومن هنا تكثر الروايات في بعض الابيات»[٢١٨].

ولعل في هذا ما يؤيد ان تذكير الفعـل في مثل هذا الموضـع لغـة لهـا اصـحابها . وقال الاعلم وعلى رواية تحقيق الهمزة انما هو لتأويل الارض

---

(٢١٤) خزانة الادب : ٢٢/١ ، ومغني اللبيب ٧٣١/

(٢١٥) شرح التصريح : ٢٧٨/١

(٢١٦) شرح التصريح : ٢٧/٨١

(٢١٧) شرح التصريح : ٢٧٨/١ . وفي خـزانة الادب : ٢١/١ قوله «وذكر ابن يسـعون ان بعضـهم رواه بالتاء بالنقل المذكور» . ونسب السيوطي الرواية الى ابن يسعون (شرح شواهد المغني ٩٤٣) .

(٢١٨) خزانة الادب : ٢١/١ ، وشرح شواهد المغني : ٩٤٣

بالمكان فلا ضرورة فيه»[219] «وضعفه الازهري لأن وجود الهاء في ابقالها يأباه»[220].

وخلاصة القول ان ما ذهب اليه ابن كيسان في هذا مؤيد بالسماع فقد ذكروا الفعل حتى مع المؤنث الحقيقي والفعل متقدم عليه ، وذلك قول الشاعر :

تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما

وقد ذكر ابن كيسان ان هذا مما يقاس لأن سيبويه حكى : قال فلانه[221]. وفي هذا من السعة ما يرجح ان من العرب من يذكر الفعل اذا اسند الى ضمير المؤنث المجازي . كما اننا لا نجد سندا لتخريجات النحاة الآخرين لأنها مبنية على الظن . فما دام الفعل يذكر ويؤنث مع المؤنث المجازي الظاهر لا أرى سببا يمنع تذكيره مع ضميره لا سيما ان الظاهر المتقدم هو الفاعل في المعنى . لذا فابن كيسان لم يقصر هذا الجواز على الشعر حسب بل قاس النثر عليه في تذكير الفعل وتأنيثه سواء أكان الاسناد الى مظهر ام الى مضمر فقال : «يجوز ترك التاء في الكلام النثر . يقال : الشمس طلع . كما يقال : طلع الشمس . لأن التأنيث مجازي ولا فرق بين المضمر والظاهر»[222]، فمجاز التأنيث عنده يجيز تذكير الفعل وتأنيثه أنى وقع .

الفعل الذي ينصب ثلاثة مفاعيل

اذا تعدى الفعل الى ثلاثة مفاعيل فمذهب سيبويه انه لا يجوز ان تقتصر على واحد منها دون الآخر ، اي ليس لك ان تحذف احدها[223] وأجاز النحاة حذفها لدليل كأن تقول لمن قال لك : أأعلمت زيدا بكرا قائما ؟ أعلمت .

اما الاقتصار وهو الحذف لغير دليل فعليه المبرِّد وابن كيسان وعدد من النحاة ، فقد اجازوا حذف المفعول الاول استغناء عنه «كأعلمت كبشك

---

(٢١٩) شرح التصريح : : ٢٧٨/١

(٢٢٠) شرح التصريح : ٢٧٨/١

(٢٢١) همع الهوامع : ٢٧١/٢

(٢٢٢) شرح التصريح : ٢٧٨/١ ، وشرح شواهد المغني : ٩٤٣

(٢٢٣) ينظر : الكتاب ٢٠/١

سمينا .... دون ذكر من اعلمته ، ويجوز الاقتصار على المفعول الاول مثل : أعلمت زيدا . بدون ذكر من اعلمت به لأن الفائدة لا تنعدم في الاستغناء عن الاول ولا في الاقتصار عليه . اذ يراد الاخبار بمجرد العلم به وبمجرد اعلام الشخص المذكور[٢٢٤].

والذي يبدو ان ما يحدد حذف أحد هذه المفاعيل والاقتصار على بعضها هو مقتضى حال التكلم به فليس هناك من أيد رأيه بالسماع .

تقديم خبر كان المنفية واخواتها

اختلف النحاة في خبر كان المنفية بـ «ما» إذا وقعت «ما» في اول الكلام فدخلت على كان أو أحد اخواتها . فمنع اكثر البصريين : قائما ما كان زيد . واجازه ابن كيسان[٢٢٥]. وهو يذهب ايضا مذهب الكوفيين في اجازتهم تقديم خبر «مازال» وما كان في معناها من اخواتها قياساً عليها لأنهم يشبهونها بـ «لم»[٢٢٦] وهو ما منعه البصريون والفرّاء من الكوفيين[٢٢٧] واحتج ابن كيسان لجواز تقديم خبر اخوات كان المنفيات بأنه جاز لأن نفيها ايجاب[٢٢٨] وردّه ابن هشام بأن نحو «مازال زيد قائما» نفي باعتبار اللفظ ، إيجاب باعتبار المعنى ، فمنعوا التقديم نظرا الى اللفظ والاستثناء المفرغ نظراً إلى المعنى ولما كان التقديم امرا راجعا الى المعنى لأنه اخراج من معنى الاول نظر فيه الى المعنى»[٢٢٩].

وزعم ابن هشام ان ابن كيسان منع التقديم في غير «مازال» واخواتها وهو مردود بما ذكرناه سالفاً مما نقله الفارسي في الأيضاح .

---

(٢٢٤) ينظر شرح التصريح : ٢٦٥/١

(٢٢٥) الايضاح القصدي : ١٠٠/١

(٢٢٦) شرح المفصل : ٢١٣/٧ ، او ٢١٤

(٢٢٧) ينظر الانصاف : ١٥٥/١ لأن «ما» عندهم لا يلزم تصديرها . ينظر شرح الاشموني ٢٣٣/١ .

(٢٢٨) شرح الاشموني /٢٣٣/١ ، اوضح المسالك : ٢٢٦/١

(٢٢٩) حاشية الصبان : ٢٣٣/١

الاشتغـــــــال

نقل ابو حيان ان ابن كيسان ذهب الى ان النصب في نحو : زيدا مررت به . احسن منه في : زيدا ضربت اخاه[٢٣٠]. وردَّ ابو حيان في هذا الباب قول الذين ذكروا ان ابن كيسان لم يحتج بشيء وعنده ان الصحيح هو العكس «وذلك انهما وان اتفقا في أنهما يفسران من المعنى فما هو فوق المفسر في الموصول بنفسه اقوى في ذلك ، ويمكن ان يحتج لأبن كيسان بأنه في مسألة : زيدا مررت به ، اتحد متعلق الفعلين اللذين هما مررت ولابست لان الضمير هو الظاهر . غاية ما في هذا انه فسر من المعنى ، وكلاهما لمتعلق واحد في المعنى . وفي مسألة : زيدا ضربت اخاه ، صار فيه تجوز في اللفظ وفي المعنى لأن الضرب حقيقة لم يحل الا بأخي زيد وفسر «ضربت» فعلا ينصب «زيدا» نحو «اهنت» وما اشبهه فصار ذلك تجوزا في الفعل المفسر وفي متعلقه . واما في المسألة الاولى فليس فيه تجوز الا في الفعل فقط لا في متعلقه ، فلهذا كان احسن»[٢٣١].

ويفهم مما ذكره ابن مالك في قوله «ولا يمتنع نصب المشتغل عنه بمجرور حقق فاعلية ما علق به خلافا لأبن كيسان»[٢٣٢]. ان ابن كيسان لا يجيز نصبه . وعندي ان هذا هو الاصوب اذ لا ضرورة فيه للتقدير المقتسر ما دامت هناك طريق اسلم . وما دامت هذه الافتراضات لم تؤيد بسماع عن العرب . فالأجدى والحالة هذه ان ينظر الى معناها ليقام لها الحكم على اساسه . فيكون الرفع حق زيد لأنه مبتدأ في المعنى والمحل .

الالغـــاء والتعليـــق

ذهب ابن كيسان الى ان الظن اذا توسط ولم يتصل به ضمير يعود على ما

---

(٢٣٠) ورد في الموفق : وتقول : زيدا مررت به وزيدا ضربت اياه اذا أوقعت الفعل على شيء به او بشيء من سببه جاز ان يضمر قبله ما تنصبه به .

(٢١) منهج السالك : ١٢٤

(٢٣٢) تسهيل الفوائد : ٨٢

قبله يكون لغوا لا عمل له . مثل : ان زيدا اظن اخوك . اما اذا اضمر معه ما تقدمه فانه يكون عاملا فتقول : ان زيدا اظنه اخاك ، اي يعمل الظن في الهاء وفي الاخ ، وكذلك اخواته من الحروف[٢٣٣].

وهذا المذهب لدى التحقيق هو مذهب سيبويه[٢٣٤]، وعليه المبرِّد ايضا[٢٣٥].

وزعم السيوطي ان ثعلبا والمبرد وابن كيسان يذهبون الى انه لا يعلق من الافعال الا ما كان بمعنى العلم واما الظن ونحوه فلا يعلق ورجحه الشلوبيين[٢٣٦]، وهذا يخالف ما هو ظاهر في المقتضب من كلام المبرد فقد قال «الا ترى انه لا يدخل على الاستفهام من الافعال الا ما يجوز ان يلغي لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وهذه الافعال هي التي يجوز الا تعمل خاصة وهي ما كان من العلم والشك»[٢٣٧].

ومن جهة اخرى اجاز النحاة نصب احد المفعولين اذا تقدم على الاستفهام في مثل : علمت زيدا ابو من هو ، لأن العامل مسلط عليه .

اما ابن كيسان فقد منع مباشرة الفعل ورد بالسماع بقول الشاعر :

فوالله ما ادرى غريم لويته ... ايشتد ان قاضاك ام يتضرع

حبَّـــذا

تلتزم حبذا الافراد والتذكير دائما فتقول : «حبذا هند» و «حبذا الهندان» و «حبذا الهندات» . وقد اختلفوا في سبب لزومها الافراد ، فذهب عدد من النحاة الى انها كالمثل والامثال لا تتغير[٢٣٨]، وذهب قسم آخر الى ان «ذا» هو فاعل «حب» الذي تكون من ادغام «حب» اي صار حبيبا لذا فان «حب» تلزم

(٢٣٣) ينظر الموفقي : ١٤ ، ١٥

(٢٣٤) ينظر الكتاب : ٦١/١

(٢٣٥) ينظر المقتضب : ١٠/٢ ، والظاهر ان في كلام المبرد ما يبين انه اذا لم يضمر مع الظن يكون كالمفترض قال «وزيد ظننت قائم اذا اردت زيد قائم في ظني» .

(٢٣٦) همع الهوامع : ١٥٤/١

(٢٣٧) ينظر المقتضب : ٢٩٧/٣

(٢٣٨) ينظر شرح الاشموني : ٤١/٣ ، شرح الجمل : ٤٤٧/١

الافراد والتذكير تبعا لـ «ذا» فاعلها فلا تتغير[٢٣٩] أو لأنه على ارادة جنس شائع فلم يختلف كما لم يختلف فاعل نعم اذا كان ضميرا[٢٤٠]، والرأي الأخير وهو مذهب ابن كيسان ان حبذا «لزمت الافراد» لأنها اشارة الى مفرد مذكر محذوف والتقدير في «حبذا زيد : حبذا حسن زيد» وكذلك : حبذا الزيدان ، حبذا حسن الزيدان ، وكذلك حبذا الزيدون ، حبذا حسن الزيدون ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه[٢٤١] وعلى هذا قدر ما جاء منها في الشعر والمخصوص يكون معرفة[٢٤٢] ونكرة ورد بان هذه الدعوى بلا بينة ، وصرح ابن عصفور بفساده «لأن العرب اذا حذفت المضاف وأقامت المضاف اليه مكانه فانما تجعل الحكم من تذكير وتأنيث وافراد وتثنية وجمع وغير ذلك على حسب الملفوظ به لا على حسب المحذوف فتقول : اجتمعت اليمامة ، ولا تقول : اجتمع اليمامة . وان كان الاصل قبل الحذف : اجتمع اهل اليمامة .

وقد خطأ ابو حيان ما ردَّ به ابن عصفور بأن العرب راعت المحذوف ايضا وان كان اقل من الاول فقد جاء في قوله تعالى : «او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج» . التقدير او كذي ظلمات ولذلك عاد الضمير على «ذي» المحذوف[٢٤٣]. وتابع ابن الطراوة ابن كيسان في هذا[٢٤٤].

وقد وهمت خديجة الحديثي حين قالت «اختلف في» «حبذا» في اعرابها فذهب ابن درستويه وابن كيسان والفارسي في البغداديات وابن خروف الى انها فاعل ، ونسب الى الخليل وسيبويه»[٢٤٥].

---

(٢٣٩) ينظر شرح الاشموني : ٤١/٣ ، شرح الجمل/٤٤٧/١

(٢٤٠) ينظر : همع الهوامع : ٨٨/٢

(٢٤١) شرح الجمل : ٤٤٨/١ ، وشرح الاشموني : ٤١/٣ ، همع الهوامع : ٨٨/٢ ، ونسبه السيوطي كذلك الى الخليل وسيبويه ولم أجده .

(٢٤٢) ينظر منهج السالك : ٤٠٥ ، ومن امثلة المخصوص النكرة يا حبذا نفحات من يمانية .

(٢٤٣) ينظر منهج السالك : ٢٠٣

(٢٤٤) ينظر منهج السالك : ٤٠٣

(٢٤٥) ابو حيان النحوي : ٤٨٢

تصغير افعل التعجب

سمع عن العرب تصغير افعل التعجب في «أحسن وأملح» من مثل قول الشاعر :

ياما أميلح غزلانا شدن لنا   من هؤليائكن الضال والسمر

ومنعوه في غيرهما . ولم يحك اقتياسه عن غير ابن كيسان وعدوا ما جاء مصغرا في غيرها شاذا الا ابن كيسان فقد عده مطردا في هذا الباب"[٢٤٦]

وقد ذكر ابن هشام ان اقتباسه لم على ابن كيسان وحده الا انه لم يذكر ايا من النحاة قد قاسه .

وقد قاس عليه ابن كيسان تصغير «افعل به» وانما جاز ذلك لانه بعدم التصرف فيه شابه افعل الاسمي كأبيض وأقول منك»"[٢٤٧].

ونقل الصبان عن الدماميني عن ابي حيان ان ما زعمه ابن مالك من ان ابن كيسان هو وحده الذي قاس ذلك انما هو نص كلام البصريين والكوفيون ، فالكوفيين اعتقدوا اسمية «افعل» فهو عندهم مقيس فيه ، واما البصريون فنصوا على ذلك في كتبهم وان كان خارجا عن القياس"[٢٤٨].

ياء التعجب

مذهب اكثر النحويين ان الباء في «افعل به» زائدة الا انهم اختلفوا في مواضع هذه الزيادة فذهب جمهور البصريين الى انها زائدة مع الفاعل في مثل «كفى بالله شهيدا» وذهب عدد آخر الى انها زائدة مع المفعول وجعلوا فاعل «أحسن» ضمير المخاطب . وانما لم يتغير افعل مع المؤنث والمثنى والجمع لأنه جرى مجرى الامثال .

(٢٤٦) ينظر مغنى اللبيب : ٧٦٠٦ ، وشرح الاشموني : ٢٦/٣ ، وحاشية الصبان : ٢٣/٣ ، ومنهج السالك : ٣٨٣ ، وشرح الرضي / المنشي : ٢٥٨/٢ ، وزعم في منهج السالك : ٣٨٣ ان اقتياس التصغير في «ما أفعل» هو ظاهر كلام الناس وهو مسموع واما قياس «افعل به» قياسا على «افعل فلا يجوز لأنه لم يسمع عن العرب .

(٢٤٧) مغني اللبيب : ٧٦٠

(٢٤٨) ينظر حاشية الصبان : ٢٦/٣

اما ابن كيسان فيرى انها زائدة مع المفعول ايضا ، الا ان فاعل احسن عنده ضمير «الحسن» وليس ضمير المخاطب فيكون التقدير عنده «احسن يا حسن بزيد» وليس «احسن انت بزيد»[٢٤٩] ولهذا كان الضمير مفردا على كل حال لأن ضمير المصدر لا يثنى ولا يجمع ، واستحسن ابن طلحة من المتأخرين هذا المذهب[٢٥٠]. اما فيما يتعلق بافعل في «افعل به» فابن كيسان يذهب الى الرأي القائل بان لفظه ومعناه الامر[٢٥١].

جواز الفصل بين افعل التعجب ومعموله بـ 'لو لا' الامتناعية

لعدم تصرف هذين الفعلين أي «ما أفعل» و «أفعل به» امتنع ان يتقدم عليهما معمولهما وامتنع ان يفصل بينهما وبين معمولهما بغير ظرف او جار او مجرور عند جميع النحاة الا ابن كيسان ، فقد جوز الفصل بينهما بـ «لو لا» الامتناعية ومصحوبها نحو :«ما أحسن لولا بخله زيدا» . وذكروا ان لا حجة لأبن كيسان على ما ذهب اليه من اجازة هذا الفصل[٢٥٢]. وجوز اكثر النحاة الفصل بين «ما» و «افعل» بكان وحدها .

وقاس ابن كيسان «يكون» على «كان» في الفصل بين «ما» و «أفعل» خلافا لغيره من النحاة[٢٥٣].

بناء الفعل المتعدي لأكثر من واحد للمفعول

اذا بني الفعل المتعدي لأكثر من واحد للمفعول وأقيم احدها فقد اختلفوا في ناصب المفعول او المفعولين الباقيين ، فذهب عدد من النحاة الى القول بالنصب بتعدي الفعل المبني للمفعول ، وقال عدد آخر بالنصب بفعل الفاعل على الاصل .

---

(٢٤٩) ينظر الجنى الداني : ٨٩ ، ٩٠ ، ومنهج السالك : ٣٧١ ، وشرح التصريح : ٨٨/٢ وشرح الاشموني : ١٩/٣ ، واوضح المسالك : ٢٥٥/٣

(٢٥٠) ينظر اوضح المسالك ٢٥٥/٣

(٢٥١) ينظر اوضح المسالك ٢٥٥/٣ ، وشرح الاشموني ١٩/٣ .

(٢٥٢) ينظر : التسهيل : ١٣١

(٢٥٣) وينظر منهج السالك : ٣٨١ وشرح الرضي ٢٥٩/٢ ، وشرح الاشموني : ٢٥/٣ وهمع الهوامع : ٩١/٢ .

اما ابن كيسان فقد تابع الفـرَّاء في ان النصـب يكون بفعـل مقــدر . ففي قولنا اعطي زيد درهما بنصب درهما بفعل تقديره «قبـل» او «أخـذ»[٢٥٤].

إسم المصـــــدر

ذهب ابن كيسان الى ان ميثاق في قوله تعالى «بعـد ميثاقــه» باضـافة بعـد اليه هو بمعنى «الأيثاق» فهو اسم يؤدي عن المصدر ، كقول الشاعر :

أكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا[٢٥٥]

واسم المصدر اذا كان ميميا فهـو كالمصـدر في العمل ، وان لم يكن كذلك منع البصريون عمله وأعمله الكوفيون[٢٥٦] ، ويبدو من الشاهد الذي اورده ابن كيسان استشهاده باعمال «عطائك» أنه يتابع الكوفيين في هذا .

وهو يذهب الى انه يجوز ان يجرى الاسم اجـراء المصـدر ، فقـد قال عن البيت الآتي :

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة لأعلَّ منها حين هب نيامها

قال «اضاف الحاجة الى الخمر . وهي حـاجته اليهـا على القلب لعقـد المعـنى اتساعا وكان القياس ان تتعدى الحاجة بحرف الجر وهو ان تقول «احتجت الى زيد . ولا تقـول : احتجته ، على هذا المعـنى ، فحـذف الجـار للضرورة كما يحذف مع الفعل ، وهذا يقـوى ما ذهب اليه ثعلب انه اجـرى الاسـم مجـرى المصدر لان حذف حرف الجر انما يكون مع الفعل لولا ان هذا بمنزلته لم يحـذف معه»[٢٥٧].

اسمــــاء الافعــــال

قال ابن كيسان : بَلْهَ ورويد وتيد يخفضن وينصبن ، رويد زَيداً وزيدٍ وبلهَ زيداً وزيد ، وتيد زيدا وزيد . قال : وربما زيد فيها الكاف للخطاب فيقـال :

---

(٢٥٤) ينظر همع الهوامع : ١٦٣/١

(٢٥٥) ينظر اعراب القرآن : ٧/١ب ، ٨آ

(٢٥٦) ينظر اوضح المسالك : ٢١١/٣

(٢٥٧ : اعراب ابيات ملغزة الاعراب

رويدك زيدا وتيدك زيدا . فاذا ادخلت الكاف لم يكن الا النصب . وإذا لم تدخل الكاف فالخفض على الاضافة لأنها في تقدير المصدر كقوله عز وجل : فضرب الرّقاب[٢٥٨].

القســـــم

ظهور فعل القسم مع الواو

منع اكثر النحويين اظهار فعل القسم مع الواو فلم يجيزوا : أقسمتُ والله لأخْرَجنَّ . وأجاز ذلك ابن كيسان ولم يمنع أنْ تقول أقسم والله لأفعَلنَّ كذا[٢٥٩].

وزعم أبو حيان أنّ ذلك ليس بمسموع[٢٦٠] وردّه ابن عصفور بان هذا لا ينبغي ان يجوز كما لم يجز مع سائر حروف القَسَم التي ليس استعمالها بحق الاصالة ولا يحفظه احد من البصريين ، فان جاء شيء من ذلك ينبغي ان يتأول على ان يكون اقسم كلاما ، ثم أتى بعد ذلك بالقسم ، ولا يجعل والله متعلقا بأقسم[٢٦١]، والتكلف في هذه الدعوى بيِّن ، فلم ينص النحاة المتقدمون على ان الباء اصيلة في القسم فهي تأتي لغيره ، وانما كان حق القسم ان يكون بها لأن اكثر المسموع في القسم كان بها . وعلى هذا فالأوْلى ان يكون حذف الفعل معها اكثر منه مع ما لم يكن اصيلا من الحروف لدلالة الباء عليه . فان احتج بمنع اللبس من ان يقدر فعل آخر عند عدم اظهاره مع الباء كأستعين مثلا فهذا وارد في الحروف الأخرى ولا يمنع اللبس غير معنى الكلام . لذا فما جاز مع الباء جاز مع غيرها من حروف القسم . كما انه يمكن الاحتجاج لأبن كيسان بما ذكر المبرِّد ، فالمبرد يعد الواو بمعنى الباء[٢٦٢] ولأنه أجاز اظهار فعل

---

(٢٥٨) لسان العرب / تود - ١٠١/٣

(٢٥٩) ينظر مغني اللبيب : ٢٠٥/١ ، وشرح الاشموني : ٨٧/٤ .

(٢٦٠) ينظر فوح الشذا : ٢٧ . والاشباه والنظائر : ١١٨/٤ ، ١١٩

(٢٦١) شرح الجمل : ٣٧٧/١

(٢٦٢) ينظر المقتضب : ٣١٨/٢ ، ٣١٩

القسم مع الباء ولم ينص على منعه بـ «والله» دون ذكر الفعل معها وذكره مع الباء[٢٦٣] مما يدل على انه لا يجيز اظهاره مع الواو .

حذف جواب القسم

في قوله «ق والقرآن المجيد ...» اختلفوا في جواب القسم . فذهب القرطبي الى انه محذوف وتقديره «ليهلكن» بدليل «وكم اهلكنا» أو «انك لمنذر» «بدليل» بل عجبوا ان جاءهم منذر وقيل : الجواب مذكور فقال الاخفش «قد علمنا» وحذفت اللام للطول مثل «قد افلح من زكاها» وقال ابن كيسان ما يلفظ من قوله الآية . الكوفيون «بل عجبوا» والمعنى : لقد عجبوا . بعضهم ان في ذلك لذكرى[٢٦٤].

نصب جواب الاستفهام

أجاز ابن كيسان نصبَ الفعل المضارع بعد الفاء الواقع في جواب الاستفهام مع انَّ الأول محقق الوقوع ، وحكى في ذلك أين ذهبَ زيد فنتبعه . بالنصب . ووجه بأن إذا لم يكن سبكُ مصدر مستقبل من الجملة سبك من لازمها فيكون التقدير : ليكن منك اعلام بذهابِ زيدٍ فاتباعٌ منا[٢٦٥].

اسماء اصوات الافعال

ذهب المبرِّد وابن كيسان الى ان «ضهار» و «بداد» على وزن «فَعَالِ» بنُيت لأنَّها إنَّما كانت ممنوعة من الصرف للمعرفة والتأنيث ثم عُدِلتْ فزادها العدل ثقلاً فلم يبق بعد الصرف إلاّ البناء وأنكِرَ هذا القول بانَّ الاسم يمنع من الصرف اذا اجتمعت فيه علتان ولا يزيده اجتماع العلل على منع الصرف شيئاً[٢٦٦].

---

(٢٦٣) ينظر الكتاب : ٤٥٤/١

(٢٦٤) مغني اللبيب : ٧١٩ ، الاية ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر

(٢٦٥) شرح الاشموني : ٣٠٦/٣١ .

(٢٦٦) شرح المفصل : ٥٣/٤ .

خبر عسى

وقول العرب : عسى الغوير أبؤسا ـ للنحاة فيه مذاهب ، فذهب سيبويه وجميع البصريين ان أبؤساً خبر «عسى» وهو على حذف مضاف والتقدير : ذا أبؤس وقال الكسائي : انتصب على أنّه خبر «يكون» مضمرة أي : عسى الغوير أنْ يكون أبؤسا أي أهل أبؤس ، وقال ابو عبيدة التقدير أنْ يأتي بأبؤس . وقال ابن كيسان أبؤساً مصدر . والتقدير : أن يبأس[٢٦٧].

في الحرف

حد الحرف :

حرف المعنى عند ابن كيسان كلُّ حرف لم يكن إسما ولا فعلا ولكنْ يتعلقُ بأحدهما[٢٦٨]. وهو هنا يقرن حدَّ الحرف بوجوده متعلقاً بالاسم او الفعل في تركيب الكلام ، وليس في حال كونه مفرداً . غير ان له حداً آخر غير هذا ذكره ابن السيد ، والحرف بمقتضاه ما حدث به معنى غير معنى الاسم والفعل[٢٦٩]. وهذا الحد يخالف الاول من حيث أنهُ لم يشترط حدوث المعنى بتعلقه بالاسم أو الفعل وإنما المعنى فيه ذاته . وعندي أن هذا أكثر توافقا مع طبيعة اللغة اذ أن ربط دَلالة الحرف على المعنى بتعلقه بالأسم أو الفعل مسألة واهية ، لأن قولهم إنَّ الحرف لا يظهر معناه إلاَّ مع غيره من الاسماء أو الافعال أنما ينطبق على الاسم والفعل أيضا إذا قُصد بالمعنى الدلالة المفيدة إفادة تامةً ، لأنَّ ظهور معنى الاسم أو الفعل بشكل يحقق الفائدة الكاملة يتأتى من إئتلافهما في التركيب . أما المعنى الخاص فيبقى قاصر الدَلالة . في الاسماء والأفعال والحروف ، ألا ترى أنَّ «في» تحمل بنفسها معنى الظرفية و «إلى» تحمل معنى انتهاء الغاية وقل مثل ذلك في سائر حروف المعاني . حالُها كحال فرس ونهر

(٢٦٧) منهج السالك : ٦٨

(٢٦٨) الموفقي : ٢

(٢٦٩) الحلل : ٨١

ورجل وما تحمله من معنى في ذاتها .

ولو كان معنى الحروف لا يظهـر إلاّ مع غيرها لما أختص كلٌ واحـد منهـا بمعنى محدود ولجاز استعمال واحدها مكان الآخر في كلّ الأحوال .

قال الزجاجي : انتم مقرون ان الحروف عوامل في الاسماء والافعال فقد وجب أن تكون الحروف قبلها حقا سابقة لها وهذا لازم على اوضاعكم ومقـاييسكم[270] ورده السيرافي بأن هذا محال فاسـد لأن الحـروف جـاءت لمعـان في الأسماء والأفعال ولا يقمن بأنفسهن»[271]، ويبدو ان الزجاجي يتابع شـيخه ابن كيسـان في ان الحروف دوال على معانيها بانفسها حيث يقول اما الحـروف فانما تدخـل على الاسماء والافعال لمعان تحدث فيها واعراب تؤثره[272].

'إنَّ' اذا دخلت على حـرف الجـر

عد ابن كيسان ان اذا دخلت على حرف جر غير عاملة ، بمعنى أن حـرف الجر كفها عن العمل ، فهي لا تعمل في الحرف ولا في الاسـم بعـده فقـال في قولهـم «ان من اشـد الناس عذابا يوم القيامة المصـورون» الحـرف في مثله غير عاملة لفظا كالمكفوفة»[273]. اي ان عملها لا يظهر لفـظا ويبقى لهـا عملهـا معنى وهو قريب من قول الكسائي ان «مـن» فيه زائدة[274]. ولا يخفى ما في كلامهم من قصور فان عند ابن كيسان ما تزال تحتفظ بقدرتها المعنوية على العمل الا انهـا كالمكفوفة لفظا . ولا ادري ما الفرق بين المكفـوفة والشـبيهة بالمكفـوفة ؟ فان هنا غير عاملة لفظا ولا معنى فما معنى العمل المعنوي اذا لم يكن له أثر ظـاهر . ولو أن ابن كيسان أشار الى أنهـا تحتفـظ بعملهـا المعنوي وهو «التوكيد» لكان على صواب إلاّ أنّه شغل نفسه بالعمل والعـامل ، ولعلّه اعتمد قول الكسـائي

---

(٢٧٠) الايضاح : ٨٣

(٢٧١) الكتاب : شرح السيرافي : ١٠/١

(٢٧٢) الايضاح : ٨٣

(٢٧٣) شرح الرضي : المنشي ٣٠٥/٢/

(٢٧٤) شرح الرضي : المنشي ٣٠٥/٢/

بزيادة «من» في هذا الموضع ولا أحسبها كذلك لأنَّ «من» جاءت لأداء وظيفة معنوية وهي التبعيض فليس المصورون هم اشد الناس عذاباً ولكنهُم جزء من الناس الذين هم أشد عذاباً وعلى هذا فالقول بزيادتها يجانبه الصَّواب . وكل ما في الامر أنَّ الفتح الذي جيء به للتخفيف بعد أنْ كوَّنتْ إنَّ مع المبتدأ مركباً واحدا[٢٧٥] زال بفكِّ هذا المركَّب .

اللام الداخلة على خبر ' ان '

تدخل اللام على خبر «إنَّ» احيانا ولا تتغير حالته الاعرابية ، فعدها البصريون لام الابتداء التي تدخل على المبتدأ للتوكيد فلما دخلتْ إنَّ ومعناها التوكيد التزم الأمر توالي مؤكدين والعرب تكره جمع أداتين تؤديان معنى واحداً إلاَّ بضرورة وإذا أرادوا ذلك جمعوا بينهما فأخرت اللاَّم لكي تبتعد عن إنَّ . هذا هو مذهب البصريين[٢٧٦].

وبسبب شغفهم بالتعليل بحثوا عن العلة في تقديم «إنَّ» (وتأخير اللام ، فبان أثر نظرية العامل في الأخفش حين ذكر أنَّ سبب تقديم إنَّ يرجع الى قوتها من حيث انها عاملة واللام غير عاملة فجعلوا الأقوى متقدما في اللفظ . أما ابن كيسان فينطلق من النظرية ذاتها التي انطلق منها الأخفش ليعلل في آن أخرت لئلاَّ يبطل عمل «إنَّ» لو وليتها لأنها تقطع مدخولها عمَّا قبله[٢٧٧]. ويبدو رأي ابن كيسان أشد غرابة وتكلفاً من رأي الاخفش لأنه يوحي وكأن المتكلم حريص على عمل «إنَّ» اللفظي لا على عملها المعنوي ، وما أظن العربي انتبه الى هذا ولا قصد إليه فكثيرا ما جاء بإنَّ مكفوفة بحرف زائد ليس له عمل

---

(٢٧٥) خلص الدكتور المخزومي في كتاب في النحو العربي / نقد وتوجيه ص٨٧ الى ان «إنّ» واسمها بمنزلة الكلمة الواحدة في الاستعمال وحقُّ الاسم بعدها أنْ يرتفع لأنَّه مسندٌ إليه» .

(٢٧٦) ينظر : الهمع : ١٤١/١ ، وفي المقتضب : ٤٣٤/٢ «فلمّا كان معناها في - التوكيد ووصل القسم معنى «إنَّ» لم يجز الجمع بينهما فجعلت اللام في الخبر وحدها أنْ تكونَ مقدمة لأنْ الخبر هو الأول في الحقيقة أو فيه ما يتصل بالأول فيصير هو وما فيه الأول فلذلك قلت إنَّزيدا لمنطلق . لأنَّ المنطلق هو زيد» .

(٢٧٧) الهمع : ١٤١/١ .

معنوي كما هي الحـال مع اللام ويتبين لنا ضـعف ما يأتون به من حجـج إذا ما نظرنا إلى ما جاء على خلافه من كلام العـرب ، فقـولهم بأنَّ العـرب تكره جمع اداتين تؤديان معنى واحداً ألاَّ بضرورة مردود بقـول الفـرَّاء وربما جمعـوا بين ما ولا وإن التي على معنى الجحـد ، أنشـدني الكسـائي في بعض البيوت لا ما إن رأيت مثلك . تجمع بين ثلاثة أحـرف[٢٧٨] اما قولهـم بأنَّ تقـديم «إنَّ» كان سـبب قوتها في العمل فردود بأنهم قدمُّوا القسم على إنَّ مع انَّه لا عمل له فيما يليهـا . والظاهر أنَّ ابن كيسان لو لم يكن منساقا وراء العامل كالأخفش لأنتبه إلى أنَّ عدم الجمع بينهما يرجـع ألى قيمة صـوتية حيث يقتضي الجمع توالي نونين واللام وجميعها من مخـرج متقـارب وفيه من ثقـل على النطق ما هو واضـح عند التجريب .أمَّا عدم مجيء اللام سابقة فلعلَّ مردهُ إلى إن المتحـدث يقـدم ما هو اكثر دلالة على تأكيد كلامه في نفس السـامع واحسـب ان «إنّ» هي الاكثر بسبب من بنيتها اللفظية واحسب انه للسبب نفسه قدم القسم على «إنَّ» .

إلاّ ان ابن كيسان يبتعـد عن التعليل المنطقي ويقـترب من الحسّ اللغـوي البلاغي حين يوجه منع الفـراء لدخـول اللام في نحـو إنَّ زيدا لأظـن قائم وإنَّ زيدا لئن شاء الله قائم . قال ابن كيسان لانه كلام معترض به من اخبارك عن نفسك وصـفت الخـبر عن زيد شكا كان عندك او يقينا والتوكيد انما هو لخـبر زيد لا لخبرك عن نفسك لان «إنّ» لا تتعلق بخبرك وهى متجاوزة الى الخبر[٢٧٩].

حـروف العطـف

١ - الواو :

ذهب البصريون إلى أنّ الواو لمطلق الجمع أي الاجتماع في الفعـل من غير تقييد في حصوله من كليهما في زمان أو ترتيب .

وذهب قطرب وثعلب وطـائفة إلى أنهما للترتيب . وذهب ابن كيسـان أنّهـا

(٢٧٨) معاني القرآن : ٢٦٢/١ وينظر : ١٧٦/١ في الجمع بين «كما وما» و «كلا لا» .

(٢٧٩) همع : ١٤١/١

للمعيةً وزعم السيوطي أنَّ القولين شاذان[٢٨٠]. قال ابن كيسان هي للمعية حقيقة واستعمالها في غيرها مجاز لأنّها لّما احتملت الوجوه الثلاثة ولم يكن فيها أكثر من جمع الاشياء كان أغلب أحوالها أنْ تكون للجمع في كل حال حتى يكون في الكلام ما يدلّ على التفرق[٢٨١] وتابعه الرضيّ في هذا[٢٨٢].

٢ - إمـــاً

ذهب اكثر النحويين الى ان «إماً» الثانية في الطلب والخبر في مثل : تزوج اما هندا واما اختها . وقولنا : جاءني إماً زيد وإماً عمرو ، مثل «أو» في العطف والمعنى[٢٨٣] اما ابن كيسان فيعدها مثل «أو» في المعنى فقط وليس مثلها في العطف لأن «أما» عنده ليست عاطفة لأنها مجامعة للواو لزوما والعاطف لا يدخل على العاطف[٢٨٤] ونسب الرأي أيضا إلى يونس والفارسي[٢٨٥] ودفعوا بالشذوذ أو الندرة وورودها بغير الواو في قول الشاعر :

يا ليتما أمّنا شالتْ نعامتها   إيماً الى جنة ايمّا إلى نار

كذلك عدوا فتح همزتها وابدال ميمها الاولى ياء شاذا[٢٨٦]. ونقلوا عن ابن عصفور انه زعم ان النحاة اجمعوا على انها غير عاطفة وهذا مخالف لما نقل غيره من العلماء .

وكان ابن مالك ممن تابع ابن كَيسان في هذه المسألة[٢٨٨]. والعطف عند ابن

---

(٢٨٠) ينظر : المطالع السعيدة : ٢٦٠ آ

(٢٨١) همع الهوامع : ١٢٩/٢ والجنى الداني / ١٧٥ .

(٢٨٢) همع الهوامع : ١٢٩/٢

(٢٨٣) ينظر اوضح المسالك : ٣٨٢/٣

(٢٨٤) اوضح المسالك٣٨٢/٣ ، وينظر : المطالع السعيدة : ٢٦٤ آ وشرح الاشموني ١٠٩/٣ ب ، والاشباه والنظائر / ٣٢٢ ج ، وممن تابع ابن كيسان في هذه المسألة ابو علي الفارسي وابن برهان وابو البقاء وابن مالك والشلوبين وابن عصفور والرضي ، ينظر : شرح الاشموني ١٠٩/٣ ، والاشباه والنظائر ٣٢٢/١ .

(٢٨٥) ينظر : مغني اللبيب ٦٢/١ .

(٢٨٦) ينظر : شرح التصريح : ١٤٦/٢

(٢٨٧) التسهيل : ١٧٤

كيسان ومن تابعه بالواو التي قبلها ، أماّ هي فتأتي لتأدية معنى من معاني «أو» وأحسب أنهّ التخيير .

وقال ابن مالك : وقوعها بعد الواو مسبوقة بمثلها في مثل : لا زيد و «لا» عمرو فيها . ولا هذه غير عاطفة[289]. والذيّ أظن أنهّ ليس بنا حاجة إلى هذا القياس لأن الخلل فيه ظاهر ، فنحن نستطيع الاستغناء عن «لا» الثانية دون أن يختل المعنى ولا نستطيع هذا في «إماّ» .

٣ ـ لكـــن

تؤدى «لكن» ساكنة النون التي يأخذ ما بعدها حكمَ ما قبلها معنى الاستدراك وهي تأتي بعد نفي وتثبته لما قبلها وتنفيه عما بعدها ، كما تأتي بعد نهي . وأجاز الكوفيون عملها في الايجاب قياساً على «بلْ» لأنهّا مثلها في المعنى[290]، ومنعه البصريون لعدم ورود السماع به[291].

أماّ عملها فاختلفوا فيه تبعاً لما يأتي بعدها من مفرد أو جملة وتبعاً كذلك لتقدم «الواو» عليها أو عدمه ، فإنْ وليها جملة ـ تقدمتها الواو أو لم تتقدمها ـ فهي غير عاطفة بل حرف ابتداء ، وعدّها آخرون عاطفة جملة على جملة اذا لم تقترن بالواو أو وليها مفرد[292].

واختلفوا فيها أهي العاطفة أم الواو التي تسبقها فذهب يونس إلى أنَّ العطف بالواو فهي لا تستعمل إلاّ مسبوقة بها والعطف عنده عطف مفرد على مفرد وتابعه ابن مالك في أنَّ الواو هي العاطفة ولٰكنه خالفه في أنَّ العطف عطف جملة حذف بعضها على جملة صرح بجميعها[293].

---

(٢٨٩) همع الهوامع : ١٣٥/٢

(٢٩٠) نفسه ١٣٨/٢ .

(٢٩١) ورد في الكتاب ٢١٦/١ : مررت برجل صالح ولكن طالح محال لكن لا يتدارك بها بعد ايجاب ولكنها تثبت بها بعد النفي ، وفي المقتضي ١٢/١ : «ومنها لكن وهي للاستدراك بعد النفي ولا يجوز ان تدخل بعد واجب الا لترك قصة الى قصة تامة .

(٢٩٢) همع الهوامع : ١٣٨/٢ .

(٢٩٣) ينظر : همع الهوامع : ١٣٨/٢ وفي الجني الداني : ٥٠١ قوله : وذهب يونس الى ان لكن ليست عاطفة

واشترط ابن خروف انها لا تكون عاطفة مع المفرد الا بالواو . أمّا ابن كيسان فذهب الى أنّ العطف بـ «لكن» والواو زائدة غير لازمة[٢٩٤]. وتابعه ابن عصفور في العطف بـ «لكن» وخالفه في ان الواو عنده زائدة لازمة .

٤ ـ أم

ذهب ابن كيسان الى ان أصلها «أوْ» وأبدلت واوها ميا فتحولت الى معنى يزيد على معنى «أوْ»[٢٩٥] ورده أبو حيان بأنّها دعوى بلا دليل ، ولو كان كذلك لأتفقتْ أحكامها وهما مختلفان من أوجه منها انّ السؤال بـ «أو» قبله بـ «أم» وانه يقدر مع «أو» بأحد ، ومع أم بـ «أي» وأنّ جواب أو بـ «نعم» أو «لا» وجواب «أم» بالتعيين بالاسم أو الفعل ، وان الاحسن مع «او» تقديم الفعل ومع ام تقديم الاسم ، وأنّ «أو» لا يلزم معادلتها للاستفهام بخلاف «أمْ» وانك إذا استفهمت باسم وعطفت عليه كان بـ «أو» دون «أم» وان العطف بعد افعل التفضيل بـ «أم» دون أو وكذا ما لم يحسن السكوت عليه .

الحروف التي تنصب الافعال المستقبلة

الحروف التي تنصب الافعال المستقبلة عند ابن كيسان هي : أنْ ، لنْ ، حتى ، إذنْ ، كي ، كيلا ، كيما ، لام الجحد ، لأنْ ، لئلاّ ، أنْ لا ، حتى ، حتى لا ، والفاء اذا كانت جواباً للامر والنهي والدعاء والاستفهام والجحد والتمني والعرض ، والواو وثم وأوْ على الصرف[٢٩٦].

والظاهر من كلامه انه عدَّ الحروف الناصبة مع اداة النفي حرفا واحدا ، واغلب الظن انه كان ينبغي القصد في الكلام مع ان هذا قد يرد بأن القصد كان يتحقق له لو قال ان ادوات النفي لا تؤثر في عمل ادوات النصب ان

بل هي حرف استدراك والواو قبلها عاطفة .

(٢٩٤) همع الهوامع : ١٣٨/٢ ، وفي شرح التصريح : ١٣٥/٢ ، لكن عاطفة تقدمتها الواو اولا وهو مذهب ابن كيسان وينظر : مغني اللبيب : ٣٢٤/١ . وشرح الاشموني ٩١/٣

(٢٩٥ - البحر المحيط

(٢٩٦) الموفقي :٤

وليتها . ويبدو كذلك انه يعد هذه الادوات الناصبة عاملة بنفسها جميعا دون ان يكون هناك تقدير ، فلم يتطرق الى شيء من ذلك حين عددها . ولعل ذلك راجع الى الاختصار الذي درج عليه في تأليف «الموفق» فستراه بعد ذلك يذهب الى تقدير الناصب بعد لام «كي» وهو ما سنعرضه لك الان :

لام كي

نص سيبويه على ان اللام تنصب بـ «أن» مضمرة بعدها وعلة ذلك عنده ان اللام لا تدخل الا على الاسماء ولهذا فهي بحاجة الى اضمار «ان» لكي تكون مباشرتها للفعل مسوغة حيث يمكن عندئذ تأويل «ان» المضمرة والفعل[٢٩٧] بعدها بمصدر .

وقد ذهب النحاة في هذه اللام مذاهب ثلاثة :

١ ـ ذهب جمهور الكوفيين الى ان اللام هي الناصبة بنفسها وان ما يظهر بعدها من «أنْ» او «كي» إنَّما هو للتأكيد[٢٩٨].

٢ ـ ذهب جمهور البصريين الى ان اللام حرف جر والناصب هو «ان» مضمرة بعدها[٢٩٩].

٣ ـ ذهب ثعلب الى ان اللام هي الناصبة ولكن ليس بنفسها بل لنيابتها عن أن المحذوفة[٣٠٠].

٤ ـ وذهب ابن كيسان وتابعه السيرافي الى ان الناصب مضمر بعدها ولكن لا يشترط ان يكون «أنْ» فقد يكون «كي» وحملهما على ذلك ان العرب اظهرت بعد لام كي ان تارة وكي تارة[٣٠١]. ومن امثلة ظهور «ان» بعدها قوله لأن أكون وظهور «كي» قوله لكي لا تأسو وعندي ان ما ذهب اليه جمهور الكوفيين

---

(٢٩٧) ينظر الكتاب : ٧/١

(٢٩٨) البحر المحيط : ٢٧٣/١

(٢٩٩) ينظر مغني اللبيب : ٢١ ، ٢٣١ ، وعليه المبرد . ينظر المقتضب : ٧/٢

(٣٠٠) شرح التصريح ٢ /٢٤٤

(٣٠١) حاشية الصبان : ٢٨٢/٣

اصوب المذاهب وابعدها عن التكلف وتمحل التقدير فما دامت اللام للتعليل شأنها في ذلك شأن كي جاز لنا حمل عملها على عمل هذه فان ظهرتا معا في كلام العرب امكن رده الى التوكيد كما قال الكوفيون ، وان ظهرت بعدها «أن» كانت اللام جارة معللة . وبهذا لا موجب للتقدير بعدها سواء في ذلك «ان» او «كي» .

ما الداخلة على نعم وبئس

مذهب ابن كيسان ان «ما» في قولنا «نعما» وبئسما صلة لـ «نِعمَ» وهي بمنزلة ذا في «حبذا» وعلى هذا فان هي في قوله تعالى فنعما هي مرفوع بنعم[٣٠٢]. ومن هنا كان ابن كيسان يجيز مثل : نعم عبدالله . قال : وتدخل «ما» فيهما فترفع ما بعدها نحو : نعم ما زيد ، وبئس ما زيد .
وحبذا الزيدون وحبذا هند[٣٠٣].

قال ابو علي انه سمع نعم عبدالله زيد وبئس عبدالله انا ان كان كذا . وهو شاذ اذ الفاعل ليس بمضاف الى المعرف الجنسي وينبغي ان يكون هذا على ما أجاز ابن كيسان من تنكير المضاف الذي لا مانع فيه من التعريف لنية الانفصال (شرح الرضي ـ المنشي : ٢ـ٢٦٦) .

الباء الزائدة في قوله بمثلها

قال ابن كيسان في قوله تعالى «والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة» . ان بمثلها هو الخبر وان الباء زيدتْ في الخبر كما زيدت في المبتدأ في : بحسبك درهم[٣٠٤]. وزعم ابن هشام بانّ هذا مردود عند الجمهور . اما هو فذكر ان قولهما يمكن ان يؤنس بقوله : وجزاء سيئة سيئة مثلها[٣٠٥].

---

(٣٠٢) ينظر همع الهوامع : ٢٥٥/١

(٣٠٣) ينظر الموفقي : ١٩

(٣٠٤) ينظر مغني اللبيب : ٤٣٨

(٣٠٥) مغني اللبيب : ٤٣٨

ما العاملة عمل ليس

اشترط النحاة لأعمال «ما» عمل ليس ألا يتقدم معمول خبرها عليه وهو غير ظرف او جار ومجرور فاذا تقدم بطل العمل[٣٠٦]. واجاز ابن كيسان تقدمه مع بقاء العمل مثل : «ما طعامَكَ زيدٌ آكلاً» ، فهي في المنع على غير مذهبه : ما طعامك زيد آكل[٣٠٧]. واحتجوا للمنع بقول الشاعر :

وقالوا تعرفها المنازلَ من منىً ... وما كل مَنْ وافى منىً أنا عارف[٣٠٨]

والظاهر ان ليس لأبن كيسان حق فيما ادعاه لأنه لم يؤيد بسماع كما ان اعمال «ما» عمل ليس لم يكن لغة شائعة في جميع العرب فهو لغة الحجاز ، اضف الى هذا ان فصل ما عن متعلقيها يضعف من وحدة التركيب وثقله .

ونسب السيوطي اجازة نصب خبر ما الى الكوفيين وابن كيسان قياسا على لا و لن[٣٠٩]، واذا كان ابن كيسان يصدر عن القياس فانه يفتقر الى الشواهد كما ان ما احتج به غيره لتأييد المنع لا يغني شيئًا فلعل الشاعر ابطل عمل «ما» ضرورة او لعله ممن لا يعلمون «ما» اصلا .

لا العاملة عمل إنَّ

إشترط النحاة فيما اشترطوا لأعمال «لا» عمل إنَّ أنْ يكون اسمها نكرة وان لا ينفصل عنها . فاذا كان معرفة او منفصلا عنها أهملت ، واشترطوا عند اهمالها ان تكرر نحو : لا زيد في الدار ولا عمرو . واجاز المبرِّد اهمالها بلا تكرار ، وتابعه ابن كيسان[٣١٠] في هذا . ومنه قول الشاعر :

بكت جزعا واسترجعت ثم آذنت ... ركائبها أنْ لا إلينا رجوعها

ومما احتجابه في جواز عدم تكريرها مع المنكر غير المفصول مع الغائها

---

(٣٠٦) ينظر الكتاب : ٢٨/١ ، ٢٩

(٣٠٧) ينظر الجنى الداني : ٣٠٧ ، وشرح الاشموني : ٢٥٠/١

(٣٠٨) شرح الاشموني : ٢٤٩/١

(٣٠٩) ينظر همع الهوامع : ١٢٤/١

(٣١٠) ينظر المقتضب : ٣٥٩/٤

قول الشاعر :

وأنت امروٌ منّا خُلقْتَ لغيرنا   حياتك لا نفع وموتك فاجعُ

وعده غيرهما شاذاً[311]، واحتجا أيضاً بعدم التكرار مع المعرفة بقول الشاعر :

اشاءُ ما شئت لا أزال لما   لا انت شائية مِنْ شأننا شاني

كما ذهب الجمهور ألى أنّ الاسم الواقع بعد «لا» إذا كان عاملاً فيما بعده يلزم تنوينه واعرابه مطلقا . أما ابن كيسان فذهب الى جواز التنوين وتركه ، إلا أنّ الترك عنده أحسن اجراء له مجرى المفرد في البناء لعدم الاعتداد بالمفعول من حيث أنهُ لو سقط لصح الكلام[312].

أما في قولهم :لا أبا لك ، ولا أخا لك ، ولا (يَدَيْ) لك ، ولا (غُلامَيْ) لك ، فذهب الجمهور إلى أنّ أبا وأخا ويدي وغلامي اسماء مضافة إلى المجرور باللام واللام زائدة لا اعتداد بها ولا تعلق والخبر محذوف والاضافة غير محضة كما هي في مثلك وغيرك لأنه لم يقصد فيها أب او أخ معين فلم تعمل «لا» في معرفة وزيدت اللام تحسينا للفظ لئلا تدخل لا على ما ظاهره التعريف[313].

أما ابن كيسان فذهب إلى أنهاء اسماء مفردة غير مضافة عوملت معاملة المضاف في الاعراب والمجرور باللام في موضع الصفة لها وهي متعلقة بمحذوف والخبر ايضا[314] محذوف ، ونسبه السيوطي الى ابن هشام أيضا والى ابن مالك بعدهما[315].

---

(٣١١) خزانة الادب ـ ٨٩/٢

(٣١٢) ينظر : المقتضب : ٣٥٩/٤

(٣١٣) ينظر : تسهيل المقاصد : ٦٨ ، وخزانة الادب : ٨٨/٢ ، واوضح المسالك : ٥/٢ .

(٣١٤) همع الهوامع : ١٤٥/١

(٣١٥) همع الهوامع : ١٤٥/١

افتتاح السور آلم

ذهب الخليل وسيبويه الى أنَّ «آلم» وما اشبهها لم تعرب لأنها بمنزلة حروف التهجي فهي محكية فلو اعربت ذهب معنى الحكاية وكأن قد اعرب بعض الاسم .

أما أبو الحسن بن كيسان فقد عدها في موضع نصب بمعنى «اقرأ آلم» أو «عليك آلم» وأجاز ان يكون موضعه رفعا بمعنى : هذا آلم أو هو او ذاك[٣١٦].

---

(٣١٦) ينظر : اعراب القرآن : ١/٣ب

الفصــــل الرابــع

مَذهبُه النحوي



في الكلام على مذهب ابن كيسان أجدُني أمام ثلاثة أُسس لهذا الحديث يغلب على ظنّي انه لا يمكن تجاوزها دون القاء الضوء عليها ، والنظر فيما اذا كانت تُسعفنا في في الوصول الى طبيعة المذهب افذي كان ابن كيسان ينحوه في درسه النحوي . والأسس الثلاثة التي عنيت هي :

(١) آراؤه النحوية .

(٢) ما ورد في المصادر من اشارات الى مذهبه .

(٣) آراء المحدثين في هذا المذهب .

وأحسب ان من الأجدى تأخير الحديث عن استخلاص مذهبه من خلال آرائه الى آخر هذا الفصل لأنه عندي أمتن الأسس وأقومها في التوصل الى التحديد الذي ينبغي لمنهج ابن كيسان لذا رأيت أن ابدأ في مناقشة الأساسين الآخرين لأبين مدى ما يمكن أن يقدما من تشخيص لهذا المذهب .

١ — المصادر

آ — كتب التراجم

لقد أجمع الذين ترجموا لأبن كيسان على أنه ممَّنْ خلَطَ المذهبين ، ولم يَتخلَّف عن ذلك واحد منهم ولا عجب في هذا لأنَّ لاحِقَ هؤلاء المترجمين ينقل

عن سابقه دونما نظر فاحص فيما ينقل .

لقد بنى هؤلاء قولهم على تلمذته لثعلب ثمَّ للمبرد بعده غير أنَّ أيّاً منهم - عدا ابن النديم[1] - لم يَفردْ باباً خاصّاً لأولئك النحاة الذين خلطوا المذهبين ، كما انهم لم ينسبوا إلى خلْطِ المذهبين كلَّ الذين تَلْمذوا لثعلب والمبرِّد ، فهذا الزجّاج مثلاً وهو تلميذ ثعلب البارز يترك حلقته ليلتحق بحلقة المبرّد إلاّ أنَّهم مع هذا عدّوه بعد ذلك رأساً للبصريين ، فكيف جاز لهم أن يتكئوا على هذه التلمذة في عدّهم ابن كيسان جامعاً للمذهبين وهو ما لم يفعلوه مع الزجاج .

قد يقال أنَّ ابن كيسان أخذ بقسم من آراء البصريين وبآخر من آراء الكوفيين كما أن انقطاعه عن مجالس الكوفيين لم يكن تاماً كما هي الحال عند الزّجّاج ، غير أنَّ هذا مردود - فيما أعتقد - بأن نحاة كثيرين من رؤساء البصريين وافقوا الكوفيين بمسائل كثيرة وخالفوا إجماع اصحابهم البصريين وفعل جماعة من الكوفيين مثل ذلك[2]. فهل يحقُّ لنا بعد ذلك أن نعُدَّ هؤلاء ممّنْ جمع المذهبين ؟

أغلب الظن أن الحكم في المذهب على أساس الأخذ من هؤلاء وأولئك في بعض المسائل فيه من الوهَنِ ما لا يجوز الركون اليه ، ولا سيَّما انَّ الحديث عن الخلط بين المذهبين تطور من اشارة عابرة عند المتقدمين ليكون عند عدد من الباحثين المحدثين «مدرسة بغداد النحوية» أو المدرسة البغدادية في النحو أو

---

(١) الفهرست : ١٢١ أفرد ابن النديم بابا خاصا لمن خلط المذهبين ، وممن سلكهم فيه : ابن قتيبة ، أبو حنيفة الدينوري ، أبو الهيثم الرازي ، السكّري ، أبو موسى الحامض ، ابو العباس الأحول ، ابن الكوفي ، ابن سعدان ، وابن كيسان .

(٢) من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في أمالي الزجاجي في قول الشاعر :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

قوله : فأما الخليل وسيبويه والمازني فيختارون أن ينونوه مرفوعا ويقولون : لما اضطررنا تنوينه نوناه على لفظه والى هذا كان يذهب الفراء ويختاره .

كذلك ينظر شرح ابن عقيل : ٣١٧/١ موافقة الفراء لأكثر البصريين في عدم عمل (ان) النافية وينظر مغني اللبيب : ٥١/١ قوله : أجاز الكوفيون وبعض البصريين .

المذهب البغدادي وما إلى هذه المصطلحات .

والظاهر أنَّ كتب التراجم صدرت فيما ذهبت إليه من خلْطِ ابن كيسان المذهبين عن قول ابن الانباري ـ الذي كان يَتعَصب على ابن كيسان كما مرّ بنا ـ إن ابن كيسان «خلَطَ فلم يضبطْ مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين»[3]. فيبدو أنَّ المترجمين فهموا قصد ابن الانباري على غير جهته أيْ عدم الدقة في تناول المسائل النحوية ، وربما تلطفوا فقالوا بخلطه المذهبين . أضف الى هذا أن عدداً من هؤلاء المترجمين لأبن كيسان وقع في شيء من الاضطراب عند الحديث عن مذهبه النحوي ، فالزبيدي يضعه مع اصحاب ثعلب ويذكر أنه الى مذهب البصريين أميل[4]، وابو سعيد السيرافي عدَّه من أصحاب المبرد وذكر أنَّ الرِّياسة في النحو بعد المبرِّدِ انتهت إليه وإلى الزجاج إلاّ انه ذكر أن الزجاج كان أشد لزوما لمذهب البصريين وأن ابن كيسان كان يخلط المذهبين[5].

فاذا أنعمنا النظر فيما ذكرا نلاحظ أنهما لم يكونا دقيقين في تحديد مذهب ابن كيسان فأنت لا تعلم ما الذي يعنيه السيرافي بنسبته رئاسة النحو البصري الى ابن كيسان كما يزعم بينما لا ترى الزبيدي يذكر من ذلك الا ميله الى مذهب البصريين فيقول انه الى مذهب البصريين أميل[6]، فهذا الكلام وان كان قريبا من بعضه الا انه يدل على أن أنتساب ابن كيسان الى جماعة معينة في الدرس لم يكن واضحا .

وخلاصة القول فيما اعتقد أن ليس للباحث أن يركن ـ قدر تعلق الأمر بتحديد مذهب نحوي ـ الى كتب التراجم هذه لأنها تفتقر الى الدقة والسند

---

(٣) طبقات النحويين : ١٧١ .

(٤) ينظر طبقات النحويين : ١٧١ .

(٥) ينظر أخبار النحويين : ٨٠ ، ٨١ .

(٦) ينظر طبقات النحويين : ١٧١ .

المتين في تحديد المذهب . مع انها قد تلقي بعض الضوء على ما نحن بصدد معرفته .

ب - كتب النحو .

نقلت كتب النحاة آراء متعددة لأبن كيسان وافق نحاة البصرة في بعضها ووافق نحاة الكوفة في بعضها الآخر ، كما انها نقلت عنه وهو ينقل آراء البصريين والكوفيين وكأنه طرف ثالث لا علاقة له بأحدهما من ذلك قوله «حيثُ حرف مبني على الضم وما بعده صلة له يرتفع الاسم بعده على الابتداء كقولك : قُمتُ حيثُ زيدٌ قائمٌ ، وأهل الكوفة يُجيزون حذف قائم ويرفعون زيداً بحيثُ وهو صلة لهذا فإذا أظهروا قائماً بعد زيد أجازوا فيه الوجهين : الرفع والنصب ، فيرفعون الاسم ايضاً وليس بصلة لها وينصبون خبره ويرفعونه فيقولون : قامت مقام صفتين والمعنى : زيد في موضع فيه عمرو ، فعمرو مرتفع بفيه وهو صلة للموضع وزيد مرتفع بفي الاولى وهي خبره وليست بصلة لشيء ، قال : وأهل البصرة يقولون حيث مضافة الى جملة فلذلك لم تخفض»[٧].

ومع أن هذا قد يوهم بان ابن كيسان ينتمي الى الى جماعة ثالثة الا أنني أقول انه الى جماعة الكوفيين أميل لأن رأيه في هذه المسألة أقرب الى رأي الكوفيين لأنه يقول «حيث حرف مبني على الضم وما بعده صلة له يرتفع الاسم بعده على الابتداء كقولك : قمت حيث زيد قائم»[٨] ولعل في تقديمه ذكر رأي الكوفيين ما يؤيد هذا الزعم .

وانت بعد هذا لا تعدم من النحاة من ينسبه الى البصريين وآخر ينسبه الى الكوفيين[٩] وان كان الغالب عندهم ايراد آرائه منسوبة اليه بإسمه دون ذكر

(٧) تهذيب اللغة : ٢١١/٥ ولسان العرب : ١٤٠/٢ حيث .

(٨) تهذيب اللغة : ٢١١/٥ .

(٩) جاء في شرح الاشموني : ١٩/٣ قوله (قال ابن كيسان من الكوفيين الضمير للحسن المدلول عليه باحسن كأنه قيل أحسن بأحسن بزيد أي دم به والزمه . «وقال الرضي في شرح الكافية : ٩/٢» وقال بعض الكوفيين وابن كيسان من البصريين : ان الضمائر هي اللاحقة بأيّا «وقال ابو حيّان في منهج السالك :

البصريين أو الكوفيين إزاءه . لذا لا يطمئن الباحث كثيراً إلى مثل هذه الاشارات لأنها يسيرة ويعتورها الاضطراب .

٢ - آرء المحدثين في مذهبه

لا شكَّ في ان الباحثين المحدثين نظروا فيما ورد في كتب التراجم ، وبنوا مفاهيمهم وتقسيماتهم استنادا إلى ما ورد فيها إلاّ أنَّ هؤلاء الباحثين ينقسمون قسمين : الأول نظر فيما وصل إليه دون أن يُجهد نفسه في تقصِّى الحقائق أو محاكمة ما ينقل من آراء ، والثاني فعل غير ما فعل الاول فقد حاكم ووازن واستنتج والذي يهمنا في هذا البحث الفريق الأول بقدر ما له علاقة بموضوع منهج ابن كيسان .

فمن الذين عرضوا لمذهب ابن كيسان من المحدثين كارل بروكلمان وعدّه من رجال مدرسة البصرة[١٠]، ولم يسلكه في مدرسة بغداد مع أنه أفْرَدَ باباً لنحاتها ومن الذين تعرضوا للحديث عن مذهب ابن كيسان شوقي ضيف في كتابه «المدارس النحوية» وقد قسَّم ضيف المدارس النحوية الى : مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد ومدرسة مصر ومدرسة الأندلس وعدّ ابن كيسان «أول أئمة المدرسة البغدادية»[١١]. ولا أريد هنا أن أعرض لأقوال جميع من تابعهم ضيف أو الذين تابعوه في هذا التقسيم لأنني سأعرض وبشكل موجز وسريع - بقدر تعلق الامر بتحديد مذهب ابن كيسان النحوي - لما سُمي بالمدرسة البغدادية التي نسب اليها شوقي ضيف ابن كيسان لنرى ما اذا كانت قائمة حقّاً قبل ان ننفي انتساب ابن كيسان إليها . أو ان ننسبه إلى مدرسة أخرى .

قبل كل شيء لا بدَّ أن نعرض للأسس أو الشروط التي اذا ما توفرت اجازت لنا ان نطلق مصطلح المدرسة على جماعة معينة من الدارسين . فما

٢٠٧» وهذا ما ذهب الكسائي والفرّاء وهشام وابن كيسان وغيرهم من اتباع الكوفيين .

(١٠) ينظر تاريخ الادب العربي : ١٧١/٢ .

(١١) المدارس النحوية : ٢٤٨ .

الأسس التي تقوم عليها المدرسة البغدادية حسب ما زعم الدارسون المحدثون ؟

الاتجاه البغدادي عند الدكتور شوقي ضيف قائم على الانتخاب من آراء البصريين والكوفيين"[١٢]. ويقول : تلك هي المنازع العامة للمدرسة البغدادية ، وكأنما اتجهت اتجاهين : اتجاها مبكرا عند ابن كيسان وابن شقير وابنَ الخيَّاط نزع فيه اصحابه الى آراء المدرسة الكوفية ، وأكثروا من الاحتجاج لها ، مع فتح الأبواب للكثير من آراء المدرسة البصرية . وأيضاً مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة ، واتجاها مقابلاً عند الزجَّاجي ثم عند أبي علي الفارسي وابن جني نزع فيه أصحابه الى آراء المدرسة البصرية . وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد لا في مدرسة بغداد وحدها بل في جميع البيئات التي عنيت بدراسة النحو"[١٣].

من الجدير هنا ان اشير الى ما قد يقع فيه الباحث من وهم قبل ان اعرض للأسس التي ذكرت . فالذي يبدو أن في كلام ضيف خلطا بين بيئة الدرس ومنهج الدرس . فلا احسب ان منهج الدرس هو الذي ادَّى الى بروز الاتجاهين اللذين ذكرهما شوقي ضيف فيما سمّاه المدرسة البغدادية ولكن بيئة الدرس في بغداد هي التي أدَّت الى حصوله .

فاذا ما حاولنا أن نتقصى أمر الأسس وفق المصطلح الحديث فما ارانا نظفر بطائل . فنحن في الفلسفة مثلا نتحدث عن اتجاهين مختلفين اساسا في منهج النظر للاشياء وتفسير الظواهر فالمثالية لا تنطلق قطعا من ذات الاسس التي تصدر عنها الفلسفة المادية مع أن ميدان الدرس عندهما واحد وهو المحسوسات ومعانيها . وفي الفن ليس ثمة اشتراك بين الكلاسيكية والرومانتية أو بين الانطباعية والسريالية مع ان الأدوات في كل منها واحدة وانا انما اورد هذه الأمثلة لأدلل على أن الباحث المحدث له مصطلحاته وهو مطالب بدقة التعبير عن هذه المصطلحات اذا هو استعملها بمعناها المحدث من هنا فانا لم أجد احدا

(١٢) المدارس النحوية : ٢٤٦ .

(١٣) المدارس النحوية : ٢٤٨ .

من النحاة أو المترجين القدامى اطلق مصطلح «مدرسة» على البصريين أو على الكوفيين أو سواهم . فجلّ ما كان يقوله هؤلاء عند عرضهم لرأي لأهل البصرة او اهل الكوفة : هذا مذهب البصريين وهذا مذهب الكوفيين او هذا على رأي البصريين وهذا على رأي أهل الكوفة أو أهل بغداد وما الى هذا من العبارات .

من هنا ينبغي لنا ان نبحث عن الأسس التي اعتمدها اهل الكوفة والأسس التي اعتمدها اهل البصرة ؛ لنجد ان ليس ثمة خلاف في أسس منهج الدرس بين هؤلاء وأولئك فقد صدروا جميعا عن اصول مشتركة في تناول المادة النحوية وتقعيدها . فقد كان السماع والقياس والعلة هي اسس التفكير النحوي لدى أهل البصرة وتابعهم اهل الكوفة في ذلك[14]، فقد اخذوا النحو عنهم وتلمذ شيوخهم لشيوخ البصريين .

وربّ سائل يسأل : اذن من اين جاء الخلاف ؟ لقد كان الخلاف ـ كما هو معروف ـ في عدد من المسائل ، حصرها الأنباري في ثماني وعشرين ومئة مسألة تنقص او تزيد عند غيره ممن تناولوا هذا الموضوع . وهذه المسائل جميعها لا يمكن ـ كما احسب ـ ان تعدّ خلافا في منهج الدرس لانها تصدر عن سبب فرعي يتعلق بالعلة ومدى قدرة المعلل على الاقناع . فما كان بين البصريين والكوفيين خلاف في الأصول كما اسلفنا وعلى هذاالاساس نستطيع ان نفسر موافقات بعض الكوفيين البصريين وبعض البصريين الكوفيين ، وبه نفسر انحياز الزجاج الى المبرد وتركه ثعلبا بعد أن استطاع المبرد ـ في مناظرته الشهيرة معه ـ اثبات الشيء ونقضه مستعينا بالعلل العقلية والكلامية التي هي عند اهل البصرة أظهر منها عند اهل الكوفة بحكم بيئة البصريين المعقدة المتعددة الاجناس والمذاهب ولحاجة اصحاب هذه المذاهب المتصارعة الى وعي

---

(١٤) فهم يذهبون مثلا الى ان (إنْ) لا تعمل الا في الاسم اما الخبر فيرتفع على الاصل وذلك لضعفها (ينظر الدرس النحوي في بغداد : ٥٩) فان اختلف الكوفيون عن البصريين فلضعف الحجاج عندهم .

علم الكلام والمنطق للرد على الخصوم وإثبات الحجة وهو ما لم يكن متوافراً في بيئة الكوفة وما كان أهلها ينشدون ذلك كما فعل اهل البصرة لأن الكوفيين كادوا يكونون اتجاها واحدا في المذهب والسياسة .

ومن ذلك ايضا أن محمد بن يزيد المبرد زعيم البصريين في عصره ألّف كتابا في تخطئة سيبويه سمّاه «الردّ على سيبويه» وصنّف كتاباً آخر سمّاه «الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه»[١٥]. فهل كان الخلاف بينهما الا خلافا في العلل وتوجيهاتها بين البصريين أنفسهم كما هي بين الكوفيين والبصريين .

لقد اتفق البصريون والكوفيون اذن على الثوابت الأساسية في الدرس النحوي[١٦]، واختلفوا على القليل الذي خالف هذه الثوابت وما كان اختلافهم في صحة مجيئه او عدمها وانما كان اختلافهم في الأخذ به أو اطراحه وقد كان هذا هو الفرق الأساس بين الدرس البصري والدرس الكوفي ، وهو فرق في الكمّ لا في النوع فقد اشترط البصريون عددا محددا من الشواهد في المسألة التي تخالف تفسيراتهم لكي تكون عندهم صالحة للقياس عليها في حين اكتفى الكوفيون بالشاهد الواحد او بالنزر القليل من الشواهد ليعدّوا ما جاء به لغة صحيحة . وهذا يرجع الى طبيعة البيئة الاجتماعية التي اشرنا اليها في المدينتين .

كما أن الكوفيين لم يكونوا يأخذوا بالشاهد الشاذ اذا كان مخالفا لقواعدهم الثابتة بل كانوا يأخذون بما كان يدخل في فرع من الفروع ويخرّج على وجه من التعليل . كما ان عددا من نحاة البصرة كانوا يأخذون بالشاهد الواحد فيما وافق الاصول ووجدوا له تخريجا . اما ما عدا ذلك من الشواهد الشاذة فقد اتفق البصريون والكوفيون على شذوذها او تخطئتها وفي كتب النحو واللغة عدد

---

(١٥) ينظر الفهرست : ٦٤ .

(١٦) لخص الدكتور المخزومي خصائص المذهب البغدادي الكوفي بأن البغداديين يعتمدون السماع والنقل ويتخذون المسموعات أساسا لوضع قواعدهم وانهم يأخذون بالشاهد الواحد ليجعلوه اصلا من اصولهم ولو كان مخالفا لاصولهم السابقة ينظر الدرس النحوي ٥٦ ، ٥٧ ولا ارى خصائص الدرس البصري تختلف عن هذا كثيراً .

من الأمثلة على هذا .

لقد كان الأختلاف في بيئتي المدينتين اساسا للخلاف في مسائل الخلاف اضافة الى المنافسة القائمة بينها وطموح أهل كل مدينة الى رسم شخصية مستقلة تبز منافستها أو لم يكن سوق الكناسة نداً للمربد . فلا عجب ان ينفرد أهل الكوفة بمسائل تخالف اهل البصرة مع انهم أخذوا النحو عنهم . تأكيدا للمناقشة التي اشرنا إليها .

بعد كل هذا لنا ان نسأل هل يستطيع الاختلاف في عدد الشواهد التي يمكن القياس على ما وردت به والاختلاف في ترجيح علة على أخرى ان يرسم حدود مدرسة لها سمات مميزة ؟ احسب ان هذا لا يصح وفق ما نفهم من مصطلح المدرسة المعاصر .

اما من يحتج لوجود المدرستين باختلاف المصطلحات التي استخدمها الكوفيون عن التي استخدمها البصريون ، فلا حجة له في ذلك لأن الكوفيين الذين سمّوا فيما بعد بالبغداديين وان استخدموا كثيراً من المصطلحات التي هي غير مصطلحات البصريين الا انهمّ اعتمدوا اول ما اعتمدوا المصطلح البصري كما أن هذا الاختلاف الذي صاروا اليه فيما بعد لم يكن وليد خلاف في منهج الدرس بقدر ما هو وليد اختلاف البيئة اللغوية والحياة الفكرية التي نشأ فيها هؤلاء وأولئك ، فلا يجوز لنا أن نجعل اختلاف المصطلح دليلا على منهج مميز في البحث لأنّ أهمية المصطلح تكمن في دلالته لا في لفظه ، فليس ثمة فرق في الدلالة الاصطلاحية ـ فيما احسب ـ بين الخفض الذي استعمله الكوفيون بدلا من مصطلح الجرّ البصري مثلا . لأنهما وان اختلفا لفظا الا انهما واحد في الدلالة على الحالة الواحدة . واختلاف اللفظ لا يعني اختلافا في الفكر ، الا ترى اننا نستخدم كثيراً من المترادفات في استعمالات متشابهة فليس من يكتب في موضوع معين بمفردات أو بلغة غير التي يكتب بها آخر في الموضوع ذاته بمختلف عن صاحبه ولا هو يرسم منهجا مغايرا .

بعد هذه النظرة السريعة في المقومات التي يمكن أن تسمح للباحث باطلاق مصطلح «المدرسة» على بيئة معينة من الدرس . ترى أن هذه المقومات غير متوافرة فيما نحن بصدد بحثه ، الامر الذي لا اراه يسمح لنا باطلاق هذا المصطلح الحديث «المدرسة» على الكوفيين لتمييزهم عن البصريين . وعندي أن مصطلح بيئة الدرس أنسب في هذا فهو يمكن أن يكون دقيق الدلالة على البغداديين وهو الاسم الذي صار يطلق على الكوفيين فيما بعد .

ويبدو أن أكثر هؤلاء الباحثين الذين قالوا بوجود مدرسة بغداد صدروا فيما قالوه عن اشارات وردت في كتب الاقدمين الى عدد من النحاة واللغويين واطلقت عليهم اسم «البغداديين» .

فهل كان الأقدمون يقصدون بهذا منهجا ثالثا في الدرس النحوي يتوسط بين البصريين والكوفيين ؟ لست أرى الأمر كذلك لأننا اذا نظرنا الى المواضع التي ورد فيها اسم البغداديين في كتب القدامى وجدناها لا تعني جماعة لها منهج خاص في الدرس النحوي .

لقد كان المبرد فيما يبدو اقدم الذين ذكروا الكوفيين باسم البغداديين ثم تلاه ابن السراج فذكرهم بهذا الاسم في كتاب الاصول ومع تقدم ابن السراج الا اننا لا نستشف منه انه كان يقصد الى مذهب نحوي متميز أو مدرسة لها سمات خاصة فهو لم يذكر البغداديين الا في متابعتهم الكوفيين فيقول مثلا «ومذهب الكوفيين والبغداديين» في «ان» التي تجاب باللام ، يقولون : هي بمنزلة «ما» و «الا» و «قد» ، قال الفراء»[17]... فالظاهر انه اذا أورد رأيا لكوفي متقدم كالكسائي والفرّاء يورد متابعة نحاة بغداد له . وهو تقسيم يعتمد ـ فيما اظن ـ بيئة بغداد . ولا يعتمد وجود مدرسة نحوية ، وأحسب أن فيما سننقله من كلامه ما يقطع بذلك ـ قال «وكذا يقول البغداديون الذين على مذهب

---

(١٧) الأصول : ١٩٩ ويقول مثلا «ويعمل عند الكوفيين والبغداديين» . الاصول ٢١١/٣ .

الكوفيين يقــولون : انه ليس من كلام العــرب»[١٨]. كما أن أقواله تدلّ على انه كان يعني الكوفيين حين يذكر البغـداديين . يقـول «قال ابو العباس رحمه الله : يزعم البغداديون ان قولهم الا في الاستثناء انما هي ان ولا ، ولكنهم خففـوا ان لكثرة الاستعمال»[١٩]. ولا احسب المبرد يقصد في هذا غير الكوفيين لأنه لا يمكن أن تكون مدرسة بغداد قد اصبح لهـا مزاعمهـا واقوالهـا فليس فيما أطلقـه ابن السراج ما يوهم بشيء عن هذا ويقـال مثله في ورود اسـم البغـداديين عند من وليه من النحـاة فابن جـني المتابع لآراء البصريين يذكر بعــد أن أورد رأي البصريين في مسألة من المسـائل «وقول البغـداديين اننا ننصب الجــواب على الصرف كلام فيه اجمال بعضه صحيح وبعضه فاسـد»[٢٠]. وقال في موضـع آخـر «الا ترى ان اتفـاق معنييها قد حمل البغـداديين على ان قالوا انّ الاصــل في حثحثت : حثثت ، وفي رقرقت : رققت»[٢١]. فهو حين يذكر البغداديين لا يذكر الكوفيين . مما يؤيد انه يريد بالبغداديين الكوفيين . ومن ذلك أن ابن عصـفور قال «وزاد البغداديون في حـروف العـطف «ليس»[٢٢] في حـين نســب هذا الى الكوفيين في شرح التصريح[٢٣]، ونجـد هذا الاضـطراب والخلط عند أكثر الذين أطلقوا مصطلح البغداديين من النحاة المتأخـرين[٢٤]. يضـاف الى هذا أن نسبة الدارسين الى مدنهم لم تقتصر على النحو وحـده فتراها ترد عند المفسرين مثلا ولا تعـني انهـا مذهب يخص أهل تلك المدينة وحــدهم من مثل «وقال بعض

(١٨) الاصول : ٢٩٩ .

(١٩) الاصول : ٢٣٤ .

(٢٠) سر صناعة الاعراب : ٢٧٦/١ .

(٢١) سر صناعة الاعراب : ٢٠٤/١ .

(٢٢) شرح الجمل : ١١٦/١ .

(٢٣) ينظر شرح التصريح : ١٣٥/٢ .

(٢٤) ينظر شرح التصريحَ : ٢٣٢/١ ، وشرح التســهيل : ١١٧ ، ٢٠٨ ، ٢٥٣ . وشرح الجمل : ١٥١/١ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، وخزانة الأدب : ٥/١ ، ٣٦٥/٢ ، ٢٨/٣ ، ١٤٥ . واوضح المسـالك : ٣٨/٣ ، ٨٥/٣ ، ٣٥٤/٣ ، ٢٥٠/٤ وشرح الرضي على الكافية : ٢٣٧/١ وفي غير هذه من الكتب ورد ذكر البغـداديين وهو لا يحمل ما يشير الى انهم يريدون مذهبا جديدا بل الظاهر انهم يقصدون الكوفيين .

البغداديين من الشافعية»[٢٥] او «هذا قول البغداديين من المالكيين»[٢٦]. أو «وحكى بعض القزوينيين والبغداديين عن ابي حنيفة»[٢٧]. وهذا لا يعني ان لشافعيي بغداد مذهبا مميزا او لمالكييها مذهبا آخر .

كما ورد في نور القبس ما يبعد الوهم أن القدماء أرادوا باطلاق اسم البغداديين مذهبا نحويا خاصا بأهل بغداد فقد ذكر المرزباني عند حديثه عن اخبار العلماء والنحاة والرواة من اهل بغداد خليطا من البصريين والكوفيين الذين سكنوا بغداد كابن السكيت وسلمه بن عاصم والمبرد وثعلب والأحول والزجاج وابن السراج وابن دريد وابي بكر بن الانباري وغيرهم[٢٨]. وما كان ليفوته تقسيمهم على مذاهبهم لو كان يوجد مثل هذا التقسيم وهو قريب عهد منهم . فكيف تفسر اذن مسألة الخلطيين اراء المدرستين التي قام بها عدد من الباحثين المحدثين .

لقد كان الكوفيون هم الذين تولوا امر الدرس النحوي في بغداد في اول عهده فقد دخلوها قبل ان يصل اليها اهل البصرة وربما كان ذلك يرجع الى قرب الكوفة من بغداد فكان الدارسون يسرعون الى حلقات هؤلاء العلماء القادمين من الكوفة واستوطنوا بغداد فيأخذون عنهم ويقولون بما يقولون به وهي اقوال لا اراها تختلف عما جهر به البصريون في مسائل النحو واللغة ولم يكن النحو عند الكوفيين قد بلغ شأنا واضح السمات والمعالم ، فقد كان الاهتمام باللغة ورواية الشعر اظهر عندهم من الدرس النحوي لطبيعة البيئة الكوفية التي كانت مركزا للقرآء والقراءات ورواة الشعر .

وكان لقرب الكوفة من بغداد ان دخل الكوفيون الى بغداد وهيمنوا على مجالس النحو فيها وتأخر دخول البصريين اليها حتى مجيء المبرد الذي تلته حقبة

---

(٢٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢٣١/٢ .

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٣/٢ .

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٨/٢ .

(٢٨) ينظر نور القبس وفيه تراجم لجميع هؤلاء النحاة .

من ترجح الدارسين بين الاخذ بهذا التوجيه البصري او بما جي على غير شاكلته من توجيهات اهل الكوفة وقد اصبح لأهل المصرين تلامذة في بغداد وبهذا اتسمت الحقبة بالترّجح والاخذ عن هؤلاء مرة وعن اولئك مرة اخرى مما دفع ببعض المحدثين الى التوهم بان هذا يمثل مدرسة تقوم على الانتخاب من الفريقين . اشتهر من هؤلاء الذين نسبوا الى ما سمي بمدرسة بغداد عدد منهم النحاة من ابو الحسن بن كيسان وأبو بكر بن الخياط وابو الحسن علي بن سليمان الاخفش . وهؤلاء يتفاوتون في منزلتهم النحويّة وفي اخذهم لآراء الكوفيين أو البصريين[29].

وعندي ان جميع دارسي النحو يشتركون في اصول النظر الى الدرس النحوي ويختلفون بهذا القدر او ذاك في تفريعاته فبيئة الدرس النحوي في البصرة كانت تغلب عليها العقلية الحجاجية المنطقية على حين كانت بيئة الكوفة النحوية اقل تجريدا للنحو واضعف في الحجاج العقلي الا انهم لم يترفعوا عنه كما سبق أن أشرنا اليه . ثم كانت بيئة بغداد النحوية التي اتسمت شيئًا فشيئًا بما كان عليه البصريون من غلو في التعليل وتزمّت في الاقتياس .

فأين موقع ابن كيسان من هذا ؟ .

٣ ـ موقفه من خلال درسه

لقد بدأ ابن كيسان درسه على علماء الكوفيين كما سبقت الاشارة اليه . فأخذ بتوجيهاتهم واستخدم مصطلحاتهم النحوية في بداية عهده وكتابه الموفقي حافل بما عرف من مصطلحات الكوفيين فتجد بين النحاة من ينسبه الى الكوفيين حين ينقل عنه[30]، ثم كان اقباله على مجلس المبرد كما هي الحال مع غيره من دارسي بغداد . فلا عجب ان تستهويه حجج المبرد واقيسته التي كانت استهوت الزّجاج قبله لان ابن كيسان فيما يبدو كان من اولئك الدارسين الذين

---

(٢٩) تناول الدكتور المخزومي كتابه الدرس النحوي في بغداد ص ١٣٢ وما بعدها وفصل الكلام على ابن كيسان وابن شقير وابو الحسن علي بن سليمان الاخفش . ونسب كل واحد منهم الى جهته .

(٣٠) ينظر حاشية الصبّان مثلا : ١٩/٣ .

شغفوا بالثقافات الجديدة التي اخذت منذ أوائل القرن الثالث تتلمس طريقها الى مجالس الدرس على اختلافها ، ووجد في منطق المبرد واسلوب تناوله موضوعات الدرس ما يتفق مع منازعه الفكرية»[٣١].

فكان من الطبيعي ان يكتسب من الاساليب الجديدة ما ينسجم مع نفسه ليستخدمه في درسه النحوي ، فألف كتابه الموسوم بـ «المختار في علل النحو» واحسب انه تناول في هذا الكتاب آراء الكوفيين وفلسفتها لا كما ذكر الدكتور المخزومي من انه كان في تأليفه «يبدو كمن يريد أن يُفلسف النحو البصريَّ ويقوِّم من مَيْله عند النظارة والحجاج»[٣٢]. فقد قال الزجاجي في كتاب الايضاح في علل النحو ـ الذي وضعه محاكيا ابن كيسان في وضعه كتاب المختار ـ وهو يتحدث عن الكوفيين» وكثير من الفاظهم قد هذبها من نحكي عنه مذهب الكوفيين مثل ابن كيسان»[٣٣]. معنى ذلك انه كان يميل الى آراء الكوفيين الا انه يستخدم في تأييدها اساليب نحاة البصرة . غير ان ابن كيسان قد اخذ يغالي بعد ذلك في اصطناع العلل والبحث عن العوامل كما كان البصريون يفعلون الا انه لم يتخل عن موافقات كثيرة لآراء كوفية كما مرّ بنا عند الحديث عن آرائه النحوية وقد وافق في عدد من اقواله آراء بصرية فهو اذن من الدارسين الذين كانوا في أول عهدهم يأخذون بالتوجيهات الكوفية ثم نقلتهم قوة الحجاج البصري الى الاخذ بعدد من الآراء البصرية والى اصطناع الاسلوب البصري في الدرس . ولنتبّين ذلك على وجهه الصحيح نعرض لطريقة ابن كيسان في الدرس على الأسس التي كان البصريون يلجُّون فيها اكثر مما كان الكوفيون يصنعون :

(٣١) الدرس النحوي في بغداد : ١٣٣ .

(٣٢) الدرس النحوي في بغداد : ١٣٣ .

(٣٣) الايضاح في علل النحو : ١٣٢ وقال في ١٣١ «وانما نذكر هذه الاجوبة عن الكوفيين على حسب ما سمعنا مما يحتج به عنهم من المتأخرين وعلى حسب ما في كتبهم .. وكثير من الفاظهم قد هذبها من نحكي عنه مذهب الكوفيين مثل ابن كيسان وابن شقير وابن الخياط وابن الانباري فنحن انما نحكي على الكوفيين علل الفاظ هؤلاء» .

١ - موقفه من العامل النحوي

يبدو للدارس الذي ينظر فيما حفظ لأبن كيسان من آراء نحوية انه كان يأخذ بنظرية العامل ويغالي فيها الى حد انه لا يجيز تقدم المعمول على العامل ، فيقول «المعنى الذي رفع المبتدأ عندي هو ان العامل لا يقع الا قبل معموله ، فاذا قلت «قام زيد» ارتفع بفعله ، فاذا قلت «زيد قام» لم يكن بدّ من أن يكون في «قام» ضمير يعود على «زيد» لأن المعمول فيه لا يكون قبل العامل . كما تقول «مررت بزيد» ثم تقول «زيد مررت به» فتشغل العامل بضميره ، فلما لم يجز ان ترفعه بلفظ الفعل لموضع الضمير وكان معناه كمعنى قام زيد رفعته بالمعنى اذ امتنع اللفظ»[34]. فهو اذن يتشدد في العامل فاذا امتنع العامل اللفظي فلا بدّ من وجود عامل معنوي يكون سببا في ظهور الأثر الاعرابي . وهذا النهج ظاهر في كثير من المسائل التي تناولها بالدرس والتي مر ذكرها في مبحث آرائه النحوية .

٢ - موقفه من العلة

كان تشبث ابن كيسان بالعامل واثره في المعمول نتيجة لتأثره بنهج البصريين المغالي في هذا وكان الامر كذلك بالنسبة للعلة النحوية كما هو ظاهر في توجيهات ابن كيسان . فهو يعتل مثلا للردّ على من يرى أن المبتدأ ارتفع لتعريه من العوامل اللفظية بحجاج عقلي يتم على اصطناعه العلة وتمحله لها فيقول «ان العامل اذا عمل بظهوره شيئا لم يعمل بسقوطه ، قال : والعوامل ترفع وتنصب وتخفض . فسقوط ايها اوجب الرفع ؟ فاذا كان سقوط الرافع هو الذي أوجب الرفع ، فهو اذن يعمل عملا واحدا وجد أو عدم ، فلا ينبغي اذا وجد ان يسمى عاملاً لانه لم يرد شيئاً كان معدوماً قبل ظهوره ، وانما كان سقوط الناصب هو الذي يوجب الرفع فهو اذا عدم اقوى منه إذا وجد لانه الرافع أقوى من الناصب . قال . وان كان سقوط الخافض هو الرافع لزم

(٣٤) الحلل : ١٨٠ .

فيه ما يلزم في الناصب وان كان سقوط جميعها اوجب الرفع لزم ايضا مثل ما ذكرنا»[٣٥].

أن تنظر في آرائه النحوية لترى كيف يشفع آرائه باصطناع العلل العقلية .

٣ - موقفه من القياس

لقد اخذ ابن كيسان بمبدأ القياس في عدد من المسائل لتأييد ما يذهب اليه فقد قاس جمع العلم المذكر المختوم بالتاء جمع سلامة لمذكر مع فتح عين الكلمة قياسا على الجمع بالالف والتاء مثل «الطلحات والحمرات» وذلك لان حقه الالف والتاء كما قالوا ارضون بفتح الراء لما كان حقه الالف والتاء[٣٦].

كما أجاز ان يجمع ما كان على وزن «فعلاء» أو فعلى جمعا مؤنثا سالما قياسا على ما ورد من جمع مذكره مثل «أحمرون وأسودون» فيقال «حمراوات وسكريات»[٣٧].

مع ان الاصل ممنوع لدى جمهور النحاة . وفي هذا الشاهد ما يشير الى ان ابن كيسان مع أخذه بتأويلات البصريين ظلَّ على ما كان عليه الكوفيون من قياسهم على الشاهد الواحد .

ومن غريب قياسات ابن كيسان قياسه بناء المثنى في قراءة من قرأ قوله تعالى «ان هذان لساحران» قياسا على البناء في المفرد والجمع[٣٨].

أما بالنسبة للمصطلح النحوي فقد كان ابن كيسان في مطلع درسه يستخدم مصطلحات الكوفيين كالخفض وما لم يُسَمَّ فاعله والجحْد ومنها في كتاب الموفقي شيء كثير إلا اننا لا نجده يستعملها كثيرا فيما نقل عنه من آراء بعد بعد ذلك وهذا يعود دون شك الى علبة ما جاء به البصريون من مصطلحات كما كان الامر في علبة المنطق والتفلسف البصريين عند ابن كيسان وغيره من نحاة عصره .

(٣٥) الحلل : ١٨٢ .

(٣٦) شرح الرضي المنشي : ١٤٥/٢ .

(٣٧) شرح الرضي : ١٤٧/٢ .

(٣٨) انباه الرواة : ٥٨/٤ والجامع في احكام القرآن : ٢١٩/١١ .

الفصل الخامس

في التفسير واللغة



١ - في التفسير

عرفنا فيما تقدّم من البحث أنّ ابن كيسان كان صنف في تفسير القرآن ، وقد نقلوا عنه كثيرا في كتب التفسير التي وصلت إلينا ، أمّا ما نقل عنه فمنه ما يتعلق بالتوجيه الفقهي وبيان الأحكام ومنه ما يتناول مسائل في الاعراب ، كما انّ منه ما يتصل باللّغة وبيان معاني المفردات فنقل عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن كثيرا ولا تكاد كتب التفسير الأخرى تخلو من نقول عنه[١]. إلاّ أننا لا نجد في أيٍّ منها إشارة الى المصدر الذي نقلت عنه .

لقد بلغ اهتمام ابن كيسان بالنظر في القرآن الكريم حدّاً جعله «يتلطّف في ألاّ يجعل شيئا زائداً في القرآن ، ويخرج له وجهاً يخرجه من الزيادة»[٢].

غير ان ما تيسر في أيدينا لا يتيح لنا تكوين صورة واضحة عن منهجه في التفسير ، الا انه قد يجيز لنا القول : ان ابن كيسان كان يولي اللغة والتوجيه النحويَّ عناية خاصة فيما يتناول من آيات القرآن الكريم أكثر مما كان

(١) نقل عنه ابو حيان الاندلسي في البحر المحيط مثلا ما يقرب من اربعين مرة .
ينظر على سبيل المثال : ٧٢/١ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ٤١١ .
٢٧٢/٢ ، ٢٤٨ ، ٤٦٢ - ٤٦٣/٣ ، ٣٧٤
١٢٦/٤ ، ١٣١ - ٦٦/٥ ، ١٤٧
١٣١/٦ - ١٤١/٧ ، ٢٨١ ، ٣٤٢ ، ٣٨٤
١٢٠/٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٤١٩ ، ٥١٩ .
(٢) مشكل اعراب القرآن : ٣٩٩ .

يوليه من عناية بمسائل الفقه والتشريع وإنْ لم يكن يهملها .

ولعلّنا نستطيع أن نقول إنّ ما تناوله ابن كيسان من تفسير القرآن يقع في ثلاثة اتجاهات :

اولها ـ وهو الأظهر فيما احسب ـ يتعلق بإعراب ما أشكل اعرابه أو ما ظنّ هو أنّه مشكل في الاعراب .

فيتناول اعراب ما احتمل اوجهاً من الاعراب ، مما قال به غيره . من ذلك ذهابه الى ان الحروف التي تأتي في مطلع السور هي في موضع نصب بتقدير فعل بمعنى : اقرأ ، او عليك. كما جوّز فيه ايضا ان يكون موضعها رفعاً على انها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هذا ، أو : هو أو : ذاك[3]. وذهب غيره من العلماء الى انها «لا تعرب لانها بمنزلة حروف التهجي فهي محكية ولو أُعربت ذهب معنى الحكاية وانك لم ترد ان تخبر عنها بشيء[4]». أمّا الخليل وسيبويه فقد فصّلا القول في هذا بما لا يدخل فيه قول ابن كيسان[5].

وفي قوله تعالى «ق والقرآن المجيد» ذهب ابن كيسان الى ان جواب القسم ما يلفظ من قول[6]. ومما يدخل في هذا الباب ايضا ما ذهب اليه في قوله تعالى «يخرجُ منْ بطونِها شرابٌ مختلفٌ الوانُه فيه شفاءٌ للناسِ إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ يَتفكَّرون»[7]. من ان الضمير في «فيه» راجع الى القرآن وكان قد ذهب الى هذا ايضا ابن عبّاس والحسن ومجاهد والضّحاك والفرّاء[8]، على ان الفرّاء يذكر هذا محكيّاً عن غيره[9]. وهو مخالف لما ذهب اليه الجمهور من رجوعه إلى الشّراب[10].

(٣) ينظر : اعراب القرآن : ٣/١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٥٧/١ .

(٤) فتح القدير : ٧١/٥ .

(٥) ينظر : الكتاب : ٣٠/٢

(٦) ينظر فتح القدير : ٤٩٣/٥ .

(٧) سورة النحل / آية ٦٩ .

(٨) ينظر : الجامع لاحكام القرآن : ١٣٦/١٠ .

(٩) ينظر : معاني القرآن : ١٠٩/٢

ومن توجيهاته الاعرابية قوله في قوله تعـالى «قالَ ذلكَ بَيْني وبينَك أيَّما الأجلينِ قضـيتَ فلا عدوانَ عليَّ واللهُ على ما نقـولُ شـهيدٌ»[11]. «ما في موضـع خفض باضافة أي اليها ، والأجلينِ بدلٌ منها»[12]، ولم يجعلْها شرطية .

وفي قوله تعالى «أمْ حسبَ الذّينَ يعملونَ السيئّاتِ أنْ يسبقونا سـاءَ ما يحكمون»[13] قدَّرَ ابن كيسان لاعراب «ما» تقديرين «أحدهما أنْ يكون موضع «ما يحكمون» بمنزلة شيء واحد ، كما تقـول : أعجبني ما صـنعت . أيْ صـنيعُك و «ما» والفعل مصدر في موضع رفع ، التقدير ساءَ حكمُهم . والتقدير الآخـر انْ تكون «ما» لا موضعَ لها من الاعراب . وقد قامتْ مقـام الاسـم لسـاءَ وكذلك نِعْمَ وبئسَ . قال ابو الحسن بن كيسان : وأنا اختار ان أجعل لـ «ما» موضعا في كلِّ ما اقدر عليه ، نحو قوله عزَّ وجل «فبما رحمةٍ منَ الله» وكذا «فما نقضـهم أيّما الأجلينِ قَضَيت» . «ما» في موضع خفض هذا كله وما بعده تابع لها ، وكذا «إنَّ اللهَ لا يسـتحي أنْ يضربَ مثلاً ما بعـوضةً» «ما» في موضـع نصـب ، و «بعوضةً» تابع لها»[14]. وفي قوله تعالى «إنَّ الذَّينَ كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتَهُمْ أمْ لم تُنذرْهم لا يؤمنون»[15] قال ابن كيسان : «خبر» إنَّ «سواءٌ ، وما بعده يقوم مقـام الفاعل ويجوز ان يكون خبر «إنَّ» لا يؤمنون»[16].

وفي قوله تعالى «فبما رحمةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ»[17]، قال ابن كيسـان : «ما» نكرة في موضع جرٍّ بالباء ، ورحمةٍ بدل منها»[18].

---

(١٠) ينظر : فتح الغدير : ٤٢٩/٥ .

(١١) سورة القصص : اية ٢٨ .

(١٢) الجامع لاحكام القرآن : ٢٧٩/١٣ وفتح الغدير : ١٦٩/٤ .

(١٣) سورة العنكبوت /الآية ٤ .

(١٤) الجامع لاحكام القرآن : ٣٢٧/١٣ ، وينظر : البحر المحيط : ١٤١/٧ ، وفتح الغدير : ١٩٢/٤ .

(١٥) سورة البقرة / الآية ٦ .

(١٦) اعراب القرآن : ٤/١ ب ، والجامع لاحكام القرآن : ١٨٤/١ .

(١٧) سورة آل عمران /الآية ١٥٩ .

(١٨) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٨/٤ .

وفي قوله تعالى «لِيجزيهم الله» ذهب أبو حاتم السجستاني إلى أن أصل «ليجزيهم» لَيجزينَّهم بفتح اللام وبنون توكيد ، فحذفت النون تخفيفا ثم كسرت اللام واعملت اعمال لام كي لشبهها لها في اللفظ ، فذكر أبو جعفر النحاس ان ابن كيسان انكر مثل هذا القول على أبي حاتم وخطّأه فيه وعابه عليه وذهب إلى انها لام كي[20].

اما الاتجاه الثاني في تفسيره فيتناول بيان معاني المفردات التي تحتاج الى شرح وايضاح . وفي كتب التفسير أمثلة كثيرة من هذا . فقد قال مثلا في قوله تعالى «وَيْلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَة[21]» «ان الهمزة هو الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ ، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بيده ورأسه وبحاجبه»[22].

وفي قوله تعالى «ليسَ لهمْ إلاَّ طعامٌ منْ ضَريع»[23]. قال ابن كيسان «هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه ، فسمّي بذلك لأن آكله يضرع في ان يعفى منه لكراهته وخشونته»[24].

وفي بيان معاني اللام في قوله تعالى «ارجع اليهم فلنأتينّهم بجنودٍ لا قِبَلَ لهم بها ولنخرجنهم أذلةً وهُمْ صاغرون»[25]. قال النحّاس : سمعت ابن كيسان يقول : هي لام توكيد ولام أمر ولام خفض ، وهذا قول الحُذّاق من النحويين لأنهم يردون الشيء الى اصله ، وهذا لا ينشأ إلاّ لمن دُرِّب في العربية»[26].

---

(١٩) سورة التوبة / الآية ١٢٢ .

(٢٠) ينظر منار الهدى : ٢٢٨ ، وفي اعراب القرآن للنحاس ٦٧/١ ما هو قريب من هذا فقال في قوله تعالى «وامرنا لنسلم لرب العالمين» سمعت ابا الحسن بن كيسان يقول هي لام الخفض ، واللامات كلها ثلاثة : لام خفض ولام توكيد ولام امر لا يخرج شيء عنها» . وفي فتح القدير في الحديث عن قوله تعالى «ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة» .

(٢١) سورة الغاشية /الآية ٦ .

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٠/٢٠ ، وينظر : فتح الغدير : ٤٢٩/٥ .

(٢٣) سورة النحل / الآية ٣٧ .

(٢٤) فتح الغدير : ١٣٨/٤ .

(٢٥) سورة ابراهيم / الآية ١٥ .

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن /٣٤٩/٩ .

وفي قولهُ تعالى «واستفتحوا وخابَ كلُّ جبّارٍ عَنيْدٍ»[٢٧] قال ابن كيسان : «العنيد هو الشامخ بأنفه»[٢٨].

وفي قوله تعالى : «والله يَعْلَم مُتقلَّبَكُمْ وَمَثْواكم»[٢٩]، قال ابن كيسان «متقلبكم» من ظهر الى بطن الى الدنيا و «مثواكم» في القبور»[٣٠].

وفي قوله تعالى «اقْتَربتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ»[٣١]، نسب القرطبي الى ابن كيسان ان في هذا تقديما وتأخيرا ، وتقديره : انشق القمر واقتربت الساعة[٣٢]. ويبدو ان ابن كيسان ذهب الى هذا القول لعلة عقلية هي ان انشقاق القمر ايذان باقتراب الساعة او سابق لها . ولست ارى هذا بملزم .

وفي قوله تعالى «الرحمن علَّم القرآنَ خلقَ الانسانَ ، علَّمهُ البَيان»[٣٣]. قال ابن كيسان «الانسان ههنا يراد به محمد ﷺ ،والبيان بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال»[٣٤].

وفي قوله تعالى «ربنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعدَ إذْ هَدَيْتَنا ، وهَبْ لنا من لَدُنْكَ رحْمةً إنَّك انتَ الوهَّاب»[٣٥]. قال ابن كيسان «سألوا ألاّ يَزِيْغوا فَيُزِيغ الله قلوبهم ، نحو : فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم» . أي : ثبّتنا على هدايتك اذ هديتنا وألاّ نَزيغ فنستحق ان تزيغ قلوبنا»[٣٦].

وفي قوله تعالى «يُحِبُّونَهم كحبِّ الله»[٣٧] «قال ابن كيسان والزجّاج

---

(٢٧) سورة ابراهيم / الآية ١٥ .

(٢٨) الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٩/٩ .

(٢٩) سورة محمد / الآية ١٩ .

(٣٠) الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٣/١٦ ، وينظر : فتح الغدير : ٣٦/٥ .

(٣١) سورة القمر / الآية ١ .

(٣٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١٢٧/١٧ .

(٣٣) سورة الرحمن / الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٥٢/١٧ .

(٣٥) سورة آل عمران / الآية ٨ .

(٣٦) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠/٤ .

(٣٧) سورة البقرة / الآية ١٦٥ .

ايضا . بمعنى «يحبونهم كحب الله . اي يسوون بين الاصنام وبين الله تعالى في المحبة .

قال ابو اسحاق : وهذا القول الصحيح والدليل على صحته «والذين آمنو أشدُّ حبّاً لله»[٣٨].

وذهب ابن كيسان الى ان مفرد «الملائكة» «مَلأك» على وزن «فَعْأل» كشمأل فالقيت حركة همزته على اللام وحذفت فلما جُمِع ردّت فوزنه الآن «فعائِل» وهمزته زائدة»[٣٩].

وقال ابن كيسان : «اذا قلت «نَعَمٌ» لم تكن الا للأبل . فاذا قلت : «أنْعَام» وقعت للابل وكل ما يرعى»[٤٠].

وفي قوله تعالى «خَتَمَ اللّهُ على قلوبِهم وعلى سمعهم وعلى أبصارِهم غِشاوةٍ»[٤١] جوّز ابن كيسان : غَشوة ، وغِشْوة ، وغُشوة ، قال وأجودها غِشاوة ، كذلك تستعمل في كل مكان مشتملاً على الشيء نحو عِمامة ، وكِنانة ، وقِلادة ، وعِصابة ، وغير ذلك[٤٢].

كما ذهب ابن كيسان ايضا الى ان جمع «غِشاوة» يكون على «غشاء» بحذف الهاء[٤٣]. ثم قلب الواو همزة لتطرفها بعد الف .

وفي قوله تعالى «الله الذي خلقَ سبعَ سماوات ومِنَ الأرض مثلَهُنَّ يتنزّلُ الأمرُ بينَهنَّ لتعلموا انَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير»[٤٤]. قال ابن كيسان في معرض تفسير الأمر في قوله «يتنزّلُ الأمر بينَهنَّ» «وهذا على مجال اللغة

---

(٣٨) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٤/٢ .

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٤/٢ .

(٤٠) المجيد في اعراب القرآن المجيد : ٣٠/١ ، وينظر في هذا مشكل اعراب القران ق ٧ ب وشرح الشافية : ٣٤٤/٢ .

(٤١) الجامع لاحكام القران : ٣٥/٤ .

(٤٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٩٢/١ .

(٤٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩١/١ .

(٤٤) سورة التحريم / الآية ١٢ .

واتساعها ، كما يقال للموت أمرَ الله ، وللريحِ والسحاب ونحوها»[45].

وفي كتب التفسير مثل ما أوردناه من الامثلة عدد لا يُستهان به مما يفسِّر فيه ابن كيسان مفردات اللغة حسب مقتضى الحال التي وردت فيها فيذكر معناها على اساس من ذلك ومنه قوله «السفه في الناس خفة الحلم»[46].

اما الاتجاه في تفسيره ـ وهو قليل فيما نقل عنه ـ فيتعلق بالاحكام او الاحوال التي تقصد اليها آية معينة فيقول مثلا في قوله تعالى : «فإنْ لم تَفْعلوا ولنْ تَفْعلوا ، فاتَّقوا النار التي وقودُها الناسُ والحِجارةُ أُعدَّتْ للكافرينَ»[47]. «ولن تفعلوا : توفيقاً لهم على انه الحق ، وانهم ليسوا صادقين فيما زعموا من انه كذب وانه مفتري وانه سحر وانه شعر وانه اساطير الاولين ، وهم يدعون العلم ولا يأتون بسورة من مثله»[48].

ومن ذلك ايضا ما ورد في قوله تعالى «يرونهم مثليهم رأيَ العَيْنِ والله يؤيدُ بنصره مَنْ يَشاءُ»[49]، زعم الفرّاء ان المعنى ثلاثة أمثالهم» وقال ابن كيسان ، وقد بيَّنَ الفراء قوله بان قال : كما تقول : عندكَ عبدٌ احتاج إلى مِثله ، فانت محتاج اليه والى مثله وتقول احتجاج الى مثليه[50]، فانت محتاج الى ثلاثة . والمعنى على خلاف ما قال واللغة .

والذي اوقع الفراء في هذا ان المشركين كانوا ثلاثة امثال المؤمنين يوم بدر ، فتوهَّم انه لا يجوز ان يكونوا يرونهم إلاّ على عِدّتهم ، وهذا بعيد وليس المعنى عليه وانما اراهم الله على غير عدتهم لجهتين : احداهما انه رأى الصلاح في ذلك لأن المؤمنين تقوى قلوبهم بذلك . واما في قراءة الياء فقال ابن كيسان : الهاء والميم في «يرونهم» عائدة على «واخرى كافرة» والهاء والميم في

(٤٥) الجامع لأحكام القرآن : ١٧٦/١٨ .

(٤٦) البحر المحيط : ٦٢/١ .

(٤٧) سورة البقرة / الآية ٢٤ .

(٤٨) الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٤/١ .

(٤٩) سورة آل عمران / الآية ١٣ .

«مثليهم عائدة على «فئة تقاتل في سبيل الله» وهذا من الاضمار الذي يدل عليه سياق الكلام ، وهو قوله «يؤيد بنصره من يشاء» فدل ذلك على ان الكافرين كانوا مثلي المسلمين في رأي العين وثلاثة امثالهم في العدد . قال والرؤية هنا لليهود»[51].

ومنه ايضا حديثه عن سبب تقديم لفظ الجلالة في قوله تعالى «بسم الله الرحمن الرحيم» فقد حكي عنه انه قال «انه لقب فلذلك ابتدىء به واتبع بالرحمن لانه يختصه ثم بالرحيم لانه يشاركه فيه غيره»[52].

اما الاتجاه الثالث فيما تناول ابن كيسان من موضوعات الدرس القرآني فيتعلق بالقراءة والوقف لأن له - فيما روى عنه - متابعات في القراءة وكلاما على الوقف من ذلك انه كان «يسمى الاشمام اشارة ، وهو لا يسمع . وكان يسمى الروم اشماما وهو يسمع بصوت خفي»[53].

ومن ذلك ايضا رده اجازة الكسائي حذف الهمزة في قراءة قوله تعالى : «بما انزل اليك»[54]. فقد قال ابن كيسان «ليس مثله لان النون من» لكن «ساكنة واللام من» انزل «متحركة»[55].

وقد تابع الحسن البصري في قراءته «ليقتلونك بدلا من ليزلقونك في قوله تعالى «وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون»[56]. كما تابع قراءة حمزة قوله تعالى «فازالهما الشيطان عنها»[57] بدلا من قراءة الجمهور «فأزلَّهما» وأزالهما عنده من الزَّوال ، «أي : صرفهما عمّا كانا

---

(٥٠) قال الفرّاء في معاني القرآن : ١٩٤/١ : مثلي عبدي فانت الى ثلاثة محتاج .

(٥١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٧/٤ .

(٥٢) التبيان في علوم القرآن : ٢٧ .

(٥٣) مشكل اعراب القرآن : ق ٥ ب . والاشمام عند الخليل وسيبويه للرؤية وليس للسمع ينظر الكتاب : ٢٨٣/٢ .

(٥٤٣) سورة الرعد / الآية ١٣ .

(٥٥) سورة الكهف / الآية ١٨ .

(٥٦) اعراب القرآن : ٤/١ آ .

(٥٧) سورة القلم / الآية ٥١ .

عليه من الطاعة الى المعصية»[٥٨].

أمّا في الوقف فقد وردتْ عنه في كتب التفسير واللغة بضعة نقول ، تناولت عدداً من المسائل منها :

١ ـ الوقف على لاتَ :

ذهب ابن كيسان الى أنَّ الوقف على «لات» في قوله تعالى «ولاتَ حينَ مَناص» بالتاء[٥٩]، لأنها مضافة فهي متوسطة ابدا[٦٠].

٢ ـ الوقف على المنصوب المنوَّنِ بالألف :

ذهب ابن كيسان الى ان الوقف على المنصوب اذا كان (منوناً)[٦١] بالالف نحو : رأيتُ زيدا . ولا يوقف على المرفوع بالواو لثقلها ، ولا يوقف على المخفوض بالياء لئلا يلتبس بانه مضاف الى المتكلم[٦٢].

٣ ـ الوقف على تاء التأنيث في الأسماء :

يُوَقَفُ على تاء التأنيث الفعلية تاء واما الاسمية فاختلف في اصلها ، فذهب سيبويه والفراء وابن كيسان إلى أنَّها أصل كما في الفعل إلاّ انها في الوقف «هاءٌ» واعتلُّوا لذلك بالتفريق بين التاء الفعلية والاسمية ، او بين الاسمية التي للتأنيث كـ «عَفْرِيَة» والتي لغيره كما في «عفريت» و «عنكبوت»[٦٣].

٤ ـ الوقف على كأين :

ذهب البصريون الى حذف نون «كأين» في الوقف وذهب ابن كيسان الى انه باقرار النون وتابعه ابن خروف في هذا[٦٤].

---

(٥٨) الجامع لأحكام القرآن : ٣١١/١ .

(٥٩) المجيد في اعراب القرآن المجيد : ٢٨ ق ، ٢٣٣آ وينظر الجنى الواني : ٤٢٧ والبحر المحيط ٣٤٤/٧ .

(٦٠) ينظر شرح التصريح : ٣٤٤/٢ .

(٦١) الكلمة في النص مطموسة الحروف وقد اثبت الكلمة بدلالة السياق .

(٦٢) ينظر الموفق : ٣ .

(٦٣) ينظر : شرح الشافية : ٢٨٨/٢ .

(٦٤) ينظر ارتشاف الضرب : ق ٦٦آ .

٥ ـ ألف المقصور المنون في الوقف :

اذا وقفت على المقصور المنون وقفت في الاحوال الثلاث على الالف ، وقد اختلفوا في تقدير هذه الالف فرويَ ان ابن كيسان كان يتابع ابا عمرو بن العلاء والكسائي في ان الالف الموقوف عليها هي الالف الاصلية التي هي لام الكلمة المنقلبة عن الواو او الياء في مثل : «عَصَوٍ» و «فَتَيٍ» وعلى هذا القول ابو سعيد السيرافي وابن برهان . واحتجُّوا لصحته بان الالف قد وقعت رويا في قول الشَّمَّاخ :

وربَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الحيَّ سُرى صادَفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

فألف «سُرى» هي الروي ، والالف المبدلة من التنوين في النصب اذا وقفت عليها لا تكون رويا فلا يقع في القوافي مثل : نظرت زيدا في آخر بيت . لكن ذهب الفراء وابو عثمان المازني وابو علي الفارسي الى ان الوقف في الاحوال الثلاث على الالف المبدلة من التنوين والاصلية محذوفة للقائها المبدلة من التنوين . اما سيبويه وبقية النحويين فذهبوا الى ان الالف في حال الوقف في الرفع والجر هي الاصلية ، وفي النصب هي المبدلة من التنوين والاصلية محذوفة للقاء هذه المبدلة من التنوين[٦٥].

وجميع هذه التوجيهات تبق افتراضا محضا لا دليل عليه ، وجدلا عقيما لا جدوى منه .

٢ ـ في اللغـــة

لم يقتصر انشاط ابن كيسان ـ فيما نحسبه يتعلق بالدرس اللغوي ـ على ما ذكرنا من تفسيره القرآن وتناوله بعض المسائل اللغوية في اثنائه ، فقد حملت الينا المعجمات العربية وبعض شروح الشعر طائفة من اقواله مما يساعد على تبين حدود الصورة التي كان عليها نشاطه اللغوي وان كانت ـ فيما

---

(٦٥) ينظر الكتاب : ٢/٢٩٠ .

احسب - لا تنهض بتكوين منهج واضح السمات والمعالم في النظر الى اللغة وطبيعة تناول موضوعاتها المتعددة الجوانب . فيمكن القول : اننا لا نلمح منهجا مميزا لابن كيسان من غيره من علماء اللغة ودارسيها لقصور المادة التي بين ايدينا وتشتت روايتها ، فلم يصل الينا من كتبه اللغوية ما يجعلنا نُلِمُّ بجوانب درسه اللّغوي ويضع ايدينا على منهج متكامل له فيه .

اما ما حملته المعجمات فالغالب فيه تناول مفردات اللغة بالشرح والتوضيح . وقد تجد هنا وهناك عددا من التوجيهات اللغوية التي تدل على اهتمام ابن كيسان بالدرس اللغوي .

اما الموضوعات التي تناولها بالدرس فيما وصل الينا من نقول عنه فمنه ماله علاقة بدراسة الاصوات اللغوية ، ومنه ماله علاقة ببنية الكلمة ، وشرحها ، وسنقف فيما يأتي على آرائه واقواله في ذلك .

أ - آراؤه في الاصوات اللغوية :

ليس بخاف ان الخليل بن احمد كان اول من فتح باب الدراسات الصوتية وابتدع منهجا جديدا في النظر الى اللغة ودراسة طبيعة اصواتها ، وخصائص العلاقات التركيبية لحروف مفرداتها ، وبهذا نقلها من النظر الذوقي المعتمد الاحساس المحض الى الدرس القائم على المنهج العلمي الاستقرائي . وقد استطاع الخليل بما اوتي من توقد في الذهن وسعة في الاطلاع ان يصل الى نتائج في هذا الميدان تقرب او تكاد من الكمال والاحاطة ، لذا نحا العلماء الذين اعقبوه نحوه وتأثروا بما جاء به ، فتناولوا ماتناوله سالكين المنهج ذاته ، وما أحسب هؤلاء خرجوا عن دائرته الا في يسير من التوجيهات التي اذا ما انعم الباحث النظر فيها جيدا لم يجد ما يشذّ عمّا صدر عن الخليل .

وابن كيسان كغيره من هؤلاء العلماء حينما ولج هذا الباب قفّى الخليل ولم يذهب بعيدا فكان اثره بينا فيما عمل . وحسبنا ان ننظر فيما درس من الحروف لينكشف لنا هذا الزعم .

انواع الحروف :

تابع ابن كيسان الخليل وسيبويه حين قسم الحروف قسمين مجهورا ومهموسا ، والمجهور والمهموس كلاهما يمكن ان يكون شديدا او رخوا[66].

واكتفى ابن كيسان بهذا في تقسيمه الحروف فلم يفصِّل القول فيه وربما كان فعل ولم يحفظ له ، لأنَّ الذي وصل الينا من حديثه يتناول المجهور والمهموس حسب .

أ ـ المجهور :

الحرف المجهور عنده «ما لزم موضعه الى انقضاء حروفه وحبس النفس ان يجري معه ، فصار مجهوراً لانه لم يخالطْه شيء يغيره»[67]. والحروف المجهورة تبعاً لهذا الحدّ تسعة عشر حرفاً مرتبة كالآتي : الالف والعين ، والقاف ، والجيم ، والباء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، والزاي ، والظاء ، والذال ، والميم ، والواو ، والهمزة ، والياء»[68].

واذا نظرنا في حده الحرف المجهور وجدناه لا يخلو من الاضطراب ، فلم يكن ابن كيسان دقيقا فيه لان قوله «ما لزم موضعه الى انقضاء حروفه» فيه من التَّسمُّح ما قد يوهِمُ بان المراد به كلمة مجهورة لا حرف مجهور ، فكان الانسب ان يقول : الى انقضاء صوته بدلا من حروفه لان الصوت غير الحرف . واذا وازنا حدَّه هذا بحدِّ الحرف المجهور عند سيبويه وجدنا سيبويه اقرب الى طبيعة اخراج صوت الحرف ، فالمجهور عنده «حرف اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»[69].

وان كان هذا التعريف كغيره لا يخلو من مآخذ لدى التطبيق كما سيأتي بيانه .

---

(٦٦) ينظر لسان العرب : ١٣/١ ، باب القاب الحروف و ١٣/٣ باب الخاء .

(٦٧) لسان العرب : ١٣/١ رأي الخليل وسيبويه في الكتاب ٢٥٣/٢ .

(٦٨) لسان العرب : ١٣/١ .

(٦٩) الكتاب : ٤٠٥/٢ .

ب ـ المهموس :

الحرف المهموس عند ابن كيسان «حرف لانَّ مخرجه دون المجهور وجرى معه النفس ، وكان دون المجهور في وقع الصوت»[٧٠].

والظاهر انه كان يتابع سيبويه في هذا مع خلاف يسير ، لان الحرف المهموس عند سيبويه «حرف أُضعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفس معه»[٧١].

اما ترتيب الحروف المهموسة وهي عشرة أحرف عند ابن كيسان فكان على النحو الآتي : الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والسين ، والتاء ، والصاد ، والثاء ، والفاء[٧٢]، ونسب الدكتور المخزومي هذا الحد مع ترتيب الحروف الى الخليل بن احمد[٧٣].

واذا ما وازنا بين ترتيب سيبويه الحروف المجهورة والمهموسة وترتيب ابن كيسان اياها وجدنا ابن كيسان يختلف معه في الاولى ويتابعه في الثانية[٧٤]. كما ان ابن كيسان وضع الهمزة قبل الياء التي هي اخر الحروف المجهورة عنده فقد رتب الحروف المجهورة الاخيرة كما يأتي :

الميم ، والهمزة ، والياء ، وترتيبها عند سيبويه على النحو الآتي :

الياء ، والميم ، والواو ، وربما كان هذا الاختلاف من فعل نقله كلامه او النساخ الا ان حصوله ليس بمستبعد فالاختلاف في هذا موجود عند غيرهما ، وليس ذلك بالغريب لان معيار تحديد الترتيب قائم عندهم على اختبار صوتي بسيط .

(٧٠) لسان العرب : ١٣/١ .

(٧١) الكتاب : ٤٠٥/٢ .

(٧٢) لسان العرب : ١٣/١ .

(٧٣) ينظر الخليل بن احمد : ١١٣ ، وقد احال على لسان العرب / حرف الهاء ولم اجده فيه منسوبا الى الخليل .

(٧٤) ينظر ترتيب سيبويه في الكتاب : ٤٠٥/٢ .

ويبدو ان ابن كيسان نظر في ترتيبها الى مخارجها كما عمل الخليل . فجعل الابعد في المخرج متقدما في الترتيب ، وعلى هذا فالالف عنده ابعد مخرجا من العين فقد وضع العين تالية الالف وهو بهذا يخالف الظاهر[٧٥] من ترتيب الخليل[٧٦] وترتيب سيبويه الذي جعل الهمزة اول الحروف مخرجا . واغلب الظن ان الذي حدا بابن كيسان الى وضع الالف في اول الحروف ان التصويت بها يشغل العمود الهوائي الذي يسلكه الصوت بأجمعه دون ان يكون هناك اعتماد واضح يرتكز في نقطة بذاتها من المجرى الهوائي ، وقد قال الخليل «الواو والياء والالف اللينة والهمزة سميت جوفا لانها تخرج من الجوف فلا تخرج في مدرجة من مدارج الحلق ولا مدارج اللهاة ولا مدارج اللسان وهي في الهواء فليس لها حيز تنسب اليه الا الجوف ، وكان يقول الالف اللينة والواو والياء هوائية اي انها في الهواء»[٧٦].

واذا كان الصواب قد حالف ابن كيسان في هذا فانه قد جانبه حين وضع الهمزة والياء في اخر الحروف المجهورة ، فالهمزة عند سيبويه هي الحرف الاول . واذا لم تكن كذلك فهي على اية حال من الحروف المتقدمة المخرج وهذا واضح عند التصويت بها . فما كان لابن كيسان حق في تأخيرها[٧٧].

ووضع سيبويه الياء بعد الجيم وانتهى بالميم والواو وهي آخر حروف الشفة اما ابن كيسان فقد وضعها بعد الميمَ والواو والهمزة . وربما احتجَّ

---

(٧٥) قلنا «الظاهر من ترتيب الخليل» لأن الخليل جعل العين اولا للتأليف لا لأنها اول الحروف وإنما لم يجعل الهمزة اولا لأنها عنده حرف مضغوط مهتوت اذا رفه عنه انقلب الفا او واوا او ياء وكان يقول «واما الهمزة فمخرجها من اقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فاذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف (كتاب العين / المقدمة) . وسيمر بنا بعد قليل ما يؤيد هذا من اعتذار ابن كيسان عن عدم ابتداء الخليل بالهاء .

(٧٦) لسان العرب : ١٣/١ .

(٧٧) قال الدكتور المخزومي تعليقا على الموضوع «الياء التي وضعها سيبويه غير الياء التي جعلها ابن كيسان مع الواو ، فالياء الشجرية هي الياء الصحيحة اما الياء التي اشار اليها ابن كيسان فهي الياء التي هي مد كالواو الممدودة والالف ولم اوفق الى معرفة مصدر هذا التفريق او سببه لأني لم اجد ما يشير اليه فلم اخذ به .

لتأخيره اياها بكون الواو والياء من حروف العلة وبأنَّ الهمزة حرف قلق لا يثبت على حال . إلاّ أنَّ ذلك مردود بجعله الالف اولاً للحروف مع انه من جنس هذه التي أخَّرَها . ويبدو انه وضع حرف الواو في موضعه الطبيعي لوضوح ذم الشفتين عند اخراجه ، واضطرب ابن كيسان في تحديد موقع الالف والياء لأن تدخل اللسان والشفتين في اخراجها لا يكاد يظهر .

واذا كان من الجديد في ترتيب سيبويه الحروف اعتبار الهاء قبل العين كما جاء في ترتيب الحروف في الكتاب فالظاهر ان ابن كيسان اخذ بهذا وان كنا لم نطلع على ترتيبه الحروف مجتمعة الا أنه وضع الهاء في اول الحروف المهموسة ، ويعزز هذا اعتذاره عن عدم ابتداء الخليل بها قوله «سمعت من يذكر عن الخليل انه قال : لم ابدأ بالهمزة ، لانها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالالف ، لانها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل الا زائدة او مبدلة ، ولا بالهاء ، لانها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت الى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين انصع الحرفين ، فابتدأت به ليكون احسن في التأليف وليس العلم بتقدم شيء على شيء ، لانه كله مما يحتاج الى معرفته فبأي بدأت كان حسنا ، واولاها بالتقديم اكثرها تصرفا»[٧٨]. وهو بهذا ينبه الى ان سيبويه لم يكن سبق الخليل في الاهتداء الى تقدم الهاء على العين كما قد يتوهم وان ليس لسيبويه في الاصوات رأي يخالف الخليل .

وعند النظر في تقسيم الحروف بين مجهور ومهموس سواء عند سيبويه او ابن كيسان او غيرهما من اللغويين القدماء والمحدثين الذين تناولوا هذا الموضوع بالدرس نجد ثمة اضطراباً واضحا في تقسيمهم إيّاها إذا اعتمدنا الحدود التي اعتمدوها واختبرناها حسب المقاييس التي وضعوها للوصول الى معرفة طبيعية الحرف لالحاقه بقسمه ، فالخليل وسيبويه وابن كيسان وسواهم من العلماء اتفقوا على ان ما يميز الحرف المجهور من المهموس هو انحباس

(٧٨) المزهر ١/٩٠ .

النفس عند التصويت به كما مر بنا . وللتصويت بالحرف كان لابد «ان تأتي به ساكنا لا متحركا لان الحركة تعلُق الحرف عن موضعه ومستقرُه وتجتذبه الى جهة الحرف الذي هي بعضه»[79]. ووصولاً الى النطق بالحرف ساكنا كان الخليل يبدأ «بالهمزة المفتوحة لان الفتحة اسهل الحركات واخفها فكان يفتح فاه بالهمزة ويقف على الساكن فيقول مثلا : أ ب ، أ ت ..[80]» .

اما ابن جني ففعل مثل هذا الا انه كان يكسر الهمزة قال «وسبيلك اذا اردت اختبار صدى الحرف ان تأتي به ساكنا لا متحركا .. ثم تدخل عليها همزة الوصل مكسورة من قبله لان الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول : إك ، إق ، إج وكذلك سائر الحروف»[81]. فاذا طبّقنا هذا ـ ولا ارى فارقا بين فتح الهمزة وكسرها ـ على الحروف التي عدوها مجهورة او على تلك التي سمّوها مهموسة نجد ان بعض هذه الحروف ليس في موضعه الصحيح من هذا التقسيم ، فالزاي واللام ، والراء ، والميم والنون احرف لا ينحبس النفس معها عند التصويت بها مع الهمزة غير انهم وضعوها في المجهور ، وكان حقُّها ان توضع في المهموس ، لان النفس لا ينحبس عند النطق بها . كما ذكرت ، ولانه يمكنك تكرير الحرف مع جرى الصوت[82]، في حين ان الكاف مثلا وضع مع الاحرف المهموسة مع ان النفس ينحبس عند التصويت به .

والظاهر ان سبب هذا الخلط يرجع الى بساطة المقياس الذي اعتمدوه في تقرير صفة الحروف . ويبدو كذلك ان التعريف الذي اعتمدوه للمجهور والمهموس ليس دقيقا واحسب القدماء كانوا يخلطون بين المجهور والشديد فقد يكون المجهور شديدا والشدة هي المعنية بانحباس النفس ، وقد يكون رخوا وقد يكون بين بين .

---

(٧٩) سر صناعة الاعراب : ٧/١ .

(٨٠) كتاب العين / المقدمة : ٥٢ ، الخليل بن احمد : ١٠٩ .

(٨١) سر صناعة الاعراب : ٧/١ .

(٨٢) جعل ابن جني تكرير الحرف دليلا على ان الحرف مهموس . ينظر : سر صناعة الاعراب : ٦٩ ولسان العرب / همس .

اما الدارسون المحدثون فقد خالفوا القدماء في تحديد صفة بعض الحروف ولعل مرد ذلك يرجع الى مخالفة هؤلاء عن اولئك في حد الحرف المجهور والمهموس وفي مقاييس اختبار معرفة طبيعة الاصوات فالاصوات المجهورة عند المحدثين هي التي تَئِزُّ الأوتار عند النطق بها والمهموسة هي التي لا نزيز للاوتار الصوتية فيها[٨٣]. اما مقاييس الاختبار فيما ذكر الدكتور ابراهيم انيس فهي كالاتي :

١ ـ اختبار من منطقة الحنجرة بوضع الاصبع فوق تفاحة آدم ثم ينطق بصوت الحرف ساكنا وعند ذلك يشعر باهتزاز الوترين الصوتيين .

٢ ـ وضع الاصبع في الاذن ثم النطق بالحرف فيرنُّ الصوت في الرأس .

٣ ـ وضع الكف فوق الجبهة في اثناء النطق بالصوت فيشعر برنين الصوت .

ومن هنا كان اختلافهم عن القدماء في تقسيم الحروف ، فقد جعلوا «القاف والطاء» مع الحروف المهموسة[٨٤] على حين ذكرهما الخليل وسيبويه وابن كيسان مع المجهورة . واشار المستشرق «كانتينو» الى استنكار بعض الباحثين لعد الهمزة والقاف والطاء ـ وهي حروف مهموسة ـ بين الحروف المجهورة وزعم ان هذا الاعتراض ليس له قيمة حقيقية[٨٥]. ودفع بان القاف والطاء ربما كانا في الاول حرفين مجهورين في قسم من اقسام العربية القديمة في الاقل ، واما الهمزة فمن الممكن ان يكون اتصالها المتواتر بالالف قد جعلهم يعتبرونها خطأ مجهورة»[٨٦].

والذي يبدو لي ان ما دفع به «كانتينو» ليس مقبولا لاننا لو اجرينا اختبارا لهذه الاحرف معتمدين اسس القدماء او المحدثين لوجدنا انها حروف

---

(٨٣) ينظر دروس في علم اصوات العربية : ٢٥ ، في الحقيقة ليس هناك فرق كبير بين هذه المقاييس ومقاييس الاقدمين الا ان بساطتها قد تؤدي الى عدم الدقة .

(٨٤) الاصوات اللغوية : ٢١ ، وفي النحو العربي : ٨ .

(٨٥) ينظر دروس في علم اصوات العربية : ٣٥ .

(٨٦) دروس في علم اصوات العربية : ٣٥ .

مجهورة سواء بانحباس النفس او بالرنين الذي تحدثه في الرأس عند التصويت بها .

مخارج الحروف :

نص سيبويه على ان «لحروف العربية ستة عشر مخرجا»[٨٧] اما ابن كيسان وقطربا والجرمي والفراء فعدّوها اربعة عشر مخرجا[٨٨].

واشار السيوطي الى موضع الخلاف بينهم وبين سيبويه فذكر انه مخرج اللام والنون والراء . فهو عند هؤلاء مخرج واحد وعند الخليل ومن وافقه ثلاثة مخارج[٨٩].

والظاهر انهم وهموا فيما ذهبوا اليه وان القول بما ذهب اليه السيوطي من ان «لكل حرف مخرجا على حدة»[٩٠] اولى ، فمن غير الممكن في عملية التصويت ان يشترك حرفان بمخرج واحد . وقد يعترض معترض بان المقصود بالمخارج هنا الأحياز والحيِّز قد يحوي اكثر من مخرج واحد ولا قيمة لاعتراض السيوطي تبعا لذلك ، الا ان هذا الاعتراض مردود بان الخليل نص على ان الاحياز تسعة فقط[٩١]، وسماها باسمائها ، واحسب ان هذا الاختلاف فيما بينهم متأت من اضطراب المصطلح عندهم .

أثر مخارج الحروف وحركاتها في توجيه عدد من المفردات :

ذهب ابن كيسان في عدد من توجيهاته الى الاخذ بالعلة الصوتية فهو لا يرى بأسا في انتقال حرف الى حرف آخر مع بقاء المعنى اذا كان قريبا منه في المخرج فظاهر بعض ما نقل عنه يوحي بهذا . ومن امثلة ذلك .

١ ـ قوله «كان في نسختنا «أَوْقَاسُ» بالقاف والسين غير معجمة

---

(٨٧) الكتاب : ٤٠٥/١ .

(٨٨) الكتاب : ٤٠٥/١ .

(٨٩) ينظر همع الهوامع : ٢٢٨/٢ .

(٩٠) همع الهوامع : ٢٢٨/٢ .

(٩١) ينظر كتاب العين / المقدمة : ٦٥ .

فغيّره أبو العباس فجعله بالفاء والشين معجمة . ووجدته في غير نسخة بالقاف والسين واحسبها جميعا يصحان في معنى واحـد . وهو مثل الأوْباش . قال أبو الحسن : احسب ابا العباس انما حمل هذا على ان الباء والفـاء يعتقبان فجعـل أوْباشا وأوْفاشا سواء . وانني الأوْفَاس البتة وكانت في جماعة نسخ»[٩٢].

ومنه قوله «قد سمعـت انا» الازابع «وهما (يعـني الأزَابِع والأزَامِع) مما جاء بالباء والميم كما قيل : ما هوَ بضربةِ لازمٍ ولا زبٍ»[٩٣]. كذلك ذهابه الى أنَّ اصل «أمْ» هو «أوْ» وابدِلتْ واوها ميا فتحولت إلى معنى يزيد على معنى «أو» .

وابن كيسان كذلك يرى جواز تحريك الحـرف السـاكن في الكلمة اذا كان حرفاً حلقياً ولا يجيزه فيما لم يكن حـرف حلق . قال «اما ثاناء والسَّحَناء فانما حركتا لمكان حرف الحلق ، كما يسوغ التحريك في مثل : النَهَر والشَعَر . قال : وفَرَماء ليست فيه هذه العلة»[٩٤].

ومن ذلك انه سئل عن «أيّام» لم ذهبت الواو فاجاب : «انَّ كلَّ ياءٍ و «واو» سبق احـدهما الآخـر بسكون فان «الواو» تصير «ياء» في ذلك الموضـع وتدغم احداهما في الاخرى . من ذلك «أيّام» اصلها «أيْوام» ومثلهـا «سيِّد» و «ميِّت» الاصـل : سَـيْود وَميْوت ، فاكثر الكلام على هذا إلاّ حـرفين صَـيُوب وحَيْوة ولو اعلوهما لقـالوا : صَـيِّب وحيَّة . واما الواو اذا سبقت فقـولك : لويته ليَّاً ، وشويته شَيًّا ، شيا ، والاصل شَوْيا ولَوْيا»[٩٥].

الهمزة والالف في الحرف الذي يسمى 'لا' أيهما الاصل :

نقـل السـيوطي ان الفـراء كان يذهب الى ان الهمزة هي الاصـل والالف السـاكنة هي الهمزة ترك همزها وان ابن كيسـان كان يذهب الى ان

---

(٩٢) تهذيب الالفاظ / الهامش : ٣٨ .

(٩٣) تهذيب الالفاظ / الهامش / ٤٣٣ .

(٩٤) همع الهوامع : ١٣٢/٢ ، وينظر الجنى الواني : ٢٠٩ .

(٩٥) تهذيب اللغة : ٦٤٦/١٥ .

الالف هي الاصل[96].

وهذا الكلام - فيما احسب - لا يقوم على اساس لأن الهمزة صوت والالف صوت آخر ، ومن التحكم الذي لا مسوغ له ان يقال : هذا اصل دون ذاك او ذاك اصل دون هذا .

اداة التعريف :

اختلف العلماء في تحديد اداة التعريف على مذهبين :

اولهما : ما ذهب اليه الخليل من انها «ال» بأجمعها فهي حرف ثنائي بمنزلة «قد» قال «الحرف الذي تعرف به الاسماء هو الحرف الذي في قولك : القوم والرجل والناس وانما هما حرف بمنزلة قولك «قد»[97] وعند ذكر عدة ما يكون عليه الكلم وفي الكلام على الثنائيات قال «وأل تعرف الاسم في قولك : القوم والرجل»[98].

وقد تابع ابن كيسان هذا المذهب فقال «الالف التي مع اللام بمنزلة «قد» وحكمها حكم الف القطع لانها حرفان جاء المعنى وانها وصلت لكثرة الاستعمال فلهذا ابتدأت بالفتح»[99].

وثانيهما : انها اللام «ونسبه المغاربة الى جميع النحويين عدا ابن كيسان[100] «ونسبه السيوطي الى سيبويه وليس كذلك فقد ورد في عدة مواضع من الكتاب ما يدل على ان «ال» برمتها اداة التعريف من ذلك قوله «وتقول سيفعل ذلك وسوف يفعل ذلك ، فتلحقها هذين الحرفين لمعنى كما تلحق الالف واللام الاسماء للمعرفة» . وهذا يبين ان سيبويه كان يتابع الخليل في اعتماد «ال» برمتها اداة للتعريف ويخالفه في فكها وان ابن كيسان تابع الخليل في اعتماده أداة

(٩٦) ينظر همع الهوامع : ٦٩/٢ .

(٩٧) الكتاب : ٢٧٢/٢ .

(٩٨) الكتاب : ٣٠٨/٢ .

(٩٩) اعراب القرآن : ١/٣٢آ وينظر المطالع السعيدة : ٧٦ .

(١٠٠) شرح التسهيل : ٢٧٤ وورد في مشكل اعراب القرآن : ق ٢١ ب ما يوحي بان ابن كيسان يعد اللام اداة للتعريف بمفردها . قال «وقال ابن كيسان الف الله وكل الف مع لام التعريف الف قطع بمنزلة «قد» واحسب ان هذا يرجع الى عدم الدقة في التعبير .

للتعريف وفي عدم فكها .

همزة 'أل' أوصل هي أم قطع ؟ :

اختلفوا في هذا تبعا لاختلافهم في تحديد اداة التعريف على مذهبين :
الاول انها همزة قطع ، حكاه المرادي عن المغاربة منسوبا لابن كيسان[101].
وحكى ابن عصفور ان ابن كيسان ذهب الى ان «الهمزة التي مع لام التعريف همزة قطع الا أنها حذفت تخفيفا ، واستدل على ذلك بكثرة دورانها في اوائل الأنصاف»[102]. يعني بذلك انصاف الابيات في الشعر . ورد بن عصفور ذلك بان القطع في اوائل الانصاف ليس بخاص مع لام التعريف[103]

والثاني انها همزة وصل اجتلبت للابتداء بالساكن وفتحت على خلاف سائر همزات الوصل تخفيفا لكثرة دورها على الالسن ونقله ابو حيان عن جميع النحويين الا ابن كيسان[104]. وضعف هذا المذهب بيِّنٌ واثر التكلف فيه واضح اذ لا موجب له ولا دليل عليه خاصة اذا عرفنا ان الثنائية في التعريف عرفت في بعض اللغات السامية كالهاء والالف (هـا) في اللغة العبرية .

ب في بنية الكلمة :

الضمــير :

اختلف النحاة في الجزء الدّال على الضمير من الالفاظ التي اصطلح على انها الضمائر المنفصلة ، وقد جرُّهم الى هذا الاختلاف ـ كما يبدو ـ ولعهم بالبحث في الاجزاء ومعاملة الدرس النحوي على اساس من النظر في الكلمة المفردة دون تقصِّيها في الاستعمال والاساليب وهذا ـ بلا شك ـ أثر من آثار الجدل والفلسفة . ثم قادهم ما ذكرته من خلاف الى إيراد علل ومحاكمات

---

(١٠١) شرح التسهيل : ٢٧٤ ، وينظر مشكل اعراب القرآن : ق ٢١ ب والجنى الداني ١٥٦ .
(١٠٢) شرح الجمل : ٤٥٠/٢ .
(١٠٣) ينظر شرح الجمل : ٤٥٥/٢ .
(١٠٤) ينظر شرح الجمل : ٤٥/٢ .

تشبه ـ الى حد بعيد ـ علل المناطقة ومحاكمات أهل الجدل وهي في الدرس النحوي ما كانت بمغنية إيّاه في شيء لان العلاقة بين اساليب الكلام هي هي لا يزيدها ولا ينقصها ما تمحله النحاة .

وانا اذ اضطر الى ذكر بعضها فيما سأتحدث عنه من الضمائر فانما أفعل ذلك لتبيان آراء ابن كيسان في هذا الباب ، فهو من ابرز اللغويين الذين كان لهم رأي فيه ، فقد نقلت عنه كتب النحو جملة آراء في بنية الضمائر اوردها فيما يأتي :-

١ - الضمير في 'أنْتَ' :

ذهب سيبويه كما يدل عليه ظاهر كلامه الى ان «أنْتَ» ضمير بتمامه فقد ورد في الكتاب قوله «وأمّا المضمر المخاطب فعلامته ان كان واحدا أنت»[١٠٥]. ونسبوا الى الفرّاء مثل هذا الرأي[١٠٦].

وذهب البصريون الى أنَّ «أنْ» هي الضمير والحروف اللاحقة لها تأتي لتوجيه الضمير للمفرد والمثنى والجمع مذكرا كان او مؤنثا[١٠٧].

وانفرد ابن كيسان بعدِّهِ التاء هي الضمير وانها هي نفسها التي في «فعلتُ» وكثرت بـ «أنْ»[١٠٨] اما الزوائد التي تلحقها «فالنون للتأنيث ، والميم في انتما وانتمو زائدة للتقوية ، والالف للتثنية والواو في انتمو للجمع»[١٠٩]. وقد رُدَّ هذا التوجيه «بان التاء على ما ذكر للمتكلم وهو مناف للخطاب»[١١٠].

ولست أرى في هذا الرد الذي اورده السيوطي حقا كبيرا لان ابن كيسان لم يخصص تاء المتكلم دون غيرها ولكنه كنى بها عن اخواتها ، ومع هذا فنحن اذا ما انعمنا النظر في كلام ابن كيسان لم تحصل لنا القناعة بما اورد من

(١٠٥) الكتاب ٣٧٧/١ .

(١٠٦) ينظر حاشية الصبان : ١١٤/١ .

(١٠٧) ينظر همع الهوامع : ٦/١ والجنى الوافي ١٠٠ .

(١٠٨) تنظر حاشية الصبان : ١١٤/١ ، وشرح التصريح ١٠٣/١ والجنى الداني ١٠٠ .

(١٠٩) شرح التسهيل : ١٥٠ .

(١١٠) همع الهوامع : ١٦٠/١ .

تعليلات لأنها تسقط جميعها اذا ما جرينا معه في منهجه التعليلي ، فقد يعوزه الجواب حين يسأل لماذا جيء بـ «أنْ» للتكثير دون سواها ؟ وما الحاجة الى تكثير التاء اذا اتصل بميم التقوية والف الاثنين وواو الجمع ونون النسوة لانها كثّرت بها وصار النطق بها ممكنا كما هي الحال في اسنادها الى الفعل الماضي ، وعلى هذا كان ينبغي للضمير ان يكون «تُمَا» و «تُمو» و «تُنَّ» الا ان هذا لم يحصل ، ومن هنا كانت دعوى التكثير بـ «ان» دعوى لا دليل على صحتها ، اضف الى هذا ان المعللين لم يتبينوا سبب حذف «ميم» التقوية مع نون النسوة فان العرب لم يقولوا «أنْتُمنَ» كما قالوا «أنتمْ» .

وحاصل القول ان هذا يبين لنا خطأ ما اعتلَّ به ابن كيسان ، كما يظهر لنا تكلفه فيما لا موجب فيه لتكلف .

واحسب ان الميم التي حسبها ابن كيسان للتقوية ما هي الا علامة جمع وهي ما زالت تستعمل في العبرية .

ولعل ما يؤيد هذا ان الضمير «انتم» يكون في الاغلبّ مبنيا على السكون فاذا قيل : كيف أضيفت الف الاثنين الى «ميم» الجمع ؟ قلت ربما كانت العربية قد جنحت بفعل تطورها الى اضافة الف التثنية تميزا للمثنى من الجمع ، وربما اضافوا «الواو» الدالة على الجمع عند من يلفظ الضمير بضم الميم ، في حين نجد ان «الميم» علامة تثنية وجمع في العبرية ، فليس في العبرية علامة تثنية الا في عدد محدود من الكلمات .

ومن هنا ايضا يأتي تفسيرنا لعدم ورود ما سماه ابن كيسان «ميم التقوية» مع نون الاناث لأن نون الاناث دالة بنفسها على جمع الاناث فلا حاجة بها الى ميم الجمع .

٢ - الضمير في 'هو' و 'هي' :

قال سيبويه «اما المضمر المحدَّث عنه فعلامته «هُوَ» وان كان مؤنثا فعلامته «هيَ»»[١١١] اي ان «هو» و «هي» اصل عنده وهو مذهب جمهور البصريين

فقد عدوهما اصلا وعدوا الميم والالف والنون في المثنى والجمع زوائد"[112]. وعدها ابو علي الفارسي اصولا جميعها فلا زيادة"[113]. ونسب السيوطي[114] الى الكوفيين والزجاج وابن كيسان ان الهاء فقط هي الضمير «وان الواو والياء زائدان للتكثير»[115] كزيادة الميم والالف والنون . واعتلاً بحذفهما في المثنى والجمع ، وبحذفهما في المفرد بقول الشاعر :

بيناهُ في دارِ صدقٍ قد أقامَ بها

وقول الاخر :

دارٌ لسُعدى إذهِ مَنْ هَواكا

واختار السيوطي هذا المذهب[116].

غير اننا نجد فيما نقله ابو جعفر النحاس ان ابن كيسان ذهب هنا الى ان الهاء لم ترد مفردة وانما سُكِّنت واوها او ياؤها حسب . قال النحاس «والذي احفظه عن ابن كيسان ان هذا ـ أي : إذهِ ـ على مذهب من قال : هِيْ جالسةٌ باسكان الياء»[117] وعد صاحب الخزانة هذا حسنا ، وهو أصوب عندي مما ردّوا به من أنَّ الحذف حصل لضرورة"[118].

اما القول بزيادة الميم والالف في المثنى والنون في جمع المؤنث فهو افتراض محض لا دليل عليه ، ويمكن ان يقال فيه ما قيل في «انتم» واخواتها ، ولا يعتدُّ ـ فيما احسب ـ بما ورد في شرح التسهيل من ان الفاظ التثنية والجمع في هذا الباب الفاظ مرتجلة"[119].

---

(١١١) الكتاب : ٣٧٨/١ . وينظر أيضاً ١٢/١ .

(١١٢) ينظر همع الهوامع : ٦٠/١ .

(١١٣) ينظر همع الهوامع : ٦٠/١ .

(١١٤) ينظر همع الهوامع : ٦١/١ .

(١١٥) شرح التسهيل : ١٥١ .

(١١٦) ينظر همع الهوامع : ٦١/١ .

(١١٧) خزانة الادب : ٢٢٨/١ .

(١١٨) ينظر القول بالضرورة في شرح التسهيل : ١٥١ .

(١١٩) ينظر : شرح التسهيل : ١٥١ قال «والتثنية والجمع الفاظ مرتجلة وهُما» للمثنى مطلقا و «هُم» للجمع

٣ ـ الضمير في إيّاك وأخواتها :

نقل ابن جني[١٢٠] عن ابن كيسان انه حكى في هذا آراء النحاة جميعها ، فقد ذكر انه قال : «قال بعض النحويين»إيّاك» بكمالها اسم . وقال بعضهم : الياء والكاف والهاء هي الاسماء وإيّا عماد لها لأنهن يقمن بانفسهن[١٢١]. وقال : قال بعضهم إيّا اسم مبهم يكنى به عن المنصوب وجعلت الهاء والياء والكاف بيانا عن المقصود ليعلم المخاطب من الغائب ولا موضع لها من الاعراب كالكاف في «ذلك» او «أرأيتك» ونسبه الى الاخفش ـ وقال بعضهم : الهاء والكاف في موضع خفض .

ويبدو ان ابن كيسان يذهب الى الرأي الأخير وهو قول الخليل فقد احتج له بقولهم «إذا بلغَ الرجلُ الستينَ فإيّاه وإيّا الشّوابِّ»[١٢٢]. ويبدو ان ابن كيسان قد اورد تأييدا لهذا المذهبِ حِجاجا اشار اليه ابن جني واحجم عن ذكره[١٢٣].

وجاء في مشكل اعراب القرآن ان ابن كيسان حكى «ان الكاف هي الاسم وإيّا أُتيَ بها لتعتمد الكاف عليها اذ لا تقوم بنفسها» . وذكر صاحب شرح المفصل[١٢٤] حكاية ابن كيسان قول بعضهم : ان اياك بكمالها اسم ، وضعفه بانه ليس في الاسماء الظاهرة والمضمرة ما يختلف آخره فيكون تارة كافا وتارة ياء وتارة هاء . وذكر الرأي الآخر المنسوب لابن كيسان ونسبه الى بعضهم .

ونسب محمد سليم الجندي[١٢٥] المذهب القائل بان اياك بكمالها اسم الى

المذكر و «هُنّ» للجمع المؤنث .

(١٢٠) ينظر سر صناعة الاعراب : ٣١١/١ ، ٣١٢ .

(١٢١) هذا رأي الكوفيين على ما ورد في الانصاف : ٩٨/٢ ، ونسبه الى ابن كيسان ايضا .

(١٢٢) حكى الخليل هذا القول عن العرب ، ينظر الكتاب : ١٤١/١ .

(١٢٣) ينظر سر صناعة الاعراب : ٣١٢/١ .

(١٢٤) مشكل اعراب القرآن : ق ٣آ .

(١٢٥) شرح المفصل : ١٠٠/٣ ونسبه الرضي / المنشي ٩/٢ الى بعض الكوفيين وابن كيسان وصوبه .

ابن كيسان والكوفيين ، واحسبه خلط بين حكاية ابن كيسـان المذهب واتباعه اياه ، كما انه اخطأ في نسبة هذا المذهب الى الكوفيين ايضا .

والظاهر ان الخوض في هذا الموضوع لن يصل بنا الى الجـزم بشيء ، ما دام اوائل اللغويين قد اختلفوا فيه واعوزتهم الدقة . فسيبويه مثلا يضطرب في تحديد الضمير وبما نقله عن الخليل في هذا[١٢٦].

في بنية اسماء الاستفهام :

١ - كَمْ ذهب الفراء الى ان «كَمْ» مركبة من كاف التشبيه و «ما» الاستفهامية فالأصل عنده فيها «كم» لان حرف الجر اذا دخل على «ما» الاستفهامية حذف منها الالف وسكن ميم «كم» لكثرة الاستـعمال ، كما قالوا : فِيمْ ولِمْ ، في : فيمَ ولمَ . فاذا قلت : كم رجـلاً عندك ؟ فالمعـنى عنده كأيِّ شيءٍ من الرجـــال عندك ، وكنيت بـ «أي» عن عدد ، ورأى أنَّ هذا أولى من ان يثبت في اسماء الاستفهام ما لم يستقر فيها ، وحكي ابن كيسان هذا المذهب عنه[١٢٧].

٢ ـ مــــاذا :

ورد في خزانة الادب نقـلا عن النحـاس ان ابن كيسـان قال في قول الشاعر :

ألاَ تسألانِ المرء ماذا يحاولُ أنحْبٌ فيقضي أمْ ضَلالٌ وباطلُ

وهنا ان شئت جعلت (ما) و (ذا) شيئًا واحـدا لان (ما) تكون لكل الاشـياء و (ذا) كذلك فوافقتها في الابهام فقرنتا ، والذي اختار اذا جعلا شيئًا واحـدا ان يكون «ذا» صلة لـ «ما»[١٢٨].

---

(١٢٦) رسالة الملائكة الهامش : ٥٧ .

(١٢٧) ينظر : شرح الجمل : ١٦٨/٢ .

(١٢٨) خـزانة الادب : ٥٥٦/٢ ، وفي اعراب القـران : ٧/١ ب «وفي قوله ماذا اراد الله بهـذا مثلا على رأي ابن كيسان ان الاجود فيه ان تجعل «ما» و «ذا» شيئًا واحدا في موضـع نصـب باراد ، والرأي الثاني ان تجعل «ما» و «ذا» اسما تاما في موضع رفع بالابتداء و «ذا» بمعـنى «الذي» ويكون التقـدير : ما الذي اراد الله بهذا مثلا .

جـ في شرح المفردات اللغوية :

قلنا ان المعجمات العربية نقلت عن ابن كيسان اقوالا في تفسير وتوجيه عدد من مفردات اللغة والناظر فيما نقل عنه يرى ان تناوله هذه المفردات بالتفسير يقوم على الاسس الآتية :

١ - يهتم بإيراد الشواهد الشعرية لتأييد أقواله . من ذلك تأييده لتوسع استعمال «التأبير والأبْر» . في الزرع كله بعد ان كان الاصل في استعماله في النخل بقول الشاعر :

لا تأمَنَنْ قوماً ظلمتَهمُ   وبدأتَهم بالخسفِ والغَشْمِ
إنْ يأبِروا زَرعاً لغيرهم   والشي تحقِرَهُ وقد ينمي[١٢٩]

ومنه قوله «المُبادّة» في السفر ان يخرج كل إنسان شيئاً من النفقة ثم تجمع فينفقونها بينهم ، قال ومنه قول ابي ذؤيب في طعن الثور الكلاب :

فَأَبدَّهُنَّ حقوقهنَّ فهاربٌ   بدمائِه أو باركٌ مُتَجَعْجِع

أي اعطى هذا من الطعن مثل ما اعطي هذا حتى عمَّهم[١٣٠].

ومنه في قولهم «وأخذه بَرَبغِهِ وبُربّانِه ، قال ابو الحسن بن كيسان هذه الثلاثة معناها بأوله وابتدائه وانشد لأبن أحمر :

وإنَّما العيشُ بُرّبانهِ   وأنتَ من أفنانهِ مُقْتَقِرْ

اخبرني بذلك الغالبي عن ابن كيسان[١٣١].

وهو لا يكتفي بالشعر حسب وانما يستشهد بالامثال ايضا ، من ذلك قوله «القُذَّةُ هي الريشة التي يراش بها السهم ومن ذلك قولهم : حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة»[١٣٢].

وقد يستشهد بالامثلة عن الفصحاء من ذلك قوله «الولْث بقية من

---

(١٢٩) ينظر تهذيب الالفاظ : ٣ .

(١٣٠) ينظر تهذيب الالفاظ الهامش : ٥٨ ، والبارع : ٦٨٨ .

(١٣١) امالي القالي : ٢٤٥/١ .

(١٣٢) تهذيب الالفاظ / الهامش : ٢٣ .

شيءٍ ضربٍ او وجعٍ او عَهدٍ . قال عمر لرجل : لولا وَلْثُ عهدِكَ لضربتُ عُنقَكَ»[١٣٣].

ومنه أيضا استشهاده بالحديث «كُلْ ما أصميت ودَعْ ما أنْمَيْت»[١٣٤]. لتأييد قولهم اصماه اي قتله وأنْماه اي تحامل بالجراحة فمات في غير الموضع الذي جرح فيه .

٢ ـ وهو إضافة الى ما تقدم ينظر في أقوال من سبقه ، ويقوِّم ما يراه خطأ فيقول مثلا فيما ذكره يعقوب بن السكيت قوله «واحد العَماعِم : عَمٌّ : «ليس واحدها عَمًّا ولكنها جمع في معنى عَمٍّ . يكون في معناه وليس في لفظه كما تقول : فيه مشابه من ابيه . وليس واحدها «شِبْها» ولكنها في معناه فجُعلت جمعاً يكفي من الاشباه فلذلك تكون هذه العَماعِم جمعا يكفي من الأعمام»[١٣٥].

ومنه قوله «العُصْلَبِيّ» : «كذا قُرِىء على ابي العباس بفتح اللام . وسمعته من غيره عُصْلُبِيّ بضم اللام وهو اقيس لان فُعْلَلاً في الكلام عزيزة ، وفُعْلُلٌ كثيرة»[١٣٦]. كما قال ايضا في قولهم «أرْض فِلٌّ» هكذا قرىء على ابي العباس : فِلّ وفَلّ . والمحفوظ أرْض بالكسر . وقوم فل بالفتح اي منهزمون كما قال الاخطل :

فقتلنَ مَنْ حَمَلَ السلاحَ وغيرهم وتركنَ فَلَّهمُ عليك عيالا»[١٣٧]

ومنه في قولهم «لُمَّةٌ مِنَ الناس» بتخفيف الميم قال أبو الحسن كذا قرىء على ابي العباس وقد سمعته لُمَّة بتشديد الميم»[١٣٨].

ومنه توجيهه لما اورده الكسائي في قوله «وقلت لاعرابي : أبنو جعفر

(١٣٣) تهذيب الالفاظ / الهامش : ١٠١ .
(١٣٤) تهذيب الالفاظ / الهامش : ١٠٥ .
(١٣٥) نفسه : ٣٢ .
(١٣٦) نفسه : ١٣ .
(١٣٧) نفسه : ٢٦ .
(١٣٨) نفسه : ٣٩ .

اشرف ام بنو أبي بكر بن كلاب ؟ فقال : أمّا خواصُّ رجال فبنو ابي بَكْرٍ وأمّا جَهْرَاءَ الحيِّ فبنو جعفر . نصب خواصّ على طريق الصفة[139]. اراد في خواصّ رجال ، وكذلك جَهْراء[140]. «قال ابو الحسن» نصبها على التفسير (اي على التمييز) قال : بنو جعفر اشرف من بني فلان خواصَّ رجال . اي خواصهم اشرف من جهراء هؤلاء . كما تقول : هذا احسن وجها من وجه هذا . اي : وجه هذا احسن من وجه هذا . وكان ينبغي ان يقول : جَهْراءُ حيٍّ ، لان المفسّر في أفْعَلَ لا يكون الا نكرة فهذا غلط . وذلك انه جعله جوابا فصار كالمحمول على كلام السائل فرده على معرفته بالالف واللام . كأنَّ السائل قال له : أبنو جعفر اشرف خواص رجال أم بنو ابي بكر اشرف جهراء حي فجاء به على كلامه يعرف ما تكلم به ومثل هذا يقع في الجواب»[141].

ومنه ايضا قوله في قولهم «قد جاءتْ آتيةُ الجروح» كذا قُرِئَ على ابي العباس بالتاء مطولة الالف على «فاعِلَة» . وقد رأيته بغير هذه القطعة في النسخ «أتِيَّة» على «فعيلة» وليس بممتنع الوجهان عندي»[142].

٣ - يهتم بإيراد الروايات المتعددة لمن تقدمه من العلماء ، فكان يقول «كذا قرىء على ابي العباس «ألْفَجَ» بفتح الالف ، وسمعته من بندار «أُلْفِجَ بالارض اذا سقط اليها»[143].

أو يقول كذا قُرِئَ على ابي العباس بكسر الفاء . وقد سمعت هذا من بندار اذا كان مُلْفَجاً[144].

(١٣٩) الصفة عند الكوفيين يطلقونها على الجار والمجرور وكان يريد انه منصوب على نزع الخافض ، وقولهم على طريق الصفة معناه انه منصوب على طريقة الجار والمجرور حين ينزع الجار .

(١٤٠) تهذيب الالفاظ : ٤١ .

(١٤١) نفسه : ٤١ .

(١٤٢) نفسه : ١٠٦ .

(١٤٣) تهذيب الالفاظ / الهامش : ١٨ .

(١٤٤) تهذيب الالفاظ / الهامش / ١٨ .

وقد يورد الرواية دون ان يسندها الى قائل بعينه . فيقول مثلا «قرىء على ابي العباس كذا : خُوِّع . لم يُسمَّ الفاعل . وقد وجدته في موضع آخر : خَوَّع مالُ فلان . يجعل الفعل للمال»[145]. وهو في هذا من النقول لا يرجِّح قولا على قول ولا تبدو له مشاركة فيه .

٤ ـ وابن كيسان امين في نقله المعاني يعرضها كما هي اذا لم يكن واثقاً من صحة المعنى الذي ينقله فيقول مثلا : «أزمَلَ . كذا وجدته في كتابي بالزاي . والأزمل الصوت ، فلا ادري أيكونُ من دويِّ الريح أُخِذ . او يكون «أرمل» بالراء أي : قليل النقع ، كما يقال في قلة الزاد قد أرْملَ الرجل»[146].

ومنه ايضا قوله في العمارة «هكذا قال ابو العباس بكسر العين ، والعَمارة بفتح العين العِمامة . قال ابو الحسن احسبني قد سمعت بندارا يحكي عن ابن الكلبي في الحيِّ : العَمارة بفتح العين . وأظنُّها يقالان فمن فتح اراد التفاف الحي بعضه على بعض ، ومن كسر جعله بمنزلة عِمارة المنزل اي عَمروا الأرَض فهي لهم عِمارة»[147].

ومنه قوله «مُدومة اذا دارت فوقها الاهالة وداومة . قال ابو العباس وداوِيّة فوقها الاهالة ومُدَوِّية . قال ابو الحسن وأحسب الوجهين يجوزان»[148].

ومنه قوله في يهِلُّ الهلالْ : «كذا قرىء على أبي العباس وصوابه حتى يُهَلَّ بفتح الهاء ، واحسب هذه لغة لم ينكرها ابو العباس حين قرئت عليه . قال ابو الحسن وسألته فقال : يُهَلَّ ويُهِلَّ»[149].

ومه قوله في كلمة «شُفَنْ» في قول الراجز :

---

(١٤٥) نفسه : ٢٤ .

(١٤٦) نفسه : ٢٩ .

(١٤٧) نفسه : ٣٢ .

(١٤٨) تهذيب الالفاظ / الهامش : ٦١١ .

(١٤٩) نفسه : ٣٩٤ .

ذي خُنزوانات ولُماح شُفَنْ

«وجدته في كتابي «شُـفاً» بالالف وحفـظي له «في شُـفَنْ» بالنون ، من شَفَنه بعينه اذا أحدَّ النظر اليه النظر»[150].

٥ ـ تبدو بعض مظاهر الافكار الفلســفية والكلامية في عدد من شروحه للمفردات فيقول مثلا : «عسى» من الله واجب ومن العباد ظـن ، لان العبد ليس له فيما يستقبل علم نافذ الا بدلائل ما شاهد ، وقد يجـوز ان تبطل الشـواهد له على ما لم يكن ، فلا يكون ما يظن ، وقد اجتهـد في عسى باغلب الظن عليه ، وهو منتهى علمه فيما لم يقـع والله تعـالى علمه بما لم يكن كعلمه بما كان فلا يكون في خبره عسى الا على علمه ، فهـي واجبة من قبله على هذا ، وقد قال الشاعر حـين انتهـى بظنه عند نفسـه الى حقيقـة العلم فمثله بعسى اذا كانت اغلب الظن واقواه فقال :

ظنِّي بهمْ كَعسى وهم بَتنوفةٍ يتنازعونَ جوائبَ الأمثالِ[151]

٦ ـ وابن كيسان يربط في بعض المواضع بين ما يحدث بعـد المفـردة من اثر اعرابي والمعنى الذي استخدمت لاجله فقد قال في «لَدُن» : لدن حرف يخفض وربما نصـب بهـا . «ثم قال» من خفض اجـراها مجـرى «من» و «عن» ومن رفع اجراها مجرى «مذ» ومن نصب جعلها وقتا ، وجعـل ما بعـدها ترجمة عنها»[152].

٧ ـ وهو يفـاضل احيانا بين شروح المتقـدمين عليه فيقــول مثلا : «تفسير الاصمعي في «المُدْقِع» احسن من تفسـير ابي زيد ، وتفسـير ابي زيد في «القانِع» احسن من تفسـير الاصـمعي»[153]. الا انه يترك ذلك غفـلا فلا يؤيده بحجة او رواية .

(١٥٠) نفسه : ١٥١ .

(١٥١) تهذيب اللغة : ٨٥/٣ .

(١٥٢) لسان العرب : ٣٨٤/١٣ لدن .

(١٥٣) تهذيب الالفاظ / الهامش : ١٧ .

٨ ـ يهتم ابن كيسان بذكر المترادف فيقول مثلا : «القيروان : الكثير من الناس والقنابل الجماعات ، والغلاصم الجماعات ، والنُّبوح الجماعة»[١٥٤].

ومنه «ويقال شَدخ رأسه شدخا . وفَدغه فدغا . وثَلغه ثَلغا . وثمأه ثمأً . وثمغه ثمغاً . ويقال عَفَتَ يدَه عَفْتاً ولواها ليّاً . ولفتَها لفْتاً . هذا كلّه اللّي»[١٥٥].

وهو يفصل القول في جميع اشتقاقات المعنى ومنه قوله «البِكْر الذي لا يستكمل شدتُه والبِكْر الصغيرة من الاناث التي لم تحمل اوحملت بطنا واحدا فهي بِكرٌ وولدها بِكر بكسر الباء واذا نُسبت الى انها لم تستكمل شدتها فهي بَكرة»[١٥٦].

ومنه ايضا قوله «والحَرَجَة الجماعة من الابل وهي ما زادت على المائة . والجميع الحرج والأحراج جمع حَرَج . وكذلك يقال للشجر الملتف حَرَجه والجميع حِراج»[١٥٧].

٩ ـ كما يهتم ايضا بايراد ذكر المفردات المتقاربة في وزنها وحروفها ، فيقول مثلا : النَّج انما هو سيلان المِدَّة وما في الجرح من الفساد ، والثجُّ بالثاء كل شيء انصب انصبابا شديدا من ماء او دم . ومنه افضل الحجِّ العجُّ والثجُّ اي اهراق الدم والتلبية»[١٥٨].

ومنه قوله «يقال اشواه اذا اصاب غير المقتل . واصماه اذا قتله مكانه . وأنماه اذا تحامل بالجراحة فمات في غير الموضع الذي فيه جرح»[١٥٩].

---

(١٥٤) نفسه : ٥١ .

(١٥٥) نفسه : ٩٩ .

(١٥٦) نفسه : ٦١ .

(١٥٧) تهذيب الالفاظ / الهامش : ٦٧ .

(١٥٨) نفسه : ١٠٦ .

(١٥٩) نفسه : ١٠٥ .

ويقال : نكأت الجرح «مهموز» ونكيت في الاعداء غير مهموز»[160].

١٠ ـ يورد المفردات التي تحتفظ بمعنى واحد بعد تبادل مواقع حروفها ، ورد في المخصص «والنزع الكلام الذي يفري بين الناس ، ونغز بمعنى نزغ عن ابن كيسان وقال اخرجو النغاز من بينكم»[161].

١١ ـ وهو اضافة الى ما تقدم يرجح لغة على لغة فيقول أبل بالالف مبل ابلالا افصح»[162].

١٢ ـ يهتم بذكر الاضداد فيقول مثلا «الجون الابيض والجون الاسود ، ويقال للشمس الجونة لبياضها»[163].

وهو قد يصرح بان هذه الكلمة من الاضداد فيقول مثلا في «رويدا» كأنَّ رويدا من الاضداد ، تقول رويدا اذا ارادوا دعه وخله ، واذا ارادوا ارفق به وامسكه قالوا رويدا زيدا ايضا ، قال : وتيدَ زيدا بمعناها» . قال ويجوز اضافتها الى زيد لأنهما مصدران كقوله تعالى : فضرب الرقاب»[164].

١٣ ـ وهو يتابع ايضا ما روى عن العرب مما جاء مخالفا للقياس ويشير الى ذلك من انه يقال «ألبَبْتُ الدابة . فهو مُلْبَب . وهذا الحرف هكذا رواه ابن السكيت وغيره باظهار التضعيف وقال ابن كيسان : هو غلط وقياسه : مَلَبٌ كما يقال مُحَبٌ من احببته»[165].

وهذه طائفة من الاقوال التي نقلت عنه في المعجمات[166] وشروح الشعر لتكتمل بها الفائدة فهي مما يقع في الظواهر التي ذكرناها عن خصائص تناوله مفردات اللغة .

(١٦٠) نفسه : ١٠٨ .

(١٦١) المخصص مجلد ٣/ج ١٦٨/١٢ .

(١٦٢) تهذيب الالفاظ / الهامش : ١١٧ .

(١٦٣) نفسه : ٢٣٥ .

(١٦٤) لسان العرب / رود : ٢٣٥ .

(١٦٥) الصحاح / لبب : ٢١٧ . ولسان العرب / لبب : ٧٣٢/١ .

(١٦٦) ليس القصد هنا ان انقل كل ما ورد عنه في المعجمات . وانما سأختار ما يغني ما قدمنا من حديث .

١ ـ قال الشاعر :

دعيني اصطبِحْ غَرَباً فأغرُبْ   مع الفتيان إذْ صبحوا ثمودا

قال القالي «قال ليّ ابو الحسن بن كيسان وقد سألته : لم جزم فاغرُبْ ؟ فقال : جعله نسقا ان شئت واراد فلا غربْ . قال عز وجل «اتبِعُوا سبيلنا ولنحملْ خطاياكم» . وان شئت جعله نسقا على «اصطَبِحْ» وهو الوجه»[١٦٧].

٢ ـ ذهب الى أنَّ القرْضبة في اليابس خاصة . وقال الخليل هي شدة القطع وقال الفراء اصل ذلك قطع الشيء[١٦٨]. وحكى القالي عنه قوله «اصل القرضبة الاّ يخلص اللّين من اليابس ويأكلها معا كأنه معا كأنه يأكل كل شيء رطب ويابس»[١٦٩].

٣ ـ قال ابو الحسن في قول الراجز :

لا تملأ الدلَو وغرِّض فيها   فإنَّ دونَ مِلْئِها يكفيها

المَلْءُ : المصدر فاذا اردت الشيء الذي ملأها فهو : المِلء بكسر الميم واذا اردت العمل الذي يملؤها فهل المَلء بفتح الميم كقولك : مِلءُ هذا يكفيني ، وروّج مَلأها عليّ . فالاول مكسور لانك اردت الماء بعينه والثاني مفتوح لانك اردت العمل الى ان تستوعب الاناء»[١٧٠] هذا ما جاء نصه في البارع . اما ما جاء في تهذيب الالفاظ فقوله : «المَلء مصدر بفتح الميم والمِلء الاسم بكسر الميم فاعرف موضع الاسم وموضع المصدر فاذا اردت الشيء الذي ملأها فهو الملء بكسر الميم واذا اردت العمل الذي يملؤها فهو الملء بفتح الميم كقولك : ملء هذه يكفيني وزوّجْ ملأها علي . فالاول مكسور لأنك اردت به الماء بعينه والثاني مفتوح لأنك اردت العمل الى ان تستوعب الاناء»[١٧١].

---

(١٦٧) البارع ج ٣٠١ .

(١٦٨) البارع : ٣٠١ .

(١٦٩) ينظر البارع : ٥٢٨ .

٤ ـ قال ابن كيسان : الهجنّع : الطويل الجافي[١٧٢].

٥ ـ قال ابو الحسن بن كيسان : اصل الخَوْط الغصن[١٧٣].

٦ ـ قال الخليل : اللُّهذَم : السيف الحاد وكل شيء قاطع ، واللهذَمة : فَعْلَلَة وقال ابن كيسان : القرضبة في اليابس خاصة واللهذمة في كل شيء[١٧٤].

٧ ـ قال القالي واخذه بَربغِهِ وبحدائِه وبربّانهِ «قال أبو الحسن بن كيسان : هذه الثلاثة معناها : باوله وابتدائِه . وانشد لابن احمر :

وإنما العيشُ بربّانِه وأنتَ من أفنانِه مُقْتفِرْ

اخبرني بذلك الغالبي عن ابن كيسان»[١٧٥].

٨ ـ قال ابو الحسن بن كيسان «النُّوار» : النَفور من الوحش[١٧٦].

٩ ـ قال ابو الحسن ، وقد يقال أمَرهُ الله بمعنى آمره ، تكون فيه لغتان : فَعلَ وأفْعَلَ[١٧٧].

١٠ ـ وقال ابو الحسن بن كيسان في قول الشاعر :

لقدْ صَبحَتْ حَمَلَ بن كُوزِ عُلالة من وَكَرى أبوزِ

«قرأته على ثعلب» جمل بن كوز «بالجيم ، وأخذه عليّ بالحاء . قال : وانا الى الحاء أميل»[١٧٨].

١١ ـ ذهب ابن كيسان الى ان جمع اليانِع يَنْعٌ ، مثل : صاحب وصَحْب[١٧٩].

---

(١٧٢) تهذيب الالفاظ / الهامش : ٥٣١ .

(١٧٣) ينظر تهذيب الالفاظ / الهامش : ٢٤٢ ، والبارع : ١٧٩ .

(١٧٤) البارع : ٢١٠ ، وينظر تهذيب الالفاظ / الهامش : ٢٣٨ .

(١٧٥) أمالي القالي : ٢٤٥/١ .

(١٧٦) شرح القصائد التسع : ٢٨٨/١ .

(١٧٧) تهذيب الالفاظ : الهامش ٣ ، وينظر امالي القالي : ١٠٣/١ .

(١٧٨) الصحاح / ابز : ٨٦٠ ، ولسان العرب / ابز : ٣٠٤/٥ .

(١٧٩) الصحاح / ينع : ١٣١٠ ولسان العرب / ينع : ٤١٥/٨ .

١٢ ـ حكى ابن كيسان «نَعَق الغراب بعين غير معجمة»[١٨٠].

١٣ ـ حكى ابن كيسان «تَفشَّغ الرجل البيوتَ : دخل بينها»[١٨١].

١٤ ـ ذهب ابو الحسن بن كيسان الى ان «ألف أَيُمن» الف قطع وهو جمع «يمين» وانما خففت همزتها وطرحت في الوصل لكثرة استعمالهم لها»[١٨٢].

١٥ ـ قال ابن كيسان في «ظَعينَة» و «هذا من الاسماء التي وضعت على شيئين اذا فارق احدهما صاحبه لم يقع له ذلك الاسم ، ولا يقال : للمرأة ضعينة حتى تكون في الهودج ، ولا يقال : للهودج ظعينة حتى تكون فيه المرأة كما يقال : جنازة للميت اذا كان على النعش ، ولا يقال : للميت وحده جنازة ولا للنعش وحده جنازة وكما يقال : للقدح الذي فيه الخمر كأس ولا يقال : للقدح وحده كأس ولا الخمر وحدها كأس»[١٨٣].

١٦ ـ قال ابو الحسن بن كيسان : حكي في المستقبل «يَيْثَغُ» وهي لغة فيما كان على هذا الوزن من الافعال نحو : وجِلَ يوجَل ، وبعض العرب يقول : ييجل وليست في كل العرب ، ويقال ايضا انما هي في الياء وحدها يغيرون الواو الى الياء مع الياء فاما التاء والنون والالف فلا يقال الا في لغة شاذة فقد جاء بهذا على اقبح الشذوذ وانما حقه ان يكون وثِغت توثَغُ . قال الله عز وجل : «تَوجَل»[١٨٤].

١٧ ـ مذهب الخليل ان وزن «ذو» التي بمعنى صاحب «فَعْل» بالاسكان ولامها واو فهي من باب «قوة» وأصله «ذَوْوٌ» ، اما سيبويه فيرى ان «وزنها فَعَل بالتحريك ولامها ياء»[١٨٥]. وذهب ابن كيسان الى انها تحتمل الوزنين جميعا .

(١٨٠) الصحاح / نعق : ١٥٦٠ ، ولسان العرب / نعق .

(١٨١) الصحاح / فشغ : ١٣٢٥ .

(١٨٢) الصحاح / يمن : ٢٢٢٢ .

(١٨٣) شرح القصائد التسع : ٣٠٧/١ ، ٣٠٨ .

(١٨٤) البارع : ٤٣١ .

(١٨٥) ينظر الكتاب : ٣٣/٢ .

١٨ - النهـار لا يجمع كما لا يجمع العـذاب والسراب . اما اذا جمع فيقال في القليل : نُهر مثل : سَحاب وسُحُب . وانشـد ابن كيسـان لتأييد هذا قول الشاعر :

لولا الثريدانِ لَمُتْنا بالضُمُر ثريدُ ليلٍ وثريدُ بالنُهُر[186]

١٩ - «الضِئْبِل» بالكسر والهمز ، مثال الزِئْبِر : الداهية ، وقال ثعلب «لا نعلم في الكلام : فِعْلُلُ ، فان كان هذان الحرفان مسموعين بضم الباء فيهما فهم من النوادر» .

اما ابن كيسـان فقـد قال «هنا اذا جـاء على هذا المثال شـهد للهمزة بأنها زائدة ، واذا وقعـت حـروف الزيادة في الكلمة جـاز ان تخـرج عن بناء الأصل فلهذا ما جاءت هكذا»[187].

٢٠ - حكى ابن كيسـان انه يوجـد مثل «قرقار» اسـ فعـل في غير الامر فيقال : هَمْهام وحمحام وهجهاج وبحباح وانشد :

ما كانَ إلاّ كاصطِفافِ الأقدامْ حتى أتيناهمْ فقالوا هَمْهامْ[188]

٢١ - وقال ابن كيسان «ومما غُيرِّت حركاته في النسبة قولهم : رجـلٌ سُهْليٌ بضم السـين في المنسـوب الى السـهل ، وكذلك رجـل دُهري قال ولها أمثال كثيرة»[189].

٢٢ - ذهب بندار الى ان «انابيش» في قول امرىء القيس :

كأنَّ السِّباعَ فيه غَرقى عَشيةً بارجائِه القصوى أنابيشُ عنصل

لا واحد لها ، وذهب ابن كيسان الى ان واحدها «أُنبُوش» على وزن أُفعُول من النبش[190].

---

(١٨٦) شرح الاشموني : ٧١/١ ، ٧٢ ، وينظر شرح التسهيل : ٤٢ .

(١٨٧) ينظر الصحاح : ص ٨٤٠ .

(١٨٨) الصحاح / ضبل ص ١٧٤٧ .

(١٨٩) تهذيب اللغة : ١٩٣/٦ .

(٩٠) ينظر شرح القصائد التسع : ٢٠٣/١ .

٢٣ ـ وفي قول امرىء القيس : كبِكرِ المقاناةِ البياض بصفرة

غَذاها نميرُ الماءِ غير المحلَّل

«زعم ابن كيسان ان التقدير» كبكر المقاناة بياضه وجعل الالف واللام مقام الهاء ، وقال : مثله قول الله عز وجل «فإنَّ الجَنَّةَ هيَ المأوى» تقديره هي مأواه»[١٩١].

٢٤ ـ ورد في الممتع ان ابن كيسان حكى في «المختار» ان العرب تقول : يا هناهَ بفتح الهاء الواقعة بعد الالف وكسرها وضمها . فن كسرها فلأنها هاء السكت فهي في الاصل ساكنة فالتقت مع الالف فحركت بالكسر على اصل التقاء الساكنين ومن حركها بالفتح فانه اتبع حركتها حركة ما قبلها ومن ضم فانه اجراها مجرى حرف من الاصل فضمها كما يضم اخر المنادى ولو كانت الهاء بدلا من الواو لم يكن للكسر والفتح وجه ولوجب الضم كسائر المناديات»[١٩٣].

٢٥ ـ جاء في تاج العروس عند استشهاده بقول النابغة :

ما إنْ نديتُ بشيءٍ أنتَ تكرهُه إذاً فلا رفَعتْ سوطي إليَّ يدي

وما نديت منه شيئًا اي ما اصبت ولا علمت ما أتيت ولا قاربت عن ابن كيسان»[١٩٤].

٢٦ ـ وقال ابن كيسان «في حروف النداء ثمانية اوجه : يا زيد ووازيد وأزيد وأيا زيد وهيا زيد وأيْ زيد وآزيد وآي زيد»[١٩٥].

٢٧ ـ وجاء في اللسان «قال ابن كيسان في باب كان واخواتها : اما

---

(١٩١) شرح القصائد التسع : ١٥٥/١ .

(١٩٢) قال على اصل التقاء الساكنين ولم يقل لالتقاء الساكنين لسببين : ١/ انه في حال التقاء الساكنين يحرك الاول والاول هنا لا يحرك لانه الف . ٢ / ان الكسر هو الغالب للتخلص من الساكنين .

(١٩٣) الممتع : ٤٠٢/١ .

(١٩٤) تاج العروس : ٣٦٤/١٠ .

(١٩٥) نفسه : ٤٥٨/١٠ .

مادام : فما وقت تقول ، قم ما دام زيد قائمًا تريد : مدة قيامه ، وانشد :

لتقرَبنَّ قَرَباً جُلْذيًا ما دامَ فيهنَّ فصيل حيًا

أي مدة حياة فصيل منها ، قال : واما صار في هذا الباب فانها على ضربين بلوغ في الحال وبلوغ في المكان كقولك : صار زيد الى عمرو ، وصار زيد رجلا فاذا كانت في الحال فهي مثل كان في بابه . فاما قولهم : ما دام فعناه الدوام لان «ما» اسم موصول بدام ولا يستعمل الا ظرفا كما تستعمل المصادر ظروفا تقول : لا اجلس ما دمت قائمًا : اي دوام قيامك كما تقول : وردت مقدم الحاج»[196].

٢٨ ـ ذكر ابو الحسن بن كيسان أنه قيل في بعض اللغات «دِرْهام» بدلا من درهم[197].

٢٩ - قال ابن كيسان : «المعروف ان الفيء والظل واحد ، كذا قاله اللّبلي في شرح أدب الكاتب[198].

٣٠ - وفي قوله تعالى «واشترُوا الضلالة» قال ابن كيسان الضمة في الواو اخف من الكسرة فلذلك اختيرت اذ هي من جنسها»[199].

٣١ - حكي «مُخْرَقَ» و «تَمَخْرَق» وضعّفها ابن كيسان . والصحيح انهما لم يثبتا من كلام العرب[200].

٣٢ - ذكروا ان ابن كيسان زعم «ان ما كان على وزن «فَعِل» او «فَعُل» لا يدغم واستدل على ذلك بانك لو ادغمت لادى ذلك الى الالباس لانه لا يعلم هل هو في الاصل متحرك العين او ساكنه»[201]. وقد رد بانه «اذا

---

(١٩٦) لسان العرب/ دوم : ٢١٧/١٢ .

(١٩٧) ينظر خزانة الادب : ٢٥٦/٢ .

(١٩٨) شرح الشافية : ٤٤٠/٤ .

(١٩٩) مشكل اعراب القرآن : ق ٦ آ .

(٢٠٠) الممتع : ٢٤٢/١ .

(٢٠١) الممتع ٦٤٦/٢ .

ادى القياس الى ضرب ما من الاعلال استعمل ولم يُلتفت الى التباس احدى البنيتين بالاخرى الا ترى ان العرب قد قالت «مختار» في اسم الفاعل واسم المفعول ، ولم يلتفت الى اللبس . وايضا فانه قد قام الدليل على ان «صَبًّا» و «طَبًّا» «فَعِل» في الاصل وقد ادغم»[٢٠٢].

٣٣ ـ قال ابو الحسن بن كيسان قول لبيد :

ويُكلِّلونَ إذا الرياحُ تناوحَتْ   خُلُجاً تُمَدُّ شوارعاً أيتامُها

«يجوز ان يكون معنى قوله «تناوحَتْ» من نحوتُ نحوَه فيكون الاصل على هذا تناحى ، وللمؤنث تناحت مثل تقاضت ، ثم تقدم لام الفعل فتجعلها عينه فيصير : تناوحت ونصب خُلجا . بقوله : ويكللون ، وانما شبه الجفان بالخلج لسعتها»[٢٠٣]. وقال «يجوز ان يكون شوارع منصوباً على الحال من المضمر الذي في «تمد» والاجود ان يكون منصوبا على انه نعت لقوله خلجا ، وايتامها مرفوع بشوارع»[٢٠٤].

٣٤ ـ ذكر الخوارزمي في شرحه قول ابي العلاء :

وأينَ رجالٌ كانَ يَحْمَى عليهمُ   حديدٌ فيَحْمُون القطين كما يحمي

نقلا عن الغوري عن ابن كيسان : ان «القطين السكان جمع قاطن على غير قياس .... ونظيره غازٍ وغزيّ»[٢٠٥].

---

(٢٠٢) الممتع : ٦٤٦/٢ .

(٢٠٣) شرح القصائد التسع : ٤٣٩ .

(٢٠٤) المصدر نفسه .

(٢٠٥) شروح سقط الزند /السفر الثاني/ القسم الخامس : ١٩٩٩ .

خاتمة

ابو الحسن بن كيسان واحد من النحاة المتقدمين في القرن الثالث الهجري لا نعرف عن تفاصيل حياته شيئاً كثيراً ، ولكن اسمه يتردد في كتب النحو واللغة والتفسير في مواضع تنم على اسهام كبير في هذه الميادين من الدرس وانصراف كامل لها .

وكتبه التي وصلت الينا تشير ـ على قلتها ـ الى طول باعه في النحو واللغة والقوافي وهذه الكتب هي : (١) الموفقي وهو مختصر في النحو ذكر فيه المسائل النحوية بإيجاز كبير . (٢) شرح السبع الطوال وهو مخطوط ناقص من شرحه القصائد المشهورة بالمعلقات . (٣) تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها وله فيه آراء في القافية وما يعتريها ، وقد نقل فيه عمّن تقدمه من العلماء واضاف في هذا الباب اضافات تومىء الى حس فني ولا سيما في نقده الشعر .

اما كتبه الأخر التي ذكرتها المصادر فقد كان الضياع مصيرها ، ولو تهيأ لها ان تظهر لأضافت الى ما نقلته كتب النحاة واللغويين ما يؤكد قدرة هذا النحوي واحاطته بتوجيهات اهل المصرين في النحو ، تلك الاحاطة التي دفعت بعض الباحثين المحدثين الى عده رأسا لمدرسة جديدة في النحو تعتمد الخلط بين توجيهات البصريين وتوجيهات الكوفيين وهو أمر اوضحنا بطلانه فقد كان ابن كيسان كوفي المصادر في مطلع حياته العلمية فقد أخذ اللغة والنحو عن بندار

وثعلب الكوفيين الا انه بدأ يميل الى الغلو في اصطناع العلل والبحث عن العوامل تأثرا بما جاء به البصريون بعد دخول المبرِّد بغداد وهي حال المجرّ اليها اكثر نحاة بغداد في اواخر ذلك القرن ، وذكرنا ان هذا الذي صار اليه ابو الحسن بن كيسان لا يعني ابتداء مدرسة في النحو ، لها سماتها المميزة بقدر ما يعني تحولا من بيئة نحوية وتوسعا في استخدام اساليب الجدل التي لم يكن الكوفيون يتوسعون فيها لأن بيئتهم الثقافية لم تعرف هذا النمط من الاساليب ولأنهم لم يكن بهم حاجة الى اتقانها قبل دخول البصريين الى بغداد لأنهم كانوا يهيمنون وحدهم على مجالس الدرس فيها وكان ما يأتون به مقبولا من تلاميذهم الذين وجدوا انفسهم مضطرين الى مواجهة الحجج البصرية بالاسلوب العقلي ذاته ، كما ان هذا الاسلوب قد استهواهم فكتب ابن كيسان (المختار في علل النحو) وحاول ابن الانباري ان يرد البصريين بمثل حججهم .

وقد بينا ان المدرسة البغدادية المزعومة لا تمتلك من المقومات ما يرسم لها حدودا تجيز لنا اطلاق هذه التسمية عليها ، وان اطلاق المصطلحات المعاصرة على ما كان من اساليب الدرس النحوي عمل لا يتسم بالموضوعية لان لهذه المصطلحات شروطا لا احسب انها متوافرة بقدر كاف فيما كان عليه الدارسون الاقدمون فجميعهم قد اخذوا بأصول واحدة وان اختلفوا في عدد من التوجيهات ، وان الاخذ لهذه التوجيهات على انها تمثل منهجا في الدرس جر الى هذا الاهتمام الزائد بالتعليل والبحث عن العوامل مما لم تكن بنا حاجة اليه .

واذا كان ابن كيسان قد تابع النحاة الذين تقدموه في مسائل فقد انفرد ايضا بجملة آراء هي حصيلة ثقافة نقلية وعقلية جعلته يحظى باطراء العلماء ممن عاصره او جاء بعده ، ومن هذه الآراء على سبيل المثال لا الحصر انه ذهب الى ان البناء اصل في الاسماء والأفعال وهو يعم المعرب وغيره . وانه انفرد بعده (من) و (ما) الاستفهاميتين معرفتين ، ومن ذلك انفراده باجازة جمع

ما جاء على وزن افعل فعلاء وفعلان فعلى جمع مذكر سالما ، كما انفـرد باجـازة جمع مؤنثة جمع سـلامة لمذكر ومن هذا انه انفـرد ايضـا باجـازة جمع العلم على علوم اذا اختلفت انواعه على الرغم من انه لم يسمع عن العـرب كذلك انفـرد باجازة وصف اي في النداء لكاف الخطاب ، فتقول يا ايها ذاك الرجل ، وكان اول من فرق بين البدل وعطف البيان فيما ذكره تلميذه النحاس وقد انفرد ايضا باجازة تقـديم حـال المجـرور عليه ، وتفـرد كذلك بكثير من الآراء التي تتعلق بتفسـير بنية الضمائر ، وانفـرد كذلك باجـازة اضـافة الظرف المثنى ، ومن المسائل التي انفرد بها ايضا انه اجاز الفصـل بين المضـاف والمضـاف اليه اذا جـاز ان يسكت على الاول منهما ، كذلك انفـرد بحمل مميز (كأين) اذا جـاء مجرورا على اضافتها اليه حملا لها على (كم) الخبرية ، وقد تفـرد ايضـا بالقـول باطّراد تصغير افعل التعجب (ما افعل) وبقياس تصغير (افعل به) عليه ، ومن المسائل التي تفرد بها ايضا ، اجازته الفصل بين (افعل التعجب) ومعموله بلولا الامتناعية ومصـحوبها ، ومن ذلك ايضـا انه انفـرد بتوجيه رفع المثنى في قوله تعالى (ان هذان لساحران) بأنه مبني قياسـا على بناء مفـرده وجمعـه يعـني هذا وهؤلاء كذلك انفرد بعده الواو للمعية في جميع الاحوال .

وابن كيسان اضافة الى هذا الذي ذكرنا كان اول من صنف كتابا في العلل النحوية ومن المتقـدمين الذين ألفـوا في القـوافي ، او لعله الثاني بعـد الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة ، ويبدو انه كان يولي رواية الشعر وشرحه عناية خاصة فهو من المتقدمين الذين صنعوا كتابا في شرح القصـائد المشـهورة بالمعلقات ان لم يكن اولهم .

ويبدو انه كان يروي دواوين كاملة للشعراء المتقدمين ، فقـد جـاء في مصادر الشعر الجاهلي صفحة (٥٣٣) ما يشـير الى انه كان جمع شـعر زهير بن ابي سلمى ، قال :

(فهـذا جميع ما رواه ابو عمرو وابو نصر والاصـمعي لزهير من

الشعر ...... وكتب محمد بن منصور بن مسلم رحمه الله بمنبج سنة خمس وسبعين وخمسمائة والاصل الذي نقله كتب من اصل ابن كيسان النحوي رحمه الله في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وكان قد قرأ جميعه على احمد بن يحيى ثعلب وكان قد قرأ على ابي عمر الشيباني) .

ويبدو ان ابن كيسان لم يأخذ اللغة الا عن الكوفيين فقد اخذها عن بندار وثعلب الكوفيين ولم اجده تلمذ لغيرهما ، اما النحو فقد اخذه عن الكوفيين والبصريين فقد تلمذ لثعلب الكوفي وللمبرِّد البصري بعده الا انه ظل مواظبا على حضور مجلس ثعلب .

بعد كل ما تقدم هل كان نحاة القرن الثالث من تلاميذ ثعلب والمبرِّد قد أتوا بجديد حقا بالقدر الذي يجعلهم يمهدون لأنعطاف يغني الدرس النحوي ويذلل صعابه الحق انني لست ارى الامر كذلك ، فلم تكن طبيعة الدرس النحوي تسمح بالاتيان بمثل هذا الجديد كما ان مهنة التعليم قد غلبت على هؤلاء واستهوتهم اساليب الجدل وموضوعات الفلسفة فراحوا يقسرون الدرس النحوي على استخدامها قسرا ويصطنعون فيه ما ليس له ، فتعذر ما كان سهل المنال ، وابهم بالتفصيل والتفريع ما كان جليا بالايجاز وجنح الدرس النحوي على أيدي هؤلاء النحاة وابن كيسان منهم الى غير الطريق الذي سلكه الرواد من الدارسين الذين لم يتخطهم نحاة القرن الثالث بما يدخل في صميم الدرس حتى صار الدرس النحوي عند المتأخرين الذين توسعوا في النهج الذي بدأه نحاة القرن الثالث ضربا من الاحاجي والالغاز ما زلنا نعاني من آثاره في طرق تدريس النحو وفي جفاف هذا الدرس وصعوبة استيعابه الى يومنا هذا مما يؤكد ان بنا حاجة الى ان نسلك طريقا تهدف الى تقريب النحو من اذهان الناس وتليين ما اعتراه من جفاف المماحكات والعلل والتفلسف . واننا اذا ما نهجنا نهج المتفلسفة من النحاة فسنبعد النحو عن الناس اكثر مما هو عليه الآن .

بنا حاجة اذن الى فهم جديد للنحو ودرس معاصر يقوم على اساس من هذا الفهم الذي يبعد النحو عن ان يكون ميدانا لاستظهار اساليب الجدل واللهات وراء الشواذ ، وما هو ميت في عصرنا وبعيد عن حاجة الاستعمال في أساليب ناس هذا العصر .

المصادر والمراجع

× **القرآن الكريم**

× **ابنية الصرف في كتاب سيبويه** : خديجة الحديثي مكتبة النهضة / بغداد ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

× **ابن جني النحوي** : فاضل صالح السامرائي / مطبعة دار النذير بغداد . ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

× **ابو حيان النحوي** : خديجة الحديثي / مكتبة النهضة / بغداد ط ١ ، ١٩٦٦م .

× **اخبار النحويين البصريين** : ابو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (م ٣٦٨هـ) تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي/ مصر ط ١ ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

× **ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف** : محيي الدين توفيق ابراهيم ـ رسالة دكتوراه جامعة القاهرة/ ١٩٧٢م .

× **ادب الكاتب** : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة / تحقيق (ماري كرنرت) ليدن / ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

× **الاشباه والنظائر في النحو** : جلال الدين السيوطي (م ٩١١هـ) مطبعة دار المعارف العثمانية / حيدر آباد / الدكن الطبعة الثانية / ١٣٦١هـ .

× **اشتقاق اسماء الله** : ابو القاسم الزجاجي /تحقيق عبدالحسين المبارك/ رسالة ماجستير / جامعة عين شمس .

× **الاصول في النحو** : ابو بكر بن السراج (م ٣١٦هـ) تحقيق الدكتور عبدالحسين الفتلي / رسالة دكتوراه / القاهرة .

× **الاصوات اللغوية** : ابراهيم انيس / مطبعة نهضة مصر .

× **اعراب القرآن** : ابو جعفر احمد بن محمد النحاس / مخطوط في مكتبة المجمع العلمي ببغداد برقم ٥١٧ عن نسخة مكتبة فاتح في تركيا . رقم ٨ .

× **الاعلام** : خيرالدين الزركلي / ط ٢ .

× **امالي الزجاجي** : ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي (م ٣٤٠هـ) تحقيق عبدالسلام هارون المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع / القاهرة ط ١ ١٣٨٢هـ .

× **الأمالي** : ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي / المكتبة التجارية/ مصر ط ٣ ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م .

× **الأمالي الشجرية** : هبةالله بن علي الشجري (م ٥٤٢هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت - لبنان .
× **الامتاع والمؤانسة** : ابو حيان التوحيدي / تصحيح ـ احمد امين واحمد الزين ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ـ ط ٢ ـ ١٩٥٣م .
× **الانساب** : ابو سعيد عبدالكريم بن ابي بكر السمعاني طبع حجري / نسخة مكتبة الدراسات العليا في جامعة بغداد / كلية الاداب .
× **الانصاف في مسائل الخلاف** : كمال الدين ابو البركات بن عبدالرحمن الانباري (م ٥٧٧هـ) تحقيق محيي الدين عبدالحميد / مطبعة السعادة / مصر ط ٤ ـ ١٩٦١م .
× **اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك** : ابو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام (م ٧١٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد /المكتبة التجارية / القاهرة مطبعة السعادة / ط ٥ - ١٩٦٧م .
× **الايضاح في علل النحو** : ابو القاسم الزجاجي (م ٣٣٧هـ) تحقيق مازن المبارك ـ مكتبة دار العروبة ـ القاهرة مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر ـ ١٩٥٩م .
× **الايضاح العضدي** : ابو علي الفارسي (م ٣٧٧هـ) تحقيق حسن شاذلي فرهود / مطبعة دار التأليف مصر ط ١ ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٦٩م .
× **انباه الرواة على انباه النحاة** : جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي (م ٦٤٦هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ط ١ ـ ١٣٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .
× **البحر المحيط** : اثيرالدين ابو عبدالله محمد بن يوسف الاندلسي (م ٧٥٤هـ) مكتبة ومطابع النصر الحديثة /الرياض/ السعودية .
× **البرهان في علوم القرآن** : بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (م ٧٩٤هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي ط ١٣٧٦/١هـ ـ ١٩٥٧م .
× **البداية والنهاية في التاريخ** : عمادالدين ابو الفداء اسماعيل بن عوض بن كثير القرشي (م ٧٧٤هـ) مطبعة السعادة / مصر .
× **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** : جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي (م ٩١١هـ) تصحيح محمد امين الخانجي مطبعة السعادة / مصر ط ١ - ١٣٢٦هـ .
× **البلغة في تاريخ ائمة اللغة** : الفيروز آبادي (م ٨١٧هـ) تحقيق محمد المصري / دمشق ط ١ ١٩٧٢م .
× **البيان والتبيين** : ابو بشر عمر بن بحر الجاحظ / تحقيق عبدالسلام هارون - مطبعة لجنة التأليف والنشر/ ط ١ ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

× تاج العروس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي / تحقيق عبدالكريم الغرباوي ـ الكويت ـ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .
× تاريخ بغداد او مدينة السلام : الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي / مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة ببغداد ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ط ١ ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م .
× تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) : عبدالرحمن بن خلدون / مكتبة المدرسة ودار الكتابي اللبناني/ ط ٢ - ١٩٦٧م .
× تاريخ الشعوب الاسلامية : كارل بروكلمان / ترجمة ـ امين فارس ومنير بعلبكي ـ دار العلم للملايين بيروت ط ٥ - ١٩٦٨ .
× تلقيب القوافي : ابو الحسن بن كيسان تحقيق ابراهيم السامراني مجلة الجامعة المستنصرية / العدد الثاني .
× تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين ـ ترجمة فهمي ابو الفضل القاهرة ـ ١٩٧١م .
× تاريخ الادب العربي (عربية) : كارل بروكلمان ـ ترجمة عبدالحليم النجار دار المعارف بمصر ـ ط ٢ .
× تاريخ الادب العربي / الذيل : كارل بروكلمان ـ المانية .
× تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابو عبدالله محمد بن مالك (م ٦٧٢هـ) تحقيق محمد كامل بركات / المكتبة العربية وزارة الثقافة / المؤسسة العامة للتأليف والنشر / تراث ١٧ ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر / ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .
× تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري / تحقيق محمود محمد شاكر / دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .
× تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) : جار الله محمود بن عمر الزمخشري دار الكتاب العربي / بيروت .
× تفسير ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي / دار الاندلس / بيروت / ط ١ ١٩٦٦م .
× تفسير القرطبي . (الجامع لأحكام القرآن) : ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (م ٦٧١هـ) دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ط ٣ عن طباعة دار الكتب المصرية ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م .
× تهذيب الالفاظ : ابن السكيت / تحقيق لويس شيخو / بيروت ١٨٩٥م .

× **الجامع الصغير في علم النحو** : جمال الدين بن هشام الانصاري ـ نشره وحققه وعلق عليه محمد شريف سعيد الزيبق / مطبعة الملاح / دمشق / ط ١ - ١٩٦٨ . م .
× **جمهرة اللغة** : ابو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري (م ٣٢١هـ) اعاد طبعه بالاوفسيت ـ مكتبة المثنى ببغداد .
× **الخليل بن احمد الفراهيدي** : مهدي المخزومي / بغداد / ١٩٦٠م .
× **حاشية الصبان على شرح الاشموني . ومعها شرح شواهد الالفية للعيني** : محمد بن علي الصبان ـ دار احياء الكتب عيسى البابي الحلبي .
× **الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل** : ابو محمد عبدالله بن محمد بن سيد البطليوسي رسالة ماجستير / سعيد عبدالكريم / جامعة بغداد / ١٩٧٢م .
× **خزانة الادب** : عبدالقادر بن عمر البغدادي (م ١٠٩٣هـ) المطبعة الاميرية ببولاق / ط ١ ١٢٩٩هـ .
× **الخصائص** : ابو الفتح عثمان بن جني (م ٣٩٢هـ) تحقيق محمد النجار / دار الكتب المصرية / ط ١ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .
× **دراسات في الادب العربي** : غوستاف فون غرنباوم / ترجمة احسان عباس وجماعة / مكتبة الحياة / بيروت ١٩٥٩م .
× **دائرة معارف البستاني** : افرام البستاني / بيروت ١٩٥٦م .
× **الدرس النحوي في بغداد** : مهدي المخزومي / منشورات وزارة الاعلام الجمهورية العراقية / ١٩٧٤م .
× **دروس في علم اصوات العربية** : جان كانتينو / ترجمة صالح القرمادي / مركز الدراسات / تونس / ١٩٦٦م .
× **روضات الجنات** : محمد باقر الميرزة الخوانساري / طهران مكتبة اسماعيليان - ١٣٩٠هـ .
× **الرد على النحاة** : ابن مضاء القرطبي / تحقيق شوقي ضيف دار الفكر العربي / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ١ - ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .
× **سر صناعة الاعراب** : ابو الفتح عثمان بن جني / تحقيق تحقيق مصطفى السقا وجماعة / مصطفى البابي الحلبي / مصر ط ١ - ١٩٥٤م .
× **سمط اللالي** : ابو عبيدالبكري (م ٤٨٧هـ) تحقيق عبدالعزيز الميمني / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / مصر - ط ١ ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م .
× **شذرات الذهب** : ابو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩هـ) مكتبة القدس / القاهرة ١٣٥٠هـ)

× **شرح التسهيل** : حسن بن قاسم المرادي (ابن ام قاسم) (م ٧٤٩هـ) تحقيق حسين تورال / رسالة ماجستير / بغداد - ١٩٧١م .
× **شرح التصريح على التوضيح ومعه حاشية العليمي** : خالد بن عبدالله الازهري / دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي .
× **شرح جمل الزجاجي** : ابن عصفور (م ٦٦٩هـ) تحقيق صاحب جعفر ابو جناح رسالة ماجستير / القاهرة/ ١٩٧١م .
× **شرح ديوان لبيد** : تحقيق احسان عباس / الكويت ١٩٦٢م .
× **شرح الرضي على كافيّة ابن الحاجب** : رضي الدين الاستربادي / مطبعة المنشي نور لكشو / ١٢٧٩هـ .
× **شر السبع الطوال** : نسخة مصورة عن النسخة الخطية في المكتبةالوطنية ببرلين ـ الرقم ٧٤٤٠ - رقم المصورة في المكتبة المركزية ببغداد ٩٩ .
× **شرح ابن عقيل** : ابن عقيل (م ٧٦٩هـ) ت محيي الدين عبدالحميد
× **شرح شافية ابن الحاجب** : رضي الدين الاستربادي (م ٦٨٨هـ) تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف مطبعة حجازي / القاهرة .
× **شرح شواهد المغني** : جلال الدين السيوطي / باعتناء الشيخ محمد الشنقيطي / لجنة التراث العربي .
× **شرح القصائد التسع المشهورات** : ابو جعفر احمد بن محمد النحاس (م ٣٣٨هـ) تحقيق احمد خطاب العمر / منشورات وزارة الاعلام / بغداد ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
× **شرح قطر الندى** : ابن هشام الانصاري / المكتبة التجارية الكبرى ط ١١ - ١٩٦٣ م .
× **شرح المفصل** : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (م ٦٤٣هـ) ادارة المطبعة المنيرية /
× **شروح سقط الزند** : تحقيق مصطفى السقا وجماعة باشراف طه حسين نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م ـ الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .
× **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** : اسماعيل بن حماد الجوهري (م ٣٩٣ أو ٣٩٨هـ) تحقيق احمد عبدالغفور عطار دار الكتاب العربي/ مصر .
× **طبقات الشافعية الكبرى** : تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي السبكي (م ٧٧١هـ) تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو / مطبعة عيسى البابي الحلبي / ط ١ ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م .
× **طبقات النحاة واللغويين** : ابن قاضي شبهة / مخطوط في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب / رقم ١٢٨٨ .

× **طبقات النحويين واللغويين** : ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (م ٣٧٩هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / نشوء محمد سامي امين الخانجي / مصر ط ١/ ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .
× **العمدة** : ابو علي بن علي الازدي المعروف بابن رشيق القيرواني / تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد / المكتبة التجارية الكبرى ط ٢ ـ ١٩٥٥م .
× **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** : محمد بن علي الشوكاني / مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر / ط ٢ - ١٩٦٤م .
× **فوح الشذى بمسألة كذا** : ابن هشام الانصاري/ تحقيق احمد مطلوب بغداد/ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م . مستل .
× **في اصول النحو** : سعيد الافغاني / الجامعة السورية / ط ٢ ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
× **في النحو العربي قواعد وتطبيق** : مهدي المخزومي / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر ط ١ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
× **في النحو العربي (نقد وتوجيه)** : مهدي المخزومي / المكتبة العصرية / بيروت ط ١ / ١٩٦٤م .
× **الفهرست** : ابن النديم / روائع التراث العربي بيروت ١٩٦٤ .
× **فهرسة ابن خير** : ابو بكر محمد بن خير الاشبيلي / تحقيق فرنشكه / قدارة زيدين وتلميذه / مكتبة الخانجي / القاهرة - طبعة جديدة / ١٣٤٣هـ - ١٩٦٣م .
× **القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية** : عبدالعال سالم مكرم / دار المعارف / مصر .
× **القصد والأمم والانباه على قبائل الرواة** : ابو عمر بن عبدالبر النمري القرطبي المكتبة الحيدرية ومطبعتها / النجف / ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .
× **الكامل في التاريخ** : ابو الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير الجزري (م ١٣٩٠هـ) صححه الشيخ عبدالوهاب النجار / ادارة المطبعة المنيرية .
× **الكتاب** : ابو بشر عمر الملقب بسيبويه / ط ١ بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق / مصر - ١٣١٦هـ
× **الكتاب البارع** : ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي (م ٣٥٦هـ) تحقيق هاشم الطعان / بيروت / ط ١ - ١٩٧٥م .
× **كتاب القوافي** : ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (م ٢١٥هـ) تحقيق عزة حسن / وزارة الثقافة / دمشق ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
× **كشف الظنون** : حاجي خليفة (م ١٠٦٧هـ) طهران ط ٣ / ١٩٤٧م .
× **الكنى والالقاب** : عباس القمي / المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
× **لسان العرب** : ابن منظور / محمد بن مكرم / دار صادر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

× **لسان الميزان** : ابن حجر العسقلاني / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن / الهند - ١٣٢٩هـ .
× **مجالس ثعلب** : ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (م ٢٩١هـ) تحقيق عبدالسلام هارون / دار المعارف بمصر / ط ٢ - سلسلة ذخائر العرب .
× **مجالس العلماء** : ابو القاسم الزجاجي (م ٣٤٥هـ) تحقيق عبدالسلام هارون / الكويت ١٩٦٢م/
× **مجلة معهد المخطوطات العربية** : المجلد السابع عشر / ج ٢ .
× **مجموع مهمات المتون** : مطبعة عيسى البابي الحلبي / ط ٤ - ١٣٧٩هـ - ١٩٤٩م .
× **المحتسب** : ابن جني / ت علي النجدي / القاهرة ٩٦٩م
× **المجيد في اعراب القرآن المجيد** : ابراهيم بن محمد السفاقسي (م ٧٤٢هـ) مخطوط / دار الكتب المصرية رقم ٢٢٢ .
× **المخصص** : ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي (م ٤٥٨هـ) المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت - اوفسيت على طبعة المطبعة الاميرية ببولاق / ١٣٢١هـ
× **المدارس النحوية** : شوقي ضيف / دار المعارف بمصر / ١٩٦٨ .
× **مدرسة الكوفة** : مهدي المخزومي / ط ٢ / م عيسى البابي ق / ٥٨م .
× **مدرسة البصرية النحوية (نشأتها وتطورها)** : عبدالرحمن السيد / دار المعارف بمصر / ١٩٦٨م .
× **مراتب النحويين** : ابو الطيب عبدالواحد بن علي (م ٣٥١هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / مكتبة النهضة بمصر ومطبعتها ١٩٥٥م .
× **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** : ابو محمد عبدالله بن اسعد اليافعي (م ٧٦٨هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية حيدر آباد / الدكن / ١٣٣٨هـ .
× **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** : جلال الدين السيوطي / تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وجماعة/ دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي .
× **المستشرقون** : نجيب عقيقي .
× **المرتجل** : ابو محمد عبدالله بن الخشاب / ت علي حيدر / دمشق ١٩٧٢م .
× **مشكل اعراب القرآن** : مكي بن ابي طالب القيسي (م ٤٣٧هـ) مخطوط / المكتبة الظاهرية/ مصورة حاتم الضامن .
× **مصادر الشعر الجاهلي** : ناصرالدين الاسد / دار المعارف بمصر/ ط ٣ - ١٩٦٦م .
× **المطالع السعيدة في شرح الفريدة** : جلال الدين السيوطي / مخطوط / دار الكتب المصرية / رقم ١٦٤/ مصورة .

× **معجم الادباء** : ابو عبدالله ياقوت الحموي / (م ٦٢٦هـ) مراجعة وزارة المعارف العمومية / مكتبة عيسى البابي الحلبي / مصر .
×**معجم البلدان** : وطبعة مرجليوث / مطبعة هندية / مصر ط ٢ / اوفسيت / ياقوت الحموي / طهران / مكتبة الاسدي / ١٩٦٥م .
× **معجم المطبوعات العربية والمعربة** : جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس / اوفسيت عن طبعة مطبعة سركيس بمصر / ١٩٢٨م .
× **معجم المؤلفين** : عمر رضا كحالة / مطبعة الترقي / دمشق ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .
× **مغني اللبيب عن كتب الاعاريب** : جمال الدين بن هشام الانصاري (م ٧٦١هـ) تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله . دار الفكر الحبيب ـ لبنان ـ ط ١ ـ تاريخ المقدمة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
× **مفتاح السعادة** : طاش كوبري زاده ـ تحقيق كامل بكري وعبدالوهاب ابي النور / دار الكتب
× مفتاح العلوم ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة ١٩٣٧م .
× معاني القرآن الفراء (٢٠٧هـ) تح احمد يوسفط ادار الكتب .
× المقتضب ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (م ٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عظيمه ـ دار التحرير للطبع والنشر/ القاهرة/١٣٨٥هـ .
× المقنع في معرفة رسوم مصاحف اهل الامصار ابو عمرو الداني/ تحقيق محمد احمد دهمان/ مطبعة الترقي/ دمشق ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م .
× الممتع في التصريف ابن عصفور الاشبيلي (م ٦٦٩هـ) تحقيق فخر الدين قباوة/ المكتبة العربية/ حلب المطبعة العربية/ط١ ١٣٩٠هـ .
× منار الهدى/ الأشموني ١٩٧٠ م/ مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة /١٩٣٤
× المنتظم في تاريخ الملوك والامم ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (م
× ٥١٧هـ) مطبعة دائرة المعارف العثمانية/ حيدر اباد ط ١ ١٣٥٧ .
× منهج السالك ابو حيان النحوي الاندلسي/ تحقيق سدني كلازر/ نيو هافن/ امريكا ١٩٤٧ م
× المنهل الصافي الدماميني/ مخطوط/ مصورة

× الموفق في النحو/ ابو الحسن محمد بن احمد بن كيسان : مخطوط ضمن مجموعة في مكتبة الخزانة العامة بالرباط رقم ١٢٧ مصورة .

× ميزان الاعتدال في نقد الرجال ابو عبدالله شمس الدين الذهبي/ مطبعة السعادة/ القاهرة/ ١٣٢٥ه .

× نزهة الالباء/ ابو البركات كمال الدين بن الانساري (م ٥٧٧هـ) تحقيق ابراهيم السامرائي/ مطبعة المعارف/ بغداد ١٩٥٩م .

× النجوم الزاهرة/ جمال الدين بن تغرى بردى/ وزارة الثقافة مصر/ مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٢٩هـ ١٩٥٦م .

× الوافي بالوفيات/ صلاح الدين الصفدي (م ٧٦٤هـ) باعتناء هليموت ريتر/ دار فرانس شتاينر فسبادن/ط٢ ٣١٨١هـ ـ ١٩٦١م .

× وفيات الاعيان ابن خلكان (م ٦٨١هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ مطبعة السعاد ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٩م .

× هدية العارفين اسماعيل باشا البغدادي/ اعادت طبعه بالاوفسيت/ مكتبة الاسلامية والجعفر . تبريزى/ طهران ١٣٨٧هـ عن طبعة استانبول ١٩٥٥م .

المحتويات

تصميم الغلاف والداخل : راجحة القدسي
الخطوط الداخلية : حميد السعدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٨٨ لسنة ١٩٧٩